کتابخانه حقایق مذهبی
کتابخانهٔ
شورای
لامی

150
۷۶

الحقائق در ۶ مقاله
برای علم الهدی
ملا محسن فیض کاشانی

کتابخانه ... اسلامی
۲۲۵۲
۱۳۶۰/۵

کتابخانه
مجلس سنا
۳۴۷

کتابخانه
محمد بیانی

150
۷۶
الحقائق در ۶ مقاله
برای علم الهدی
ملا محسن فیض کاشانی
۱۳۶۰/۵
کتابخانه
مجلس سنا
۳۴۷

۱۵۰
۷۴

الحقائق در ۴ مقاله
برای علم الهدی
ملا محسن فیض کاشانی

۲۲۵۳
۱۳۶۰۵
۲
۲۸/ب/۲۲۱
۱۳۵۰۵
کتابخانه مجلس سنا
۳۴۷
کتابخانه محمد بیانی

بسم الله الرحمن الرحيم ونستعين

الحمد لله الذي نور قلوبنا بنور الايمان وعرفنا من اسرار الحديث والقرآن والصلوة على محمد سيد المرسلين وعلى اله الطيبين المعصومين الطاهرين

اما بعد فيقول الفقير الى الله محمد بن مرتضى المدعو بمحسن ابن الله اني لما رأيت بعون الله تعالى في هذا الكتاب من اسرار الدين ما يرتقي به من كان له قلب او القى السمع وهو شهيد الى معارج اليقين وانما اخذته من كتاب الله تعالى وسنة سيد المرسلين واحاديث الائمة المعصومين واضفت اليه ما وجدت في كتب علماء الدين ولا سيما كتاب احياء علوم الدين لابي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي مما يصلح لان يكون بيانا للمباني وتفسيرا للمعاني بتقرير انقى ومزيد متقن موثر للفؤاد يخلي سبيل الزوائد ويميته بالحقايق وبثبته على ست مقالات في كل مقالة ابواب وفي كل باب فصول ومن الله التأييد المقالة الاولى في ما هو بمنزلة الاصول وفيها ثلثة ابواب الباب الاول في العلم اعلم ان السبب الكلي لخلق العالم العلوي والسفلي وافضل ما يتقرب به الى الله العلي هو العلم قال الله سبحانه وهو الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما وقال شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم وقال انما يخشى الله من عباده العلماء وقال هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وفي الحديث النبوي العلماء ورثة الانبياء وفيه

من القلب ويحاذي به شطر الحق بتالا فأنيه حقايقه ولا سبيل الى ذلك الا بالتعلم والهدى والخشية والتقوى والفطنة والذكاء وهذه هي العلوم التي لا تنظر في الكتب ولا يتحدث بها من انعم الله عليه منها بشيء الا مع اهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار وهذا العلم الخفي هو الذي اراده النبي صلى الله عليه واله بقوله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله فاذا نطقوا به لم يجهله الا اهل الاغترار بالله عز وجل ولم يتحمله الا اهل الاعتراف بالله فاحضروا عالما اتاه الله علما فان الله عز وجل لم يحقره اذ اتاه اياه وعن امير المؤمنين عليه السلام انه قال ان من احب عباد الله اليه عبدا اعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه الى ان قال قد خلع سرابيل الشهوات وتخلى من الهموم الا هما واحدا انفرد به فخرج من صفة العمى وشاركه اهل الهدى وصار من مفاتيح ابواب الهدى ومغاليق ابواب الردى قد ابصر طريقه وسلك سبيله وعرف مناره وقطع غماره واستمسك من العرى باوثقها ومن الحبال بامتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس وفي كلام احزله عليه السلام فلاحي قلبه وامات نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه وبرق له لامع كثير البرق فاباان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعته الابواب الى باب السلامة ودار الاقامة وثبتت رجلاه بطمانينة بدنه في قرار الامن والراحة بما استعمل قلبه ورضي به وقال عليه السلام ان محبت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوى البعيدة وقال عليه السلام تعلمت من رسول الله صلى الله عليه واله الف باب من العلم ففتح لي كل باب الف باب وسأله كميل بن زياد النخعي عن الحقيقة فقال عليه السلام ما لك والحقيقة

قال اولست صاحب سرك قال بلى ولكن يربح عليك ما يطفح مني فاجابه
عما سأل وصدق كميل انه عليه السلام اخذ بيدي فاخرجني الى الجبان فلما
اصحر تنفس الصعداء ثم قال لي يا كميل بن زياد ان هذه القلوب اوعية فخيرها
اوعاها فاحفظ عني ما اقول لك الناس ثلثة فعالم ربانى ومتعلم على سبيل
النجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم
ولم يلجأوا الى ركن وثيق الى ان قال هاه ان ههنا لعلما جما واشار الى صدره
لو اصبت له حملة بلى اصيب لقنا غير مأمون عليه مستعملا لة الدين للدنيا
ومستظهرا بنعم الله على عباده وبحجه على اوليائه او منقادا لحملة الحق لا بصيرة
له في احنائه ينقدح الشك في قلبه لاول عارض من شبهة الا لا ذا ولا ذاك
او منهوما باللذة سلس القياد للشهوة او مغرى بالجمع والادخار ليسا من رعاة
الدين في شيء اقرب شبها بهما الانعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه
اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهرا مشهورا او خائفا مغمورا
لئلا تبطل حجج الله وبيناته وكم ذا واين اولئك اولئك والله الاقلون عددا
الاعظمون قدرا بهم يحفظ الله حججه وبيناته حتى يودعوها نظراءهم و
يزرعوها في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشر
روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون
وصحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في
ارضه والدعاة الى دينه اه اه شوقا الى رؤيتهم وعن السجاد عليه السلام
انه قال والله لو علم ابوذر ما في قلب سلمان لقتله ولقد اخا رسول الله صلى
الله عليه وآله بينه وما ظنكم بسائر الخلق ان علم العلماء صعب مستصعب
لا يحتمله الا ملك مقرب او نبي مرسل او عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان

وقال في غير رواية اخرى

قال وانما صار سلمان من العلماء لانه امرؤ منا اهل البيت فلذلك نسبته
الى العلماء اراد عليه السلام اهل بيت التوحيد والعلم والمعرفة والحكمة
لا اهل بيت النسوان والصبيان والاهل والاولاد وفي الحديث النبوي
صلى الله عليه وآله ايضا سلمان منا اهل البيت وفيه ايضا لو علم ابوذر
ما في بطن سلمان من الحكمة لكفره وفي رواية لقتله وعن السجاد عليه السلام
في ابيات منسوبة اليه اني لاكتم من علمي جواهره كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتنا
وقد تقدم في هذا البحث قبل الحسين ووصى قبله الحسنا يا رب جوهر علم
لو ابوح به لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون
اقبح ما يأتونه حسنا وعن الباقر عليه السلام الناس كلهم بعد الا قليل
من المؤمنين اقول وتصديق ذلك قول الله سبحانه ام تحسب ان اكثرهم
يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وعن الصادق
عليه السلام ان امرنا سر مستور في سر مقنع بالميثاق من هتكه اذله الله
وقال عليه السلام ان امرنا سر مستور في سر وسر مستسر وسر لا يفيده
الا سر وسر على سر مقنع بسر وقال عليه السلام هو الحق وحق الحق وهو
الظاهر وباطن الظاهر وباطن الباطن وهو السر وسر المستسر وسر مقنع بالسر
وقال عليه السلام مشيرا الى وجوب كتمان هذا السر التقية ديني ودين ابائي
فمن لا تقية له لا دين له وقال عليه السلام خالطوا الناس بما يعرفون
ودعوهم مما ينكرون ولا تحملوا على انفسكم وعلينا ان امرنا صعب مستصعب
لا يحتمله الا ملك مقرب او نبي مرسل او عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان

فصل واما العلم المقصود للعمل ليتوسل به الى العلم المقصود للذات
فقسمان احدهما علم الاخلاق والثاني علم الشرايع اما علم الاخلاق فهو علم

احوال القلب اما ما يحمد منها مكالصبر والشكر والخوف والرجا والتسليم
والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخا والعفو والاحسان وحسن
الظن وحسن المعاشرة واداء الامانة والصدق والاخلاص ومعرفة
المنة لله في جميع الاحوال فمعرفة حقايق هذه الاحوال وحدودها و
اسبابها التي بها تكتسب وثمراتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها
حتى يقوى من علم الاخرة واما ما يذم فخوف الفقر وحفظ المقتدر والغل
والحقد والحسد والغش وطلب العلو وحب الثنا وحب طول البقاء
في الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والانفة والعداوة والبغضا
والطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء و
الاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة والاستكبار
عن الحق والخوض فيما لا يعني وحب كثرة الكلام والصلف والمداهنة
والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وذوال الحزن من
القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها ذل وضعف
الانتصار للحق واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر والامن من مكر الله
في سلب ما اعطى والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة والخداعة وطول
الامل والقسوة والقطاطة والفرح بالدنيا والاسف على فواتها والانس
بالمخلوقين والوحشة لفراقهم الا لاعانة منهم على الدين والجفاء والطيش و
العجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة فهذه واشباهها من صفات القلب مغارس
الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة واضدادها وهي الاخلاق المحمودة منبع
الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الامور وحقايقها واسبابها و
ثمراتها وعلاجها هو علم الاخرة وهو فرض عين على من له اهلية ذلك والا

فقه

فبقدر وصلته لا يكلف الله نفسا الا وسعها واما علم الشرايع فهو العلم
بكيفية العبادات المشروعة من الطهارة والصلوة والزكوة والصيام والحج
والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واشرارها والعلم بالاحكام المحدودة
من الحلال والحرام في المكاسب والمعاملات من البيع والشراء والربوا والقرض
والقراض والاجارة والشركة والمزارعة والمداينة والرهان والضمان والكفالة
والوكالة والوديعة والاقرار والصلح والعطايا والبر والنكاح والغرار وقسمة
المواريث والعلم بالحدود والتعزيرات والقصاص والديات وتجهيز الاموات
والعلم باداب الاكل والشرب واللباس والمسكن والتحية والضيافة والطيب
والكلام والمواخاة والمعاشرة والسفر والحقوق الى غير ذلك وهو ايضا فرض
عين بقدر الاحتياج والذكاء وفرض كفاية للفتيا والقضاء واما الطريق الى
تحصيل هذين العلمين اعني علم الاخلاق وعلم الشرايع فهو ما نا ولى عليك
فاستمع واتبع سبيل الذين هم مهتدون ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون

فصل اعلم ان كل من العلوم الثلثة الاخروية يسمى بعلم الدين وعلم
الفقه ويقال له التفقه في الدين قال الله عز وجل فلولا نفر من كل فرقة منهم
طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم
يحذرون وقال الصادق عليه السلام لاصحابه عليكم بالتفقه في دين الله
ولا تكونوا اعرابا فانه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله اليه يوم القيمة ولم يزك
له عملا وقال عليه السلام ليت السياط على رؤس اصحابي حتى يتفقهوا في الحلال
والحرام وقال عليه السلام ان ابليس الكذاب ان يخبرك بخبر السماء والارض و
المشرق والمغرب فاذا سالته عن حرام الله وحلاله لم يكن عنده شيء الى غير
ذلك مما في هذا المعنى فالتفقه في الدين عبارة عن تحصيل البصيرة في المسائل

الدينية علمية كانت او عملية باطنية او ظاهرية متعلقة بالعبادات
او المعاملات فرضا معرفتها او العمل بها او سنة او ادبا وغرضنا الان بيان
كيفية هذا التحصيل فان الناس اختلفوا فيه حتى اوقعوا الجماهير في التيه
ونحن بتاييد الله عز وجل نكشف عن وجه الحق فيه النقاب بحيث لا يبقى
معه شك ولا ارتياب فنقول ان الناس كانوا في زمن رسول الله صلى الله
عليه واله ياخذون العلم عنه مما يوحى اليه واما بعده فصاروا فرقتين فرقة
قالوا بالاجماع الزاعمين في تعيين الامام وباتباع المتشابهات في العقايد والاحكام
مضافا الى المحكمات ابتغاء الفتنة وابتغاء التاويل واختيار المدلول قبل
اختلاق الدليل وهم اصحاب ابي بكر بن ابي قحافة التيمي وعمر بن الخطاب العدوي
ومن تحذو حذوهم من الذين قالوا بالاجتهاد والراي في كل شيء فيتبدل اراوهم
ويختلف علماؤهم ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس وان هم الا
يخرصون وهؤلاء صنفان مجتهد ومقلد اما مجتهدهم فكيفية التفقه عنده
استفراغ الوسع في تحصيل الظن فيما يحتاج اليه الناس من العلوم الدينية
اصولية كانت او فروعية من القوانين التي وضعوها والقواعد التي اخترعوها
للاستعانة بها على الاستنباط من المتشابهات واما مقلدهم فكيفية التفقه
عنده ان ياخذ من مجتهده ما استنبطه بنظره ولو بواسطة او وسايط وفرقة
قالوا بالنص من الله عز وجل في تعيين الامام والاقتصار على اتباع المحكمات في
العقايد والاحكام وقوفا على ما جاء به الوحي والتنزيل وانقاذا عما كاد يفضي الى
الضلال والتضليل وهم اصحاب امير المؤمنين علي بن ابي طالب الذين لا يجوزون
الا على النصوص المخصوص في كل شيء مسلمين لاماميهم الاخذ عنه من الله
ومن رسوله في كل ما انتهاه اليهم في شتى مطيعين لما امرهم الله تعالى حيث

قال فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وحيث قال يا ايها الذين امنوا
اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم واما ما يرى من اجتهاد بعض
متاخري اصحابنا وتدوينهم الاصول وخوضهم في الفضول فانما ذلك لشبهة
جرت فيهم من مخالفيهم كما بينا وجهه في مسفوراتنا مع احتمال ان يكون
سبب حدوثه فيهم اولا مصلحة راوها وما شاة مع مخالفيهم راعوها الا ترى عموا
ان دقايق العلم ليست فيما تصار ذلك شبهة لمن تاخر عنهم جرت فيهم ثم
سرت في ذويهم وعلى التقديرين فليس ذلك قادحا في منزلتهم العليا ولا سببا
لالحاقهم بالفرقة الاولى حاشاهم عز ذلك فان لهم حقوقا جمة على الفرقة الناجية
الجليلة بتربيتهم المذهب الحق وسباعيهم الجميلة ودفعهم جل التقية عن
كثير من العباد والبلاد فجزاهم الله عنا خير الجزاء وحشرهم مع ائمتهم نور الثقلين
وهؤلاء الفرقة الثانية يرجعون الى اماميهم في التفقه حين تيسر لهم ذلك
والا فهم ايضا صنفان بصير ومستبصر وبعبارة اخرى فقيه ومتفقه
وبعبارة ثالثة خاصي وعامي وان شئت فمهما المجتهد والمقلد فلا مشاحة
في الالفاظ اما بصيرهم وهو الذي له فهم وذكاء وقوة قدسية وزهد
في الدنيا وورع في الدين فكيفية التفقه عنده ان يتبع محكمات الكتاب و
السنة ومحكمات احاديث اهل البيت عليهم السلام مما صح عنهم فيستفهم
منها ما يجب اعتقاده وما يجب ان يعمل به ويثبته بشواهد عقله القويم
وفهمه المستقيم ويؤيده بواردات ترد على ذهنه المصفى باعماله الصالحة
المرضية وقلبه المنور بهبوب خلاقه المهذبة الزكية فان شرف العقل لا يخفى
ولولاه لما عرف الشرع وكانه شرع من داخل كما ان الشرع عقل من خارج وهما
يتعاضدان ويتظاهران الا ان بصيرا كانما مستحدان وفي الحديث ما ادى العبد

فرايض الله حتى عقل عنه ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ الكامل
والعقلاء هم اولوا الالباب ولا تظن ان خواص المؤمنين انما اصبوا بالله و
اليوم الاخر بمجادلات المتكلمين وادلة المجادلين بهيهات هيهات وانما عرفوا
الله بمثل ما قلناه من تعاضد العقل والشرع واجتماع النور الداخل مع النور
الخارج كاجتماع نور العين مع نور الشمس في الرقية والى مثل هذا العقل
اشير بقوله عز وجل يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يعني نور
العقل والشرع وفي الحديث ليس العلم بكثرة التعلم انما هو نور يقذفه الله
في قلب من يريد الله ان يهديه فهذا البصير ان تبين له الحكم بحيث لا شبهة
فيه ولا ريب يعتريه اخذ به وشكر الله وان اشتبه عليه الامر وكل علمه الى
الله والى امامه المنصوص عليه من الله وعمل فيه بالاحوط ولا يفتي في مثله
بالحتم والبت قال الصادق عليه السلام اما انه شر عليكم ان تقولوا بشيء
ما لم تسمعوه منا وقال عليه السلام كل علم لا يخرج من هذا البيت فهو باطل
واشار بيده الى بيته فلا يخترع من تلقاء نفسه قاعدة كلية غير مستحقة ولا موضوعة
ليقع الاختلاف فيه كنائية حجية خبر الواحد لعدم حجيته على الاطلاق التي
لم يحرر محل النزاع فيه قطعا ولن يحرر الى غير ذلك من القوانين المسماة عند
اهلها باصول الفقه بل يطلب في كل مسئلة اهمته رعاية خاصة يحرز الغرض
عليها وغاية ناصة تطمئن النفس اليها ولا يحكم بالمتشابه الا بالتشابه لانه
المحكم فيه وكيف يجوز ان يجعل المتشابه محكما وقد جعله الله متشابها فلا يبتغي
تاويله ولا يرده الى احد الطرفين كما يفعله الذي في قلبه زيغ وذلك لان الله
سبحانه جعل الامور ثلثة كما ورد في الحديث النبوي بين رشد فيتبع وبين غيه
فيجتنب ومتشابهات بين ذلك يردد حكمها الى الله والى الراسخين في العلم

العالمين بتاويله فكيف يطلب التشفي فيما حكم الله فيه بالتشابه مع ان في
المتشابه حكما ومصالح يمتحن الله بها اصناف عباده ولا يجمع ايضا بين الاخبار
المتعارضة الا بما اشار اليه المروي عنهم عليهم السلام من التفصيل الذي
ينتهي الى التخيير وبذلك ينجو البصير من المخالف والقول بالراي والجزاف فلا
اجتهاد عنده ولا راي ولا اجماع بل همه حوله الاعلى الرواية والدراية والسماع
ومعنى الاجماع عنده ليس الا اتفاق قدماء الاصحاب على العمل بالنص المشهور
بحيث صار من الضروريات حتى عند الجمهور كمسح الرجلين ونزع الخفين عند
الوضوء فالاجماع عنده تابع للنص مؤيد له لا النص مستنبط من الاجماع كالمشهور
بين طائفة من اهل الخلاف والنزاع واليه اشير في كلام الصادق عليه السلام
في خبر تعارض الاخبار خذ بالمجمع عليه بين اصحابك فان المجمع عليه لا ريب فيه
واما عوام هذه الفرقة فكيفية تفقههم ان ياخذوا مسائلهم عن خواصهم
ولو بواسطة او وسائط الا ان اليوم اشتبه عليهم الامر غاية الاشتباه
لالتباس من ليس من الخواص بالخواص واد خالهم انفسهم في جملتهم فصاروا
العوام حائرين بائرين لا يهتدون الى شيء ولا يدرون ايا من اي فالحزم لهم ان
يرجعوا في ذلك الى قوم مستبينين عارفين باهل البصيرة ليعرفوهم ايا هم فان لم
يتيسر فليستفت العامي من غلب على ظنه انه منهم وانه ممن لا يبيع دينه بدنيا
فان افتاه بحكم فليساله هل هذا الحكم في كتاب الله او سنة رسول الله او حديث
احد من المعصومين عليهم السلام فان قال نعم فليعمل به وان قال انه ليس في
شيء منها بخصوصه وانما يستفاد منها بالاستنباط او هو مما اجمعوا عليه من
غير نص يلغى فيه او يخرج ذلك سائغ حتى يصادف من اجابه من القران والحديث
بخصوص ونصوص او اشار له الى الاحتياط او التخيير فان فعل العامي ذلك

فهو المتفقه في تلك المسئلة هذا هو الحق المبين ومذهب قدماننا الامامية
وعليه المعول في الدين وليس لمن انتسب الى اهل البيت عليهم السلام وتسمى
بالشيعة والامامي والاثني عشري الا الاخذ بذلك فان خرج عن هذا الطريق
الى شيء من طرق المخالفين من غير عذر فقد خرج عن صدق هذا الانتساب
وهذه التسمية على وجهه وان لم يشعر بذلك ثم لا تظن ان العلم بصدق
نسبة مضمون اخبار المعصومين عليهم السلام اليهم لا بد ان يكون كالعلم
بوجود هند في الوضوح والاتان والقوة او تواترها كتواتره والا فمتى اخبار احاد
لا تفيد الا الظن كلا كيف ولو زعمت ذلك فاراك فستيقن بامامتهم لان قوة
علمك بامامتهم ليست كقوة علمك بوجودهم ولا تواترها كتواتره قطعا
بل اراك لم تعرف بعد ان اليقين كالظن له مراتب في القوة والضعف و
انه يزداد بازدياد نوري العقل والشرع واعتضاد كل منهما الاخر وان في
الاحكام الشرعية يكفي باقل مراتبه مع ان اكثر الاخبار الاحكامية ليست في
القوة باقل من اخبار الامامة متنا وسندا فكل ما الطمانت اليه النفس من
الاخبار تعمل به وكل ما لم تركن اليه فدعه في سنبله روى في الكافي باسناده
عن ابي عبد الله عليه السلام انه سئل عن اختلاف الحديث يرويه من يثق
به ومنهم من لا يثق به قال اذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهدا من
كتاب الله او من قول رسول الله صلى الله عليه واله والا فالذي جاءكم به
اولى به وفيه باسناده عنه عليه السلام قال كل شيء مردود الى الكتاب و
السنة وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو مزخرف وفي عيون الاخبار عن
الرضا عليه السلام في حديث طويل قال في اخره بعد ذكر العرض على الكتاب ثم
السنة ثم التخيير والرد الى رسول الله صلى الله عليه واله وما لم تجدوه

في شيء من هذه الوجوه فردوا الينا علمه فنحن اولى بذلك ولا تقولوا فيه بارائكم
وعليكم بالكف والتثبت والوقوف وانتم طالبون باحثون حتى ياتيكم البيان
من عندنا وقد ورد في الحث على العمل باخبارهم عليهم السلام اخبار بلغت
قريبا من مبلغ التواتر منها ما يدل على جواز الاخذ بها وان صدرت عن تقية
ومنها ما يدل على جواز العمل بها وان لم يصدر عنهم عليهم السلام في الواقع
وهو قول الصادق عليه السلام من بلغه شيء من الثواب على شيء فصنعه
كان له اجره وان لم يكن على ما بلغه وذلك لانه تسليم وطاعة وانقياد لادائه
فيه ولا اجتهاد وقال الصادق عليه السلام احتفظوا بكتبكم فانكم سوف
تحتاجون اليها وقال لمفضل بن عمر اكتب وبث علمك في اخوانك فان مت
فاورث كتبك بنيك فانه ياتي على الناس زمان هرج لا يانسون فيه الا بكتبهم
وقال صاحب زماننا صلوات الله عليه واما الحوادث الواقعة فارجعوا
فيها الى رواة حديثنا فانهم حجتي عليكم وانا حجة الله عليهم وبالجملة اذنوا
في الاخذ بالاخبار والكتب بالتسليم والانقياد ولم ياذنوا في الاخذ بالاراء و
الاجتهاد بل نهوا فليس لنا الا الاتباع والاقتصار على السماع من دون ابتغاء
الدليل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل **فصل** ومن فضل الله
علينا ولطفه بنا وله الحمد اضعاف ما حمده الحامدون ان جعل لنا اماما
بعد اماما ظاهرا فينا وان كان مستورا على اعدائنا الى ان انقضى من الهجرة
النبوية ماءتان وستون سنة ثم جعل الاخير بعد غيبته سفيرا الى قريب
من تمام للثمانة وثلثين سنة وكان اصحابنا في هذه المدة المديدة باخذون
العلوم الدينية ظاهرها وباطنها من بعدنا على اطمينان من قلوبهم وافراح من
صدورهم بعقد قابليتهم ومنزلتهم فاغنانا الله بذلك عن تقليد

من لا يجوز تقليده ويحاسبهم به من جيرة الجيران وبعد انقضاء هذه المدة كانوا
يرجعون الى الاصول المأخوذة عنهم المشتملة على اكثر ما يحتاج اليه الناس
حتى شذ مسئلة ضرورية لا يكون فيها حكم جزئي او كلي عنهم عليهم السلام
وفوله من وفق قال امير المؤمنين عليه السلام يا معشر شيعتنا والمنتحلين
ولايتنا اياكم واصحاب الراي فانهم اعداء السنن تفلتت منهم الاحاديث
ان يحفظوها واعيتهم السنة ان يعوها فاتخذوا عباد الله خولا ومالة دولا
فذلت لهم الرقاب واطاعهم الخلق اشباه الكلاب ونازعوا الحق واهله
فتمثلوا بالائمة الصادقين وهم من الجهال الملاعين فسئلوا عما لا يعلمون
فأنفوا ان يعترفوا بانهم لا يعلمون فعارضوا الدين بارائهم وضلوا فاضلوا
اما لو كان الدين بالقياس لكان باطن الرجلين اولى بالمسح من ظاهرهما وقد
الباقر عليه السلام من افتى الناس برايه فقد دان الله بما لا يعلم ومن دان
الله بما لا يعلم فقد ضاد الله حيث احل وحرم فيما لا يعلم وعن الصادق
عليه السلام انه قيل له ترد علينا اشياء لا نعرفها في كتاب ولا سنة
فنظر فيها فقال لا اما انك لو اصبت لم تؤجر وان اخطات كذبت على الله وقال
امير المؤمنين عليه السلام في فما اختلف الفتيا تردعلى احدهم القضية
في حكم من الاحكام فيحكم فيها برايه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم
فيها بخلاف قوله ثم يجتمع القضاة بذلك عند امامهم الذي استقضاهم
فيصوب اراءهم جميعا والههم واحد وكتابهم واحد ونبيهم واحد افامرهم الله
سبحانه بالاختلاف فاطاعوه ام نهاهم عنه فعصوه ام انزل الله سبحانه
دينا ناقصا فاستعان بهم على اتمامه ام كانوا شركاء له فلهم ان يقولوا
وعليه ان يرضى ام انزل الله دينا تاما فقصر الرسول عن تبليغه واداءه

والله سبحانه يقول ما فرطنا في الكتاب من شئ وفيه تبيان لكل شئ
وذكر ان الكتاب يصدق بعضه بعضا وانه لا اختلاف فيه فقال سبحانه
ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وان القرآن ظاهره
انيق وباطنه عميق لا تفنى عجايبه ولا تنقضي غرايبه ولا تنكشف الظلمات
الا به وعنه عليه السلام اعلموا عباد الله ان المؤمن يستحل العام ما يستحل
عاما اول ويحرم العام ما حرم عاما اول وان ما احدث الناس لا يحل لكم شيئا
مما حرم الله عليكم ولكن الحلال ما احل الله والحرام ما حرم الله **فصل**
واما علة الكلام فحاصل ما يشتمل عليه من الادلة التي ينتفع بها في القرآن و
الاخبار مشتمل عليه وما خرج عنها فهو اما مجادلة مذمومة واما مشاغبة
بالتعلق بمتناقضات الفرق وتطويل بنقل المقالات التي اكثرها ترهات و
هذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع واكثرها خوض فيما لا يتعلق بالدين
ولم يكن شئ من ذلك مألوفا في العصر الاول وكان الخوض فيه بالكلية من
البدع ولكن اليوم صار مما لا بد منه مراسة لقلوب العوام عن تخيلات
المبتدعة وانما احدث ذلك بحدوث البدع كما احدث حاجة الانسان الى
استيجاد البدقة في طريق الحج لحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ولو
تركت العرب عداوتهم لم يكن استيجار المكاس من شروط طريق الحج والمتكلم ان
تجرد للمناظرة ولم يسلك طريق الاخرة ولم يشتغل بتعهد القلب واصلاحه
لم يكن من جملة علماء الدين اصلا اذ ليس عند المتكلم من الدين الا العقيدة
التي يشارك في سائر العوام فيها وهي من جملة اعمال الظاهر القلب واللسان و
انما يتميز عن العامي بصنعة المجادلة والحراسة فاما معنى معرفة الله سبحانه و
صفاته وافعاله وجميع ما اشرنا اليه من العلوم الدينية فلا يحصل من

على الكلام بل يكاد يكون الكلام حجابا وما نهانا عنه وامرنا الوصول اليه
بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال تعالى
الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا قال امير المؤمنين عليه السلام من
طلب الدين بالجدل تزندق وروي عن ابي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام
اجلس حتى نتذاكر الدين فقال ايها انا بصير بديني مكشوف علي فجداي فان
كنت جاهلا بديني فاذهب فاطلبه مني الحديث وعن الباقر عليه السلام
الخصومة تحق الدين وتحبط العمل وتورث الشك وعن الصادق عليه السلام
لا تجالسوا اهل الاهواء ولا تواضعوا له وعن الكاظم عليه السلام انه قال لعلي
بن يقطين ايرضى اصحابك ان تكونوا مثل السنهريه يعني الخصومة في الدين
وبجتهدون في عبادة الله عز وجل ويعني الرضا عليه السلام انه سئل
عن مكالمة اهل هذه الاهواء عن الكلام في الدين فقال اولئك اليهود المتكلمون بهذه
انما نهى عن الاجبار ان يتكلم فيما لم يجبر ان يتكلم فيه فهذا في ذلك
كما تأولوا فمكث عليه السلام الحسن وغير الحسن لا يتكلم فيه فان ائمة
اكبر من ان تفعله فصل انما منعوا من الجدال والمناظرة لان لها آدابا و
شروطا لابد من مراعاتها وافات يجب التجنب عنها وقل من يهتدي اليها او
يوفي بما يجب والا فالجدال التي هي احسن مأمور به قال ابو محمد العسكري
عليه السلام ذكر عند الصادق عليه السلام الجدال فقال الصادق عليه السلام لم يرض الله
والائمة عليهم السلام منه ولا عنه فقال الصادق عليه السلام لم يرض الله عنه
مطلقا ولكنه نهى عن الجدال بغير التي هي احسن لما تعرف الا بتوقل ولا
تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن وقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن فالجدال بالتي هي احسن قد امر به

بالدين والجدال بغير التي هي احسن محرم حرمه الله على شيعتنا وكيف
يحرم الله الجدال جملة وهو يقول وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا
او نصارى قال الله تعالى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين
فجعل علم الصدق الاتيان بالبرهان وهل يؤتى بالبرهان الا في الجدال
بالتي هي احسن فقيل يا ابن رسول الله فالجدال بالتي هي احسن والتي ليست
باحسن قال الجدال بغير التي هي احسن فان تجادل مبطلا فيورد عليه
باطلا فتدع قوله تجهة فانصبها الله تعالى ولكن تجدع بما يدفع ذلك المبطل ان
يعرض بباطله فتجد فيه ذلك المخرج مخافة ان يكون له عليك فيه حجة لانا لا ندري
كيف المخلص منه فذلك مراد علي شيعتنا ان يصبروا فتنه على ضعفاء اخوانهم
وعلى المبطلين اما المبطلون فيجهلون ضعف الضعيف منكم اذا قاطعهم
بجادلته وضعف شبهته بحجة لدحل باطله واما الضعفاء فمنهم قلوبهم لما
يرد عليهم من ضعف الحق في يد المبطل واما الجدال بالتي هي احسن وهو ما
امر الله به نبيه ان يجادل به من جحد البعث بعد الموت واحياء الله له
فقال الله تعالى حكاية عنه وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام و
هي رميم قال الله في الرد عليه قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل
خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا الى آخر السورة فاراد الله من
نبيه ان يجادل المبطل الذي قال كيف يجوز ان يبعث هذه العظام وهي رميم
فقال الله يحييها الذي انشاها اول مرة اعجز من ابتداء لا من شيء ان يعيده
بعد ان بلى بالابتداء اصعب عندكم من اعادته ثم قال الذي جعل لكم من
الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون اي فاكمن النار الحارة في الشجر الاخضر
الرطب ثم يستخرجها فتوقدون بها فمن قدر على اعادة ما بلى ممن قدر على
ابتداء ما لم يكن ثم قال اوليس الذي خلق

قوله او تجهد ؟

السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم
انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء
وانه ترجعون واعلم يا اخي ان خلق السموات والارض اعظم واشد في اوهامكم وقد ذكر
ان تقدر عليه من اعادة البالي المكيث جوزتم من الله خلق هذا الاعجب عندكم
والاصعب لديكم ولم تجوزوا عليه ما هو ايسر عندكم من اعادة البالي
قال الصادق عليه السلام فهذا الجدال بالتي هي احسن لان فيها قطع عذر
الكافرين وارادة الله سبحانه واما الجدال بغير التي هي احسن فان تجهل امرا
يمكنك ان تعرف بينه وبين باطله دليلا واما تدفعه من باطله وان
تجهل الحق فتهلك هو الجهل لانك سئلته مجهدا عنه وحقا وجدت انت حقا الفر
فصل وللعلم الشائع صفات وعلامات واداب فعن الصادق عليه السلام
في قول الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء قال يعني بالعلماء من صدق
فعله قوله ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم وعنه عليه السلام اطلبوا
العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار وتواضعوا لمن تعلمون منه العلم وتواضعوا
لمن علمتموه منكم العلم ولا تكونوا علماء جبابرة فيذهب باطلكم بحقكم وعن
الرضا عليه السلام قال ان من علامات الفقه العلم والصمت وعن الصادق
عليه السلام قال قال امير المؤمنين عليه السلام الا اخبركم بالفقيه حق الفقيه
من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم يرخص لهم في
معاصي الله ولم يترك القرآن رغبة عنه الى غيره الا لا خير في علم ليس فيه تفهم
الا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر الا لا خير في عبادة لا فقه فيها الا لا خير في
نسك لا ورع فيه يعني ان الفقيه حقيقته نفس الامر يكون عالما المراد من العلم
والوصف جميعا ما ورد المقصود من الاوامر والنواهي جملة بل كل طائفة بعضها
الى بعض وانما عرف الفقيه بهذه العلامات السلبية لان اكثر من يسمى عند

الجمهور بهذا الاسم في كل زمان يكون موصوفا باضدادها فكانه عليه السلام
عرض العلماء السوء والفقهاء الزهد وقد ظهر بكل علامة مذهبا من
المذاهب الباطلة اما اكثرية الاصول والفروع فالاولى ابطل مذهب المخالفة
العالمة باجماع الوصية وتخليد صاحب الكبيرة في النار ومذهب الخوارج
المصيبة في التكاليف الشرعية والثانية مذهب المرجئة ومن يجري
مجراهم من المنكرين بالشفاعة وحقة الاعتقاد والثالث مذهب الحنابلة
والاشاعرة ومن شابههم كاكثر المتصوفة والرابعة مذهب المتفلسفة الذين
اعرضوا عن القرآن واهله وحاولوا اكتساب العلوم والعرفان من كتب هؤلاء
الفلاسفة ومذهب المقشفة الذين عطلوا المعاش وتركوا القرآن والحديث
والعلم الذي ليس فيه تفهم كالعلوم اللفظية والتقليدية ومجرد حفظ
الاقوال والرمليات مما ليست بعلم الحقيقة وعن الباقر عليه السلام
انه سئل عن مسئلة فاجاب فيها فقال الرجل ان الفقهاء لا يقولون هذا
فقال يا بجاد وهل رايت فيما بين لابتيها افقه من الفقيه الزاهد الذي
يرغب في الاخرة ويعمل سنة النبي صلى الله عليه وآله وعن الصادق
عليه السلام قال طلبة العلم ثلثة فاعرفهم باعيانهم وصفاتهم صنف
يطلبه للجهل والمراء وصنف يطلبه للاستطالة والختل وصنف يطلبه
للفقه والعقل فصاحب الجهل والمراء موذ ممار متعرض للمقال في اندية
الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم قد تسربل بالخشوع وتخلى من الورع فدق الله
من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه وصاحب الاستطالة والختل ذو تخب
وضلع يستطيل على مثله من اشباهه ويتواضع للاغنياء من دونه فهو لحلوائهم
هاضم ولدينه عاصم فاعمى الله على هذا خبره وقطع من آثار العلماء

اثره وصاحب الفقه والعقل وكابة وحزن وسهر ويحاذر في وقته و
قام الليل في حندسه يعمل ويخشى جهاده اميا شفقا مقبلا على شأنه عاقلا
عارفا بأهل زمانه مستوحشا من أوثق اخوانه فشد الله منه هذا أكتافه وأعطاه
يوم القيمة أمانه وعن النبي صلى الله عليه وآله العلماء رجلان رجل عالم
آخذ بعلمه فهذا ناج ورجل عالم تارك لعلمه فهذا هالك وإن أهل النار ليتأذون
من ريح العالم التارك لعلمه وإن أشد أهل النار ندامة وحسرة رجل
دعا عبدا إلى الله فاستجاب له وقبل منه فأطاع الله فأدخله الله الجنة
وأدخل الداعي النار بتركه طلبه واتباعه الهوى وطول الأمل أما اتباع الهوى
فيصد عن الحق وطول الأمل ينسي الآخرة وعنه صلى الله عليه وآله ثلاثة
لا يشبعان طالب دنيا وطالب علم فمن اقتصر من الدنيا على ما أصاب فقد نجا
سالما ومن تناول منها من غير حلها أهلكته ولا نجاة له يوم القيامة ومن أخذ العلم
من أهله وعمل بعلمه نجا ومن أراد به الدنيا فهي حظه وعن الصادق عليه السلام
مكتوب في الإنجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون وما تعلموا بما علمتم فإن العالم إذا
لم يعمل بما علم لم يزدد صاحبه إلا كفرا ولم يزدد من الله إلا بعدا وعن الباقر عليه السلام
من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف به وجوه
الناس إليه فليتبوأ مقعده من النار إن الرياسة لا تصلح إلا لأهلها وعن الصادق
عليه السلام العلماء ثلاثة عالم عالم بعلمه وعالم لم يعلم بعلمه وعالم لم يعلم بعلمه
فالعالم الذي علم بعلمه هو الذي يعلم فيوافق علمه عمله وعالم علم بعلمه
ولم يعمل بعلمه وعالم لم يعلم بعلمه فهذا الذي يخرج في الدنيا فاتحا على
يديه كل مجب لشيء يحب الطرب فصل ينبغي للعاقل أن يطهر نفسه
أولا من رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف إذا العلم عبادة القلب وصلوته
السرية به الباطن إلى الله كما لا تصح الصلوة التي هي ظيفة الجوارح الظاهر

من الأنجاس والأحداث والأخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن
وعبادة القلب بالعلم الا بعد طهارته من خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف
قال النبي صلى الله عليه وآله بني الدين على النظافة وهو كذلك ظاهرا وباطنا
وقال الله تعالى إنما المشركون نجس فنبه بالنجس المعقول على أن الطهارة والنجاسة
غير مقصورتين على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب
مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر لتواطنه على أنواع النجاسات والنجاسة عبارة
عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن أهم بالاجتناب فإنها
مع خبثها في الحال مهلكات في المآل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه
وآله لا يدخل الملائكة بيتا فيه كلب والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط
الوحي ومحل استتارهم والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد
والحسد والكبر والعجب ونحوها كلاب نباحة فأي بيت دخله الملائكة وهو مشحون
بالكلاب ونحوها لا يمكنهم الله عز وجل من القلب الا بواسطة الملائكة
فصل وينبغي للعالم أن يخلص عمله من غير طمع وأن يشفق على
المتعلم وينصحه ويقصر على قدر فهمه وأن يبذل العلم لأهله ويمنع غير
أهله وعن الصادق عليه السلام قال قام عيسى بن مريم خطيبا في بني إسرائيل
فقال يا بني إسرائيل لا تحدثوا الجهال بالحكمة فتظلموها ولا تمنعوها أهلها
فتظلموهم ولا تبتدئوا بالعلم قبل السائل وعن الباقر عليه السلام ما أخذ الله على العباء
قال أن يقولوا لما يعلمون حتى يعقدوا عند الجاهلين وعن الصادق عليه السلام
قال إن الله خص عباده بآيتين من كتابه أن لا يقولوا حتى يعلموا ولا يردوا ما لا يعلموا
وقال ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق وقال ولا تقف ما ليس لك به علم
لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله وعنه عليه السلام أيما رجل خصلتين فيهما

فلله من عباده الذين تفني الناس بما يأمرهم به ولا يعلمون عما لا يعلمهم وعن الباقر
عليه السلام من ادعى من الناس بغير علم ولا هدى من الله لعنته ملائكة الرحمة
وملائكة العذاب وكان عليه وزر من عمل بفتياه اذ بالعلم يستفاد ما يستفاد من
الاخبار الالهية والالهامات الحقة كما هو للائمة عليهم السلام وبالجملة
ما يسمع من اهل بيت النبوة كما هو لنا وعباد ملائكة الرحمة الصادرين لمحض الاجابة
الى مقاماتهم في درجات الجنان عند ملائكة العذاب الساقرين لمحض الاشراد
الى مقاماتهم في دركات الجحيم والنبراس وعن الصادق عليه السلام انما سمي
الرجل بكرا لانه يبكر في كل شيء قبل الناس وعن الباقر عليه السلام خير في قلب حاصه
شكاء واذا قال المسئول لا ادري فلا تتعلقوا بالسائل وينبغي ان يراد
العبادة قد سبحانه ان يحصل اولا العلم بكيفية ملك العبادة من مباحثه
ماخذ العلوم وهي اما اهل بيت النبوة الذين هم مهابط الوحي ومنابع الحكمة
الاخذين علومهم من الله سبحانه بسند الباقر عليه السلام عن جبرئيل عن الله تعالى
فليتظر الانسان الطعامه قال علمه الذي يأخذ منه وبما كان غير الاية نظام
لم يبعث الله واغما تعرض لتاريها وعن النبي صلى الله عليه وآله من عمل بغير
علم كان ما يفسد اكثر مما يصلح وعن الصادق عليه السلام العامل على غير
بصيرة كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعة السير الا بعدا والشرف في الدنيا
اصلاح القلب وتطهيره بالعبادات الحسابية وتصفية النفس وتهذيبها
بالاعمال البدنية ليست مقصورة باللذات لانتهاكها الاعمار للملكات والعبد لا
يكون مطلوبا الا بالعرض انما المطلوب ان تنكشف له المعارف الحقيقية من
العالم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر لكل انسان بحسب عقله
وفهمه على تفاوت مراتبهم في ذلك فلا تكشف هذه المعارف الا بان

ما العبادة

يقع ذلك الاصلاح والتطهير على وجهه ماخوذا من صاحب الشرع
صلوات الله عليه مع اعتقاد صحيح ولو بالسماع منه فمن اقتصر في سلوكه
على حر العمل بالرياضة والمجاهدة من غير بصيرة ولا معرفة بالتصفية
تصير به الاطيبة او تتراكب النفس بالخواطر الوهمية ويستولي عليها الوساوس
النفسانية فيتوشل القلب حيث لا يتقدم له رياضة النفس بالعلوم الحقة
والافكار الصحيحة ولم يأخذ كيفية العبادة عن صاحب الشرع وخلفائه
صلوات الله عليهم فيتشبث بالقلب خيالات فاسدة وتصورات باطلة
وادعاءات كاذبة وربما يخيل شيء في ذات الله سبحانه وصفاته اعتقادات فاسدة
من باب الكفر والزندقة وشيء منها صحيحة معتقد نفوذ باطنه منه وربما
يتشدد به غير فيصلح شره ويصير من الجاهلين المتنسكين القاصرين
للظهر به مع ذلك قد اغتر من اعجاب نفسه وافتخار بعمله واغتر بعبادته
وينظر الى صائر الناس بعين الاستهانة والازدراء وربما يتشوش باطنه بامراض
نفسانية تظهر عليه فاذا عنها غير ملتفت الى معالجتها واذا التفت ربما يظن الزائل
فضائل والعيوب كمالات كما اخبر الله سبحانه بقوله قل هل ننبئكم بالاخسرين
اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا قال
امير المؤمنين عليه السلام قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك
فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه وقال الصادق عليه السلام
لا يقبل الله عملا الا بمعرفة ولا معرفة الا بايمان فمن عرف دلته المعرفة على العمل
ومن لم يعمل فلا معرفة له الا ان الايمان بعضه من بعض معانا ان كل معرفة
تقرر الا وصفا في النفس وكل حال تحل صاحبه على عمل وعبادة وكل عبادة تقرر
حالا اخر وصفا غير الاول وهو بشرط معرفة لنزي سوى الاصل وهكذا يتكامل

ايمان المرء بالمعرفة والصفاء حتى يبلغ الغاية ويخلص من الشك والشبهة
والسنة في مقام الامن والراحة واصلا الى عين اليقين وتمثل المثل من
بمشي فيه راس في ظلمة فكلما اضاء له من الطريق قطعه مشى فيها فمضى
ذلك المشي سببا لاضاءة قطعة اخرى منه وهكذا وفي الحديث النبوي
صلى الله عليه واله من علم علما علمه الله علم ما لم يعلم حمل
قد عدد في فهم اهل البدع والاهواء والجهال المشتبهين بالعلماء اسبابا كثيرة
عن ائمة الهدى صلوات الله عليهم ولنورد منها اسبابا تكون امورا مما
سواها عن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله
اذا ابتدا اهل البدع والريب من بعدي فاظهروا البراءة منهم واكثروا
من سبهم والقول فيهم والوقيعة بهم وباهتوهم حتى لا يطمعوا في الفساد في
الاسلام ويحذرهم الناس ولا يتعلمون من بدعهم يكتب الله تعالى لكم بذلك
الحسنات ويرفع لكم به الدرجات وقال صلى الله عليه واله اذا ظهرت
البدع في امتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله وقال صلى
الله عليه واله ان عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الاسلام ولنا
اهل بيت ينبه عنه ينطق بالحق من الله ويعلمه الحق ويريه وبه يدفع الله كيد
يعتبر عن الضعفاء فاعتبروا يا اولي الابصار وتوكلوا على الله وقال صلى الله
عليه واله كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وقال امير المؤمنين عليه
السلام في خطبة له انما بدء وقوع الفتن اهواء تتبع واحكام تبتدع يخالف
فيها كتاب الله ويتولى عليها رجال رجالا على غير دين الله فلو ان الباطل خلص
من مزاج الحق لم يخف على ذوي الحجى ولو ان الحق خلص من لبس الباطل
انقطعت عنه السن المعاندين وما يحذر من بعد ما ضعف وصول
صفقت جزيرة فجمعت معارفها لذلك استحوذ الشيطان على اوليائه وعلى

الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقال عليه السلام ان من ابغض
الخلق الى الله تعالى لرجلين رجل وكله الله الى نفسه فهو جائر عن قصد
السبيل مشغوف بكلام بدعة قد لهج بالصوم والصلوة فهو فتنة لمن
افتتن بضلاله عن هدى من كان قبله مضل لمن اقتدى به في حيوته وبعد
موته حمال خطايا غيره رهن بخطيئته ورجل قمش جهلا في جهال الناس عاث
باغباش الفتنة فسماه اشباه الناس عالما ولم يغن فيه يوما سالما بكر فاستكثر
مما قل منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى من اجن واكثر من غير طائل جلس بين الناس
قاضيا ضامنا لتخليص ما التبس على غيره وان خالف قاضيا سبقه لم يامن ان
ينقض حكمه من يأتي بعده كفعله ببركان قبله وان نزلت به احدى المبهمات
اعضل عليه بما احشو من رايه ثم قطع فهو من لبس الشبهات في مثل غزل
العنكبوت لا يدري اصاب ام اخطا لا يحسب العلم في شيء مما انكره ولا يرى
ان وراء ما بلغ فيه مذهبا ان قاس شيئا بشيء لم يكذب نظره وان اظلم عليه
امر اكتم به لما يعلم من جهل نفسه بكي الصواب لكيلا يقال له لا يعلم ثم
حرز مقتني فهو مفاتيح عشوات مكاب شبهات خباط جهالات لا يعتذر
مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم يذري الروايات في
ايدي الهشيم تكي منه المواريث وتصرخ منه الدماء يستحل بقضائه الفرج
الحرام ويحرم بقضائه الفرج الحلال لا ملي باصدار ما عليه ورد ولا اهل
لما استه فرط من ادعائه علم الحق وقال عليه السلام الى الله اشكو من معشر
يعيشون جهالا ويموتون ضلالا ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا تلي
حق تلاوته ولا انفق سلعة واغلى ثمنا من الكتاب اذا حرف عن مواضعه ولا
عندهم انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر وعن الصادق عليه السلام

ان اصحاب المقاييس طلبوا العلم بالمقاييس فحرموا من الحق الاعجدا
وان دين الله لا يصاب بالمقاييس عن الكاظم عليه السلام من نظر برأيه
هلك ومن ترك كتاب الله وقول نبيه كفر ولما كان غرضنا في هذا الكتاب
مقصورا على حقايق العلوم الدينية اكتفينا بذلك ولم نتعرض لا تيد منه
ولا للعلوم الاخر وقد امر المؤمنين عليه السلام انه قال العلم اكثر من ان
يحاط به فحسبك من كل علم احسنه وفي رواية اخرى فان العمل بكل ما
تعلم منه قربة الى الله سبحانه وفي رواية اخرى فان العمل بكل ما علمت
قربة الى الله سبحانه قد بشر هادي الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب

الباب الثاني في العقايد اعلم ان العقايد لا يجوز اخذها الا توقيفا
من الله سبحانه بواسطة الانبياء ثم الاوصياء مع ما فطر الناس عليه من
المعرفة قال الله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك
الدين القيم فقد دل ان المراد بها المعرفة وفي رواية التوحيد وفي الحديث
النبوي كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه الفطرة
في الاصل الجبلة وهي عبارة عن العقل المطبوع الذي هو شرع من قبل كما
ان الشرع عقل من خارج فان العقل كالسراج والشرع كالزيت يمده فما لم
يكن زيت لم يشتعل السراج وما لم يكن سراج لم يضئ الزيت وايضا العقل
كالبصر والشرع كالشعاع ولا ينفع البصر ما لم يكن شعاع من خارج ولا يضئ
الشعاع ما لم يكن بصر فاذا جاء كم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من
اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه فحققا
لانفسكم عزا واعتزلوهم واعرضوا عن سلم واتبعوا هواهم تضلوا واضلوا

ثم ان اعقل العقلاء نبينا صلى الله عليه واله وخير الشرايع شرعه و
انما ارسله الله وانزل معه الكتاب ليقوم الناس بالقسط فصدع بامر الله و
هدى الخلق الى صراط الله وارشدهم الى معرفة صانعهم وبوأهم دار هجرتهم و
برهان ذلك انه قد تضمن كتابه الحجج على اثبات الصانع وصفاته وعلى
النبوة والمعاد وعلى جميع ما يتعلق بالعقايد الدينية وقد اشار الى ذلك
في كل طايفة من ذلك بما يصلح لعقلها وفهمها من برهان وخطابة وجدال
الى غير ذلك من وجوه اعجاز القرآن ليكون ذلك على بصيرة من امرهم وليهلك
من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فلا كان لهم اعذار بينهم بحيث لا يحتج
احد منهم على الله بما يعتريهم من امر الدين وليس لقايل ان
يقول ان ثبوت الانبياء والشرايع يتوقف على ثبوت الصانع وصفاته الكمالية
فكيف يعرف الصانع وصفاته بالانبياء والشرايع وذلك لانا نقول لو لم يكن صانع
هذا الكلام والبيان مقبول العقل ومعصوم الفعال لكان فيها الحجة من حيث
مطابقتها لمقتضى العقول السليمة فان براهينه هي المسبعة وبيانه وحجه
هي المذهبة على ان ما يتوقف عليه الشرع من معرفة الصانع وصفاته يجري
مجرى الضروريات التي يحكم بها كل من له ادنى مسكة قال الله عز وجل ولئن
سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فقد ثبت ان ما ورد في
الشرع كان في الاغلب الى سبيل الحث مع ما جبل عليه اهل السلامة
من العقل المطبوع فلا حاجة الى تكلفات المتكلمين على اختلافهم طبقا
وشعبا انهم وان اقتصروا انهم في ابطال الادلة وانهاض الحجج على امور
الدين فانهم جمعوا بين الجهل وسوء الادب اما الجهل فلكونهم ما عرفوا
موضع الدلالة مما نصبه الحق دليلا واما سوء الادب فمما رضيه لهم سحانه
مما فعلوا فيه مما يزعزعه دليلا فجعلوا نظرهم في الدين اقوى في الدلالة مما

د عليه الحق تعالى عن قائل افانزل الله دينا ناقصا فاستعان بهم على اتمامه
ام انزل الله دينا تاما فقصر الرسول عن تبليغه وادائه والله سبحانه يقول
ما فرطنا في الكتاب من شيء وفيه تبيان كل شيء فذكر ان كتاب الله
القرآن ظاهره انيق وباطنه عميق لا تفنى عجايبه ولا تنقضي غرايبه ولا
تكشف الظلمات الا به فصل لما ثبت ان خير ما نال الله سبحانه نبيا
صلى الله عليه وآله وقد ثبت انه ترك من بعده لخلافته الثقلين كتاب الله
عز وجل ووصيه المصطفين وما اوصى اليه وفي ذلك الا تسليم بهما كما استفاض به
الاخبار من طريق العامة والخاصة جميعا على اختلاف في اللفظ واتفاق في
المعنى فمن رعاية الله تعالى لعباده ان نصبكم مدار نصبا واحدث كتاب الله
وصرف اهل بيته فانه تعالى جعلهم احق واحامل الحوض ومن بعده انزانهما ان علم الكتاب
كله هو عند العترة ضرورة لسلوكهم جميعا احيا وسنة وعاية او امرة
مقبوضة واوشك ان الحق واجب وقد تركت فيكم الثقلين وفي اخرى الاكبر
منهما كتاب الله سبب طرف بيد الله وطرف بايديكم فتمسكوا به لا تزلوا ولا تضلوا
ولا تقضوا والاصغر منهما عترتي فلا تقدموهم ولا تقصروا عنهم وفي رواية اخرى
الحديث بن داعلى الحوض فاعطاني فضاهرها قاهري وباطنها باطل وعليها والي
وعندها عدوي وفي رواية وهما الخليفتان بعدي وسئل امير المؤمنين عليه السلام
عن معنى الحديث من العترة فقال انا والحسن والحسين والتسعة من ولد الحسين
تاسعهم مهديهم وقائمهم لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقونه حتى يردوا على
رسول الله حوضه وفي رواية من جعلها امامة قادته الى الجنة ومن جعلها
قادته الى النار وفي الخبر المستفيض ان مثل اهل بيتي كمثل سفينة نوح من
ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وفي الكافي عن الباقر عليه السلام قال

رسول الله صلى الله عليه وآله انا اول وافد على العزيز الجبار يوم القيمة
وكتابي واهل بيتي ثم امتي ثم اسالهم ما فعلتم بكتاب الله واهل بيتي و
عن الصادق عن ابائه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ايها الناس
انكم تغدون وتروحون على اجل سفر بكم السير كم سريع وقد رايتم الليل
والنهار والشمس والقمر يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد ويأتيان
بكل موعود فاعدوا الجهاز لبعد المجاز فقام المقداد بن الاسود فقال يا رسول
الله وما دار الهدنة فقال دار بلاغ وانقطاع فاذا التبست عليكم الفتن كقطع
الليل المظلم فعليكم بالقرآن فانه شافع مشفع وماحل مصدق من جعله
امامه قاده الى الجنة ومن جعله خلفه ساقه الى النار وهو الدليل يدل على
خير سبيل وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل وهو الفصل ليس بالهزل
وله ظهر وبطن فظاهره حكم وباطنه علم ظاهره انيق وباطنه عميق له نجوم
وعلى نجومه نجوم لا تحصى عجايبه ولا تبلى غرايبه فيه مصابيح الهدى ومنار
الحكمة ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة فليجل جال بصر ولبالغ الصفة
ج من عطب وخلص من شبه فان التفكر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في
الظلمات بالنور فعليكم بحسن التخلص وقلة التربص وعنه عليه السلام
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله القرآن هدى من الضلالة وتبيان
من العمى واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء من الاجداث و
عصمة من الهلكة ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا الى
الاخرة وفيه كمال دينكم وما عدل احد عن القرآن الا الى النار وعن الائمة
المعصومين عليهم السلام من لم يعرف بما من القرآن لم يتنكب الفتن و
عنهم عليهم السلام من اخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله

عليه السلام

وسلامه عليه والله ذات الجمال قبل ان تزل ومن اخذ دينه من افواه الرجال قال محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله بعد نقل هذا الحديث ولهذا العلة اشتدت على اهل دهرنا شوق هذه الاذيان الفاسدة والمذاهب المستشعة التي قد استوفت شرايطها الكفر والشرك كلها وذلك بتوفيق الله عز وجل وفعله لمن اراد الله توفيقه وان يكون اباده ثابتا مستقرا لسبب له الاسباب التي تؤديه الى ان يأخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله العمل وبصيرة فذلك الثابت في دينه من الجبال الرواسي ومن اراد الله خذلانه وان يكون دينه معارا مستودعا فرغ بالصفة سبب له اسباب الاعتصام والتقليد والتأويل من غير علم وبصيرة فذلك الصفو للمشية ان شاء امضى لها اتم ايمانه وان شاء سلبه اياه ولا يؤمن عليه ان يصير من سناء وبهي كافر اسيء موتاه بصيرا كافرا لانه كلما اراد كبيرا من الكبائر ماله عنه وكلما اراد شيأ اتى ظاهره قبله وقد قال العالم عليه السلام ان الله تعالى خلق النبيين على النبوة فلا يكونون الا انبياء وخلق الاوصياء على الوصية فلا يكونون الا اوصياء واعار قوما ايمانا فان شاء تمه لهم وان شاء سلبهم اياه قال وفيهم مرجى قوله مستقر ومستودع وعن جابر بن يزيد الانصاري قال لما انزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وآله يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم قلت يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن اولوا الامر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك فقال صلى الله عليه وآله هم خلفائي يا جابر وائمة المسلمين بعدي اولهم علي بن ابي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر وستدركه يا جابر فاذا لقيته فاقرأه مني السلام ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى

ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم سميي وكنيي حجة الله في ارضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الارض ومغاربها ذاك الذي يغيب عن شيعته واوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بامامته الا من امتحن الله قلبه للايمان قال جابر فقلت يا رسول الله فهل ينتفع شيعته به في غيبته فقال اي والذي بعثني بالنبوة انهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وان تجللها سحاب يا جابر هذا من مكنون سر الله ومخزن علم الله فاكتمه الا عن اهله

فصل اعلم ان الناس في فهم العقايد قد اختلفوا على طبقات ومنازل بعضها فوق بعض ليسوا في درجة واحدة وانما كلفت العباد بقدر ما قسم لهم من العقل والفهم والوسع قال الباقر عليه السلام ان الله قسم العقل على ثلاثة اجزاء فمن كان عقله هذا الجزء لم يكن له دين ومن كان عقله هذان الجزءان لم يكن له دين ومن كان عقله هذه الاجزاء الثلاثة كان مؤمنا مسلما ومن كان عقله هذه الاجزاء الاربعة كان نبيا او وصي نبي او ملكا مقربا وقال الصادق عليه السلام الايمان حالات ودرجات ومنازل فمنه التام المنتهي تمامه ومنه الناقص البين نقصانه ومنه الراجح الزايد رجحانه وقال ايضا الرجل الناس كيف خلق الله هذا الخلق لم يرد لعقله احدا فينبغي ان يسعى الى الصبي في اول نشوه وتميزه ترعية العقايد ليحفظها حفظا ثم لا يزال ينكشف معناه في كبره شيأ فشيأ فابتداء الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والايمان والتصديق وذلك ما يحصل في الصبي غير برهان فضل الله على قلب الانسان فطرته في اول نشوه للايمان من غير حاجة الى حجة وبرهان وكيف يمكن ذلك مع جميع عقايد العوام مما يهيأ التلقين المجرد والتعليم

الحق بعد ان يكون الاعتقاد الحاصل بالجزم والتقليد خاليا عن نوع من الضعف
في الابتداء على بعض اندية بسبب الالف الذي نشأ فيه والقي اليه ولا جدير من تقويته
واثباته في نفس الصبي والعامي بحيث يرسخ به ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته
واثباته ان يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره
وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بطاعات العبادات فان ذلك يقوي اعتقاد
ويزداد رسوخا بما يقرع سمعه من ادلة القرآن ويجيء ويتردد عليه من مواعيد
الاحاديث وفوائدها وبما يطلع عليه من انوار العبادات وثمراتها وبما
يجري اليه من مشاهدة العالمين ومجالستهم ومذاكرتهم بما هم عليه من دوام
وعيانهم في الخضوع لله والخوف منه والاستكانة له فيكون ذلك من المتعلمين
كالقاء البذر في الصدد ويكون هذا الاشياء كالسقي والتربية له حتى ينمو ذلك
البذر ويقوى فيرتفع شجرة طيبة راسخة اصلها ثابت وفرعها في السماء
ينبغي ان يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة فان ما يشوش الجدل
اكثر مما يهديه وما يفسده اكثر مما يصلحه والمشاهدة تكشف وهذا بيانا
وناهيك بالعيان برهانا فهذه عقيدة اهل الصلاح والتقوى من عوام الناس
بعقيدة المتكلمين والمجادلين فمن اعتقاد العامي في اثبات الطول والشاطئ
لاخر كالدواهي والعوام في عقيدة المتكلم الخائض في اعتقاده بتقسيمات الجواهر
كخياط مرسل شعاع الهواء تنبيها الريح مرة هكذا ومرة هكذا والامر في جميعه سهل
الاعتقاد فلم نعده تقليدا كما لم نعد اعتقاد تقليدا والفرق بين التقليد
في تعلم الدليل وبعد تعلم المدلول فتأمل الدليل شيء والاستدلال بالنظر شيء
آخر بعيد عنه ثم الصبي اذا وقع نشوه على هذه العقايد فان اشتغل بكسب الدنيا
لم يتفرغ لغيرها ولكنه سلم من الاخرة باعتقاد الحق اذ لو يكلف الشرع العرب

اكثر من التصديق الجزم بظاهر هذه العقايد فاما البحث والتفتيش وتكلف
علم الادلة فلم يكلفوا اصلا ولو اراد ان يكون من سالكي طريق الاخرة وكان
اهل المدارس مساعدة التوفيق حتى اشتغل بالعلم وكلاه التقوى وهي المتفرغين
الورعة واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتح له ابواب من الهداية ويكشف عن
بصائر هذه العقيدة نور الهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده
تعالى الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية
مقصد الصديقين والمقربين وله درجات بحسب درجات المجاهدة ودقائق
الباطن من النظافة والطهارة عما سوى الله وهي الاستضاءة بنور اليقين
وذلك كثيرون الخائض في اسرار الطب والفقه وسائر العلوم اذا يخالفه ذلك
باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطر في الذكاء والفطنة فكما لا ينحصر تلك
الدرجات فكذا هذه واما تفصيل متعلقات العقايد الخمس وكيفية المجاهدة
لحسمه فقد اشرنا اليها في الفصل الثالث من الباب الاول **فصل** فاذا حجة
العترة الناجية نصير الحق والدين محمد بن الحسن الطوسي طاب ثراه اقام ما يجب
اعتقاده على المكلف هو ما ترجمه قول لا اله الا الله محمد رسول الله فاذا
صدق الرسول فينبغي ان يصدقه في صفات الله واليوم الاخر وتعيين الامام
المعصوم وكل ذلك بما يشتمل عليه القرآن من غير بسط وبرهان اما في صفات الله
تعالى حي قادر عالم مريد متكلم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير واما في
الاخرة فبالايمان بالجنة والنار والصراط والميزان والحساب والشفاعة و
غيرها ولا يجب عليه ان يبحث عن حقيقة الصفات وان الكلام والعلم و
غيرها حادث او قديم بل لو علم بخاطره هذه بدائع ومحدثات مؤسسا فان غلب
على قلبه شك او اشكال فان امكن ازالته بكلام قريب من الافهام وان لم

يكن شيء عند المتكلمين ولا مرضيا عند الكل ولا حاجة الى تحقيق الدليل فان
الدليل لا يتم الا وكم الشبهة لا يؤمن ان تشبث الخاطر والقلب فيظن احد
لقصور عن ادراك الجواب انها الشبهة فتكون جلية والجواب دقيقا لا يعمل
عقله ولهذا اردع الزجر عن البحث والتفتيش والكلام واما زجر واصفهما
العوام واما ائمة الدين فلهم الخوض في غور الاشكالات ودفع العوام
عن الكلام يجري مجرى منع الصبيان عن مشاطي الدجلة خوفا من الغرق فان
الاقوياء فيه تصطفق بحسنة الماهر في صنعة السباحة الان ههنا موضع
غرور وزلة قدم وهوان كل ضعيف في عقله يظن انه يقدر على ادراك الحقائق
كلها وانه من جملة الاقوياء فيخوض فيها فيغرق في بحر الجهل الا من رحم
لا يشعر بك والصواب منع الخلق كلهم الا الشاذ النادر الذي لا تسمح
الاعصار الا بواحد منهم او اثنين من تجاوز في سلوك اهل العلم في الايمان
بالرسل والتصديق المجمل بكل ما انزل الله والخبر به رسول الله صلى الله عليه
والدفس بالتعمق فيه فقد اوقع نفسه في شغل شاغل انك
رسول الله صلى الله عليه والدجل في اعقابهم يخوضون بعد ان غضب
حتى احمرت وجنتاه أفبهذا امرتم تضربون كتاب الله بعضه ببعض انظروا
فاتموا ما امركم الله به فافعلوا وما نهاكم عنه فانتهوا فهذا شبيه على سبيل الحق
وفي مصالح الشريعة قال الصادق عليه السلام اتق الله وكن حيث شئت
ومن اي قوم شئت فانه لا اختلاف لاحد في التقوى والمتقي محبوب عند كل
فريق وفيه اجماع كل الخير ويشير الى ان القول فالذي اجمع عليه اهل الصفا
والنجى من اصول الدين وحقايق اليقين والرضا والتسليم ولا مدخل في
اختلاف الخلق وعقائدهم فيصعب عليك عقد اجمعت الامة الخطاب بان

الله واحد ليس كمثله شيء وانه عادل في حكمه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
ولا يقال له لم فعلت كذا ولم كان ولا يكون شيء الا بمشيته وانه قادر
على ما يشاء وصادق في وعده ووعيده وان القرآن كلامه وانه كان قبل
الكون ولا كان والزمان وان احاديثه وانباء رضوا الايزاد بالحديث علما و
لا ينقص بشيء الملك لله وحده عز سلطانه وجل سبحانه فمن اورد عليك ما ينقض هذا
الاصل والاساس فاعلم انه مبطل باطنك لذلك ترى مكانه وتعوذ مع العائذين
فصل اعلم ان الاسرار التي يكتمها العلماء عن العوام منها ما يقصر
عن ادراكها افهامهم ولا يبلغ اليه عقولهم وذلك كالروح فانه من عالم
الملكوت والعوام لم يتجاوز علمهم عن عالم الملك فاذا القوه اليهم صيروا حيرة
لهم قال الله تعالى ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم
من العلم الا قليلا ومنها ما هو مفهوم في نفسه لا يكمل الفهم عنه ولكن ذكره
يضر بأكثر المستمعين وسر القدر من هذا القبيل ولهذا منع من افشائه ولا
استبعاد في ان يكون ذكر بعض الحقايق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس
بابصار الخفافيش وكما يضر ريح الورد بالجعل ومنها ما يكون بحيث لو ذكر صريحا
لفهمه العلم لم يكن به ضرر ولكن يجري عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون
وقعه في قلب المستمع اغلب ولذه مصلحة وان يعظمه وقع ذلك الامر في
قلبه كالقول قائل بايت فلانا يقتل الدب في اعماق الخزائن ويكني به عن افشاء
العلم وبث الحكمة الى غير اهلها فالمستمع قد سبق الى فهمه ظاهر والمحقق
اذا نظر وعلم ان ذلك الاخفاء لم يكن معه ضرر ولا كان في موضعه خزائن تتطلع
لها السر والباطن فيقاوت الناس بذلك وكذلك ما ورد في الحديث اما
يخشى الذي يرفع راسه قبل الامام ان يحول الله راسه راس حمار وذلك من

حيث الصورة لم يكن بلا كون ولا كون بلا كم من حيث المعنى هو كما من اذ حقيقة الجهاد
ومناهيته هي البالغة والحق ومن رضي بالسفه قبل الاداء فقد صار لسفه داك
صار في معنى البالغة والحق وهو المقصود دون الشكل الذي هو آلة الى المعنى
اذ من غاية الحق ان يجيء بين الاقتداء وبين التمام فانهما بنا قضان وهذا
النوع يرجع الى التعبير عن المعنى بالصورة التي تتضمن بين المعنى او مثله
من هذا القبيل قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا
طائعين فانه تمثيل لتأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عما يامر المطاع و
لجابة المطيع الطائع وسنحقق لك عن قريب ان قولنا اردنا ان نقول
للكن حتى يكون وهو نوع من الكلام بالمناسبة وجرت وصورت وعبنه
التعبير عن الصراط المستقيم بين الجنة والنار ومن الميزان بدل الكتبين
الى غير ذلك ومما سئل ما يدل الانسان الشيء جملة تشديد كه تفصيلا
بالتحقيق والذوق فان يصير الاملا بسالة فيتفاوت العلم ان فيكون
الاول كالقشر والثاني كاللب والاول كالظاهر والآخر كالباطن وذلك كما
يتمثل الانسان في عينه شخص في الظلمة او على البعد فيسأل هو نوع ما فاذا
راه بالقرب او بعد زوال الظلام او لمستقر به بينهما ولا يكون الاخير غير الاول
بل هو استكماله فكذلك في العلم والايمان والتصديق ومن هذا الفصل الكبير
العقايد **فصل** في تفسير الامام ابي محمد العسكري عليه السلام
قوله تعالى ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني قال بعد الصاد عليه السلام
فاذا كان هؤلاء اليهود من اليهود لا يعرفون الكتاب الا اماني يعرفونه من جهة ان لهم لا
سبيل لهم الى غيره فكيف فضمهم الله بتقليدهم والقبول من علمائهم جعل عوام
اليهود والاكثر امنا يقلدون علمائهم فاذا لم يجز لاولئك القبول من علمائهم جاز

لهؤلاء القبول من علمائهم فقال عليه السلام بين عوامنا وعلمائنا وبين
عوام اليهود وعلمائهم فرق من جهة وتسوية من جهة فاما من حيث اشتركوا
فان الله قد ذم عوامنا بتقليدهم علمائهم كما ذم عوامهم وعلماءهم من حيث اشتركوا
فلا ما بين لي يا ابن رسول الله قال عليه السلام ان عوام اليهود كانوا قد
عرفوا علماءهم بالكذب الصريح واكل الحرام والرشى وبتغيير الاحكام عن
واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات عمن يرجو منهم بالتعصب الشديد
الذي يفارقون به اديانهم وانهم اذا تعصبوا الى واحد فرق من تعصبوا عليه
واعظم اما الاجتهاد من تعصبوا له من اموال غيرهم ظلمهم من اجلهم
مرتكبهم بغارقون المحرمات واضطرارها اجبارت تلويحهم الى ان من فعل ما يفعل
فهو فاسق لا يجوز ان تصدق على الله ولا على الوسايط بين الخلق وبين الله فلذلك
ضعهم عوامهم اذا سمعوا من فقهائهم او سمعوا انه لا يجوز ان يقول غيره ولا تصديقه
وحكايته ولا العمل بما يؤديه اليهم عن لا يشاهدونه ويجب عليهم ان ينظروا
بانفسهم وما امر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذا كانت دلالته
او ضرورة ان يحضر واشهر من ان لا يظهر لهم وكذلك عوامنا اذا عرفوا
من فقهائهم الفسق الظاهر والعصبية الشديدة والتكالب على حطام الدنيا
وحرامها واهلاك من يتعصبون عليه وان كان لاصلاح امره مستحقا
بالترفق بالبر والاحسان على من تعصبوا له وان كان للذلال والاهانة مستحقا
فمن فلد من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمهم الله
بالتقليد لفسقة فقهائهم فاما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا
لدينه مخالفا على هواه مطيعا لامر مولاه فللعوام ان يقلدوه وذلك لا يكون الا بعض فقهاء الشيعة
لجميعهم فان ذلك من كان من القبايح الفواحش مرتكبا لفسقة فجهال العامة لا تقبلوا منهم عن شيء لكونه

الباب الثالث في معرفة النفس وتعني بها الجوهر اللطيف الملكي
الذي يستخدم هذا البدن الحساس ويتحمل مسخرا له فهو المولى الخادم وهو
ذات الانسان وحقيقته العالمة بالمعلومات ولذي هذا البدن جنود وحشم
هي الاعضاء وجنود روحانية هي القوى قال الله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون
وقال نبينا صلى الله عليه وآله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال اعرفكم
بنفسه اعرفكم بربه وقد يسمى هذا الجوهر الملكي بالروح المتوفى حيوة
البدن طيبة والقلب لتقلبه في الخواطر والعقل لادراكه العلوم والنفس
بالملكات وقد تستعمل هذه الالفاظ الاربعة في معان اخر تعرف بالقرائن ثم
النفس توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا اسكنت تحت
الاوامر والنواهي تأبيها الاضطراب بسبب محاربتها الشهوات سميت النفس
المطمئنة قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية
واذا لم تسكن لها ولكنها اساءت مداعبة الشهوة والغضب ومتعرضة
عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيرها في عبادة مولاها
قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاختيار ومالت
اطاعت لقضاء الشهوات وداعي الشيطان سميت الامارة بالسوء قال الله
تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء
الا ما رحم ربي **فصل** اعلم ان جندي الغضب والشهوة قد يغلبان القلب
انقيادا تاما فيعيانه على طريقه الذي يسلكه ويجتاز من اقتضوا السفر الذي
هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء يهزمه ويتردد حتى يملكا ويبعداه
وفي ذلك هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي هو وصوله الى سعادة الابد والقلب
جند لغيره هو العلم والحكمة والتفكر بعضده ان يحترزا من هذا الجند ويغزوا

الله على الجندين الاخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان زل الانسان
وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك بقيناً وخسر خسرانا مبينا
وقد هلك اكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل
لقضاء الشهوة وكان ينبغي ان يكون الشهوة مسخرة لعقولهم فبانعكاس العقل اليه
فصل اذا علمت ان الانسان قد اصطنع تركيبه وخلقته اربع شوايب
فلذلك اجتمعت عليه اربعة انواع من الاوصاف وهي الصفات السبعية
والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب
يتعاطى افعال السباع من العداوة والبغضاء والتجرع على الناس بالضرب
الشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهايم من الشره
والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه في نفسه امر رباني كما قال تعالى قل الروح
من امر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء و
التقصير والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالربانية والانسلال عن ربقة
العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم
والمعرفة والاحاطة بحقايق الامور ويفرح اذا قيل له العلم ويحزن اذا قيل له
بالجهل والاحاطة بجمع الحقايق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلايق من لوازم
الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص عن البهايم بالتمييز مع
شاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا
يستعمل التمييز في استنباط وجوه الحيل والشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر
الحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل
انسان ففيه شوب من هذه الاصول الاربعة اعني الربانية والشيطانية
والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب وكان المجموع في اصل الاذن

خنزير وكلب وشيطان وحكمة الخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما
للونه وشكله وصورته بل لشهوته وكلب وحرصه والكلب هو الغضب فان
السبع الضاري او الكلب العقور ليس كلبا الا باعتبار الصورة والاسم
والشكل بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والغشم وهي باطن الاسد
ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء
والمنكر والسبع يدعو بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان كامن لهم بالوسوسة
الخنزير وضيطه السبع ويغري احدهما بالاخر يجتمع لهما لجوءان يغلبه
والحكم الذي هو مثال العقل مأمور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكف
عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وذلك بكسر شره هذا الخنزير
بتسليط الكلب عليه اذ به الغضب كسر صورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بالخنزير
عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك وقد عليه
اعتدال الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم
ولن يخرج عن قهرها قهره واستخدامه ولا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر
ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائما في عبادة كلب وخنزير وهذا لعمري لا شك
انه كان اكرههم ليطول الفرج ومنافسة الاعداء. فصل اما طاعة خنزير
الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والوله الى الشكل
والجماع والحيث والحرص والجشع والملق والحسد والتمادي فيها واما طاعة
كلب الغضب فيثمر منها في القلب صفة التهور والمذلة والتهتك والصلف
والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والفخر والاستخفاف وتحقير الخلق
وارادة الشر وشهوة الظلم وغيرها واما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة
والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجرأة والتلون

الغفل والخب والخنا، واما الهامه ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة
الربانية للاستشراق القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين
والاطلاع على حقايق الاشياء ومعرفة الامور على ما هي عليه والاستيلاء على
ذلك كله بقوة العلم والبصيرة واستحقاق القدم على الخلق بكمال العلم
وجلالته والاستغناء عن عبادة الشهوة والغضب والاشراف عليه من ضبط شهوة
الشهوة ورده الى حد الاعتدال صفة شريفة مثل العفة والقناعة والحلم
والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والسماحة
واما الهامه وحصول فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى حد الوسط
صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والوقار
والثبات والتمثل والشهامة والوفاء وغيرها والقلب في حكم مرآة قد اكتنفه هذه
الامور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التوالي واصلها الى القلب اما الآثار المذمومة
التي ذكرنا انها قاتمة مرآة القلب جلاءه واشراقا ونورا وضياء حتى تنالا بصيرة
التي بها تنكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين والى مثل هذا القلب الاشارة
بقوله صلى الله عليه والدعاء اراده الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه
وبقوله صلى الله عليه والدمر كان للمتقين واعظكان عليه من الله حافظ
وهذا القلب هو الذي يستغرقه الذكر قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب
واما الآثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة القلب ولا يزال
عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير كالكلبة محجوبا عن الله تعالى
بعين الطبع والرين قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال
الله ان لو نشا لاصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون
فربط عدم السماع بالطبع الذي هو كناية عن عدم السماع بالتقوى حيث قال واتقوا الله

واسمعوا واطيعوا واتقوا الله وعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة واعلموا ان
طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين و
يستهين بالاخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير مقصورا همته عليه فاذا
قرع سمعه امر الاخرة وما فيها من الاخطار عظم عليه ان يخرج من الاخرة و
لم يستقر بها القلب ولم يحركه الى التوبة والتلافي الذين يسوفون الى الموت كما
يتاسف الكفار من اصحاب القبور ومعنى الغين ما يغشى القلب بالذنوب كما
نطق به القرآن والسنة قال امير المؤمنين عليه السلام الايمان ليبدو
لمعة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات نما وزاد حتى يبيض القلب كله وان النفاق
ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهك الحرمات نادت حتى تسود القلب كله فايكم ما
طبع على قلبه فذلك الختم فلكل قلب من هاتين عليهم ما كانوا يكسبون وقال الباقر
عليه السلام ان القلوب ثلثة قلب منكوس لا يعي شيئا من الخير وهو قلب
الكافر وقلب عليه نكتة سوداء والخير والشر فيه يمتلان فايهما كان منه غلب
عليه وقلب مفتوح فيه مصباح يزهر لا يطفى يوده الى يوم القيمة وهو قلب
المؤمن وقال الصادق عليه السلام ان القلب ليكون بالساعة من الليل و
النهار ليس فيه ايمان ولا كفر كالثوب الخلق ثم قال اما تجد ذلك من نفسك قال
نعم لكنه لم يلق في القلب ما شاء من كفر وايمان **فصل** ان القلب
مثاله مثال قبة لها ابواب تنصب اليها الاحوال من كل باب واحد ومثال هذه
تنصب اليه السهام من الجوانب ومثال مرآة منصوبة يجتاز عليها اصناف الصور
الخالصة فيرى في مجموعها صورة بعد صورة او مثال حوض ينصب اليه سيلان مختلفة
من انهار مفتوحة اليه وهذه الاقسام المختلفة فيه في كل حال اما من الظاهر
فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة في

من ابواب الانسان فانه اذا ادرك الحواس شيئا حصل عنه اثر في القلب وكذلك
اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل او بقوة المزاج والآثار تبقى ويثقل
الخيال من شيء الى شيء ويجب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال فالقلب
والنفس والسائر من هذه الاسباب واحد والآثار الحاصلة منه هي الخواطر
والمعنى بالخواطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار اما على سبيل التجدد واما على
سبيل التذكر والخواطر هي المحركات للارادات فان اليه والعزم والارادة فان
اليه والعزم والارادة اما ان تكون بعد حظ بالمنوي بالبال لاجل الذي يسمى الاعمال
الخواطر بها الخاطر المحرك للرغبة والرغبة تحرك اليه والعزم واليه والعزم تحرك
الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى الشر او ينصر فالقلب
الى ما يدعو الى الخير او الى ما ينفع في الآخرة فهما خاطران مختلفان فالخاطر الذي
يدعو الى الشر هو الذي يسمى وسوسة وسبب الخاطر الداعي الى الخير هو الذي يسمى الهاما
والداعي الى الشر هو الذي يسمى شيطانا واللطف الذي به يتهيأ القلب لقبول الهام
الملك هو الذي يسمى توفيقا والذي به يتهيأ لقبول وساوس الشيطان هو الذي يسمى اغواء وخذلانا
والملك عبارة عن خالق خلقه الله لاعانة الخير واما ذا العلم وكشف الخير و
الوعد بالخير وعد الشيطان عبارة عن خلق شاكله الوعد بالشر والامر بالفحشا
والتخويف عند الفقر والخير بالفقر والقلب مجانب بينهما قال النبي صلى الله عليه
واله في القلب لمتان لمة من الملك يعاد بالخير وتصديق الحق فمن وجد ذلك
فليعلم انه من الله فليحمد الله ولمة من العدو يعاد بالشر وتكذيب الحق ونهي عن
الخير فمن وجد ذلك فليتعوذ من الشيطان ثم تلا الشيطان يعدكم الفقر الآية
وقال صلى الله عليه واله قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه
كيف يشاء كنى به عن سرعة التقليب والقدرة على التحويل عند التغير استعداد

الملك والشيطان فانهما مسخران بقدرته وتقليب القلوب كتقليب الثياب
اصاحك سخرة لك وتقليب الاجسام كتقليب القلب باصل الفطرة صالح
لقبول آثار الملائكة ولقبول آثار الشياطين قبولا متساويا وانما يترجح احد
على الآخر باتباع الهوى والاكباب على الشهوات ومخالفتها فمهما غلب على القلب
ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان محلا للاغرار وبسببه انصرف
الى ذكر الله تعالى ايرحل الشيطان وعضاة بحاله واقبل الملك والهمه والقاه
بين جنودي الملائكة والشياطين في معركة القلب فما دام الى ان ينقضي الملائكة
فليكن ولا يسوء ظن ويكون احتياطك اشد لما قال الله تعالى ان الذين
اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فصل
اعلم انه كما يتصور لمة الشيطان بالملك فان مكايد الشيطان اربعة
الشره ومعرض الخير كما يقول للعالم ويطرق الوعظ اما نظر الى الخلق وهم
موتى من الجهل هلكى من الغفلة فاشفق على نار مالك ورحمة على عباد الله
تشفلهم من المعاطب بحملك وعقلك وقد اغفلهم الله عليك بقلة بصيرتك
لسان فلق ولجة مقبولة فكيف تكثر بغيته وتغرق لخطه وتشكك على نفسك
العلم وصفوة خلق الله سبحانه الى الصراط المستقيم فلا يزال يقرر ذلك في
نفسه ويستجره بلطائف الحيل الى ان يشغله بوعظ الناس شديد حرصه الى ان
يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول ان اراد تفضل الملك
سقط وقع كلامك من قلوبهم ولو يهتدي الى الحق فلا يزال يقرر ذلك وهو
في اثنائه يوكد ثواب الرياء وقبول الخلق وذلك الجاه والتعزز بكثرة العلوم و
النظر الى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الى الحالة التي كان
وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه ويخسر

الله عند الله بمكان وهو عند الله من قال فيهم رسول الله صلى الله عليه
والله ان الله ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله ليؤيد هذا
الدين بالرجل الفاجر فصل قال بعض اهل المعرفة ان الهام الملك
ووسوسة الشيطان يقعان في النفس على وجه وعلامات احدهما كالعلم
والثاني الحاصلان من جانب يمين النفس ويقابله الهوى والشهوة
الحاصلان من جانب الشمال وثانيهما كالنظر الى اياك الافاق والانفس على
سبيل التفكر والاعتبار المزيل للشكوك والاوهام والحاصل للمعرفة والحكمة
والقوة العاقلة التي هي على الجانب الايمن من النفس ويقابله النظر اليها
على سبيل الاشتباه والغفلة والاعراض عنها الناشئة منها الشبه و
الوساوس الواهية والمتخيلة التي على الجانب الايسر منها فان الايات
المفكرات بمنزلة الملائكة المقدسة من العقل والنفوس الكلية لانها مبادي
العلوم اليقينية والمقدمات البرهانية بمنزلة الشياطين والنفوس الوهمية
لانها مبادي المقدمات السفسطية وتاثيرها كطاعة الرسول المختار والآلهة
الاطهار في مقابلة اهل الجهود والانكار واهل التعطيل والتشبيه من
الكفار فكل من سلك سبيل الهداية فهو بمنزلة الملائكة الملهمين الخير و
من سلك سبيل الضلال فهو بمنزلة الشياطين الموحين بالشر واتباعها
كتحصيل العلوم والادراكات التي هي من الموضوعات العالية والاعتقادات
كالايمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والبعث وقيام الساعة و
مثل الخالق بين يدي الله وحضور الملائكة والنبيين والشهداء والصالحين
في مقابلة تحصيل العلوم والادراكات التي هي من باب الحيل والخديعة و
السفسطة والتامل في الامور الدنيوية والغير الخارجة عن دار الحسوسات

فان الاول يشبه الملائكة الروحانيه وجنود الرحمن الذين هم سكان عالم
الملكوت السماوى والثانى يشبه الابالسة المطرودة عن باب الله المرجومة
من بلوج السموات المحجوبة فى الظلمات المحروسة فى الدنيا عن الارتقاء
والمحجوبة فى الاخرة عن نعيم الجنة فصل اعلم ان ما يخطر بالبال اما
السيئة فلا حاجة عليه لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل الى السيئة
لانه ايضا لا يدخل تحت الاختيار ولما الاعتقاد وحكم القلب بانه
ينبغى ان يفعل فهذا مردد بين ان يكون اضطراريا او اختياريا والاول لا يخالف
فيه فالاختيارى سنه يواخذ به والاضطرارى لا يواخذ به ولما العمل
فانه يواخذ به الا انه ان لم يفعل فان تركه خوفا من الله تعالى ومنه على عزمه
كتب له حسنة لان عزمه سيئة واستاءه بعمله نفسه حسنة لهم
على نفس الطبع لا يدل على تمام الفضيلة عن الله والاشتياق بالمجاهدة على خلاف
الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجده فى مخالفة الطبع وهو العمل لله سبحانه
اشد من جده فى موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتبت له حسنة لانه رجح
جده فى الاشتياق وجده به على جده بالفعل وان تعرق العمل العائق او ترك العمل
لاخر فامر الله تعالى كتبت عليه سيئة فان جده فعل من القلب اختيارى فى
الدليل على هذا التفصيل ما ورد عن النبى صلى الله عليه وآله قال اذا هم
عبدى السوء بعمله فلا تكتبوه عليه سيئة وهو امر بصيغة الشرط ويقول ان عملها فاكتبوه
عليه بمثلها وان تركها فاكتبوه له حسنة انما تركها لاجلى وعن امير المؤمنين عليه السلام
فى قوله سبحانه ان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله ان هذه
الآية عرضت على الاخيار والاثم السابقة فاختاروا ان يقبلوها من تلقائها وقبلها
رسول الله صلى الله عليه وآله وعرضها على امته فقبلوها فلما اراد الله عز

وجل ان ينسخ القبول على انهم لا يطيقونها قال اما اذا قبلت الايدى بشدها
وعلمت بانها ولت عرضتها على الالسنة فابوا ان يقبلوها وقبلتها الستة فمن على
ان نسخها عن الستة وقال لا يكلف الله نفسا الا وسعها فظهر ان ما لا يدخل
تحت الوسع لا يواخذ به وعن النبى صلى الله عليه وآله رفع عن امتى تسع
خصال الخطاء والنسيان وما لا يعلمون وما لا يطيقون وما اضطروا اليه و
ما استكرهوا عليه والطيرة والوسوسة فى التفكر فى الخلق والحسد ما لم
يظهر بلسان او يد وعن الصادق عليها السلام ان الله تعالى جعل لادم فى ذريته
من هم بحسنة فعملها كتب له حسنة ومن هم بحسنة وعملها كتب
له عشرا ومن هم بسيئة ولم يعملها لم يكتب عليه ومن عملها كتب له سيئة
واحدة وعلة ان الهم بالذنب اذا اقترن بالعمل من غير مهلة الى الليل فان استغفر الله
لم يكتب عليه وسئل الصادق عليه السلام عن يعمل بعض ما نهى الله عز وجل
الغضب يواخذه الله تعالى به فقال الله اكرم من ان يستعلى على عبده وعنه
عليه السلام ما من مؤمن الا وله ذنب يحزنه او اثم يؤرقه وذلك قوله تعالى
الا الله وقال واللم الرجل بالذنب فيستغفر الله منه وعن الكاظم عليه السلام
ان الله ليغفر المؤمن بريح تحضره فى كل وقت يحزن فيه ويتقى ويتعب
فى كل وقت يذنب فيه ويعتريه فى جسمه تشريد واعتداد حتى ينسخ فى
الذى عند الله فتقاصوا عباد الله نعم ما اصلاحكم انفسكم تزادوا وانقيا
وتجدوا انفسكم امام الله امرأ هم بخير فحبسه او هم بشر فارتدع عنه ثم قال
نحن نؤيد الروح بالطاعة فقد والعمل المقالة الثانية فى مساوى الاخلاق
وما يهلك بها وهى اربعة ابواب الباب الاول فى معنى الخلق وبيان
اعلم ان الخلق عبارة عن هيئة راسخة فى النفس يصدر عنها الافعال بسهولة

وغير من غير حاجة الى فكر ورؤية فان كانت الهيئة بحيث يصدر عنها الافعال
الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر
منها افعال قبيحة سميت خلقا سيئا والاضافة فيها الرسوخ لان من يصدر عنه
بذل المال مثلا على الندرة لعارضة عارضه لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت
ذلك في نفسه ثبوتا موثوقا واشتراطنا السهولة وعدم الروية لان من
تكلف بذل المال لا يقال خلقه السخاء وليس مرادنا من الفعل ما يجب تحقق خلق
السخاء ولا يكفي لما الصدق المال او لما مع الروية بل ان يكون خلقه الفعل ويصدر بسهولة
لما عرفت اولا وبالجملة الخلق الحسن من قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة
وقوة العدل بين هذه القوى الثلث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها في
ان تصير بحيث يسهل لها ادراك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين
الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الافعال فاذا تحصلت
هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الاخلاق الحسنة ومن
يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما قوة الغضب والشهوة فحسنهما في ان
ينقهر انقيادهما وانبساطهما على احدهما يقتضيه الحكمة والدين واما
قوة العدل فهي ضبط قوة الغضب والشهوة تحت اشارة العقل والشرع
فالعقل بمنزلة الناصح المشير وقوتا الغضب والشهوة بمنزلتي الجند المنفذ
المضي لاشارته والغضب والشهوة تنفذان تارة الاشارة وتمال الغضب مثال
كلب الصيد انما يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون مسترسلا له وقد يقعد بحسب
الاشارة لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في
طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا وتارة يكون جموحا فمن استقرت
فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيها

وذلك بعض نهر حسن الخلق والاستقامة الى ذلك المعنى خاصة وحسن القوة
الغضبية واعتدالها بعد جمعها الشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها
بعد جمعها العفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة
سمي ذلك تهورا وان مالت الى الضعف حتى جبنا سمي خورا وان مالت قوة
الشهوة الى طرف الزيادة سمي شرها وان مالت الى النقصان سمي خمودا والمحمود
هو الوسط وهو العدل والطرفان مذمومان والعدل اذا وقع فليس
لطرفي زيادة ونقصان بالاضافة الى احدهما هو الجور واما الحكمة فبها يتوصل
الى استعمال هذه الاغراض الفاسدة جميعا وجرها وبها يتوصل الى تقويمها فالجامع
الوسط الذي يخص باسم الحكمة فاذن امهات الاخلاق الحسنة الجميلة
تسعة اربعة للعقل والحكمة والشجاعة والعفة والعدل ولم يبلغ كمال الاعتدال
في هذه الاربعة الا رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قال الله تعالى شأنه
عليه بالخلق العظيم والمناسب بعده متفاوتة في القرب والبعد منه
ينبغي ان يقتدي به فانه قال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقد اشار القرآن الى
هذه الاخلاق في اوصاف المؤمنين فقال تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله
ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم
الصادقون فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو
ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع الى ضبط
قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال قوة الغضب
على حكم العقل بعد الاعتدال وقد وصف الله سبحانه وتعالى فقال اشداء
على الكفار رحماء بينهم اشارة الى ان الشدة موضعها والرحمة موضعها
ليس الكمال في الشدة بكل حال وفي الرحمة بكل حال فصل اعلم ان

بعضهم من غلبت البطالة عليه استشغال المجاهدة والرياضة والاشتغال
بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق وارتضى نفسه بان يكون ذلك لغصة
ونقصه فزعم ان الاخلاق لا يمكن تغييرها لان الطباع لا تتغير واستدل
عليه بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق هو صورة الظاهر
فكما ان الخلقة الظاهرة لا يمكن تغييرها فكذا الخلق الباطن والثاني ان جنس
الخلق انما يحصل بقمع الغضب والشهوة وحسب الدنيا وغيرها وهذا امر متسع
الاشتغال به تضيع زمان بغير فائدة فان المطلوب بعد قطع المسافات القلب
الى المحاط العالي وهو حال قبوله لكل الاخلاق المقبول التغيير لبطلانها
والمواظبة والمداومات ولما قال القائل الاول فما قولك في من تركها وقال
ولما قال مقولها فما قولك فيه والله حسن اخلاقكم وكيف يتركها وابقى
حتى الادمي وغيره خلق البهيمة فمكن ان يفضل الحيوان من الوحش الى الانس
والكلب من شره الاكل من الصيد الى التاديب والاسترسال الغريزي من الجماح
الى السلاسة والانقياد وكذلك غيره بالاخلاق والقول الكاشف للغطاء
عن البيان فقول ان الموجودات منقسمة الى ما لا فعل له اصلا وهي الجمادات
اصلا وتفصيلا كالسماء والكواكب بل اعضاء البدن داخلا وخارجا والجملة
كل ما هو جسم كامل وفاقد الغرائز من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا
بفعل فيه قوة الكمال بعد ان وجد بشرطه وشرطه قادر نظيا اختيار الصبيان
الدوات ليست بقابل ولا تقبل الا انها خلقت خلقة يمكن ان يصير بحالها انسانا
اليها التربية ولا يصير قابلا اصلا ولا بالتربية فاذا صادفت الذوات متاثرة
بالاخيار حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب الشهوة لو اردنا
قمعها وقهرها بالكلية حتى لا يبقى لها اثر لم نقدر عليه اصلا ولو اردنا ان

وقهرها بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد امرنا بذلك وصار ذلك
نجاتنا وسعادتنا الى الله والمطلوب الاخلاق دون القمع بالكلية و
بديهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجملة ولو انقطع شهوة
الطعام من الانسان لم يتناول ما ينقطع شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انقطع
الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه وبما بقي اصل الشهوة
فبقي لها مدد حب المال الذي هو وصل الى الشهوة حتى يحمل ذلك على ما لا
وليس المطلوب ما ذكرناه بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذي
وسط بين الافراط والتفريط فالمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك
بان يخلو عن الشهوة وعن الجبن جميعا والجملة ان يكون في نفسه قويا ومع قوته
سفارا للعقل والموطئا للغضب لا مشجعا جاذبا للكفار وكيف يقصد قلع الغضب
الشهوة بالكلية والانبياء عليهم السلام لم ينكروا عن ذلك قال سيدنا صلى
عليه وآله انا اثر اغضب كما يغضب البشر وكان ينكلم بين يديه بما يكرهه
يغضب حتى يحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا كان الغضب لا يجره بعد الحق
قال اهل اللغة والكاظمين الغيظ هو قطع الصائمين الغيظ وربما يستولي الشهوة
على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش والرياسة
تدرجا الى الاعتدال فدل على ان ذلك ممكن والقرآن والشاهدة تدل على ذلك فلا
لا يشك فيها فصل فقد يكون اعتدال القوتين وفطرتها بحيث يحمل الانسان
يتشاكل اعمال الخير بحسن الخلق بمكنى سلطان الشهوة والغضب على عقله كما
للانبياء والائمة عليهم السلام وقد يكون مكتسبا بالمجاهدة والرياضة بحمل
النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد ان يحصل لنفسه خلق
الجود مثلا فطريقه ان يتعاطى فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليه

تكلفا فجاهد النفس فيه حتى يصير ذلك له طبعا ويتيسر عليه فيصير
نفسه جوادا ومن اراد خلق التواضع وقلبه عليه التكبر فطريقه ان يواظب
على افعال المتواضعين حتى يصير ذلك له طبعا ويجري فيها مجاهدا نفسه ويتكلف الى ان
يصير ذلك خلقا وطبعا وجميع الاخلاق المحمودة شرعا يحصل بهذا الطريق و
غايتها ان يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالذي هي الذي حسنا ان التواضع
والزهد ليس من الاخلاق الدينية في المشرع بل المحمود جميع العادات الحسنة ولم
يترك جميع العادات السيئة وما الذي يطلب عليها او يطلبه من يشتغل بها الى
الافعال الجميلة وتتعسر عليه اكثر الافعال القبيحة وبتا لذي بها اكمل بسلوك
الله صلى الله عليه واله جعلت قرة عيني في الصلوة وبهما كانت العبادات تحمل
المحظور والمكاره وانشغال قلبه بالله تعالى فهو الذي نقصان وبه كمال السعادة بذكر
المواظبة عليه بالمجاهدة حتى يصير له كالطبع بالاضافة الى تكلفه الاضافة الى فعله
عن طوع وكذلك قال الله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال النبي صلى
الله عليه واله اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير
ثم لا يكون شيء من السعادة الموعودة على حسن الخلق اشد من الطاعة مع شكل
المعصية في زمان واحد بل ينبغي ان يكون كل منهما دائما في جملة الزمان و
كلما كان العمل اطول كانت الفضيلة اكثر ولذلك قال رسول الله
الله عليه واله عن السعادة فقال طول العمر في طاعة الله ولذلك ذكر الانبياء و
الاولياء الموت فان الدنيا مزرعة الاخرة وكلما كانت العبادات اكثر لطول العمر
كان الثواب ابزر والنفس انقى واطهر والاخلاق اصفى واربح ولذا تقصر العبادات
تاثيرها في القلب عما ينبغي لكثرة المواظبة على العبادات وعلاجه ان
ان ينقلع عن النفس حب الدنيا وتزهد فيها حب الله تعالى فلا شيء احب الى الله

سبحانه ومن اياته وكل صفة تظهر في القلب يفيض اثرها على الجوارح حتى
تجري الاعمال على حسبها وكل فعل يجري على الجوارح فانه يرتفع منها ان الى القلب
وطالب تزكية النفس لينبغي ان يحاسبها كل يوم ولا يحرر بها بعصيان يوم ولكن الطاعة
في يوم واحد تتعذر الى مثلها الى مدة طويلة حتى قيل اذا طلبا حتى ان النفس بالكسل وتبخل
التفصيل ياسا وصغار المعاصي يجر بعضها الى بعض حتى يفوت اصل السعادة بذلك
اصل الايمان عند الخاتمة فلا ينبغي ان يستهان بقليل الطاعة ولا بصغير المعصية
فان الجبال الكبيرة منها موفرة وانما اجتمعت الجبال من الاحاد فكل واحدة اثيرة
وشيا عمل الاخلاق الحسنة بمشاهدة ارباب الاعمال الجميلة ومصاحبتهم ومن
قرناء الخير والاخلاق السيئة بمشاهدة ارباب الاعمال السيئة ومصاحبتهم ومن
قرناء السوء فان الطبع يسترق من الطبع الخير والشر جميعا فمن ظاهر حسنه
الجهات الثلث حتى صار فاضلا طبعا واعتيادا وبعلمه فمن غاية الفضيلة
ومن كان رذلا بالطبع وانفق له اقران السوء فتقلدوا منهم وتيسرت له اسباب
الشر حتى تعودها فهو في غاية البعد من الله تعالى وبين المرتبتين من اختلف باختلاف
هذه الجهات وكل درجة في القرب والبعد بحسب ما يقتضيه صفته وحالته
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا
انفسهم يظلمون فصل اعلم ان الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب
نفسه فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب امكنه العلاج
ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم بل احدهم يرى القذى في عين اخيه و
لا يرى الجذع في عين نفسه فمن اراد ان يقف على عيب نفسه فليطلب صديقا
صدقة بصيرا متدينا فنفسه رقيبا على نفسه ليراقب احواله وافعاله ويعرفه
من اخلاقه واعماله وعيوبه الباطنة والظاهرة لينبهه عليه او يستفيد معرفة

عيوب نفسه من لسان اعدائه فان عين السخط تبدي المساوئ كما قيل و
عين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا ولعل اشاعة
الانسان بعدوه ما من بذكر عيوبه اكثر من اشاعته بمساويه ما هو يثني عليه
ويمدحه يجتني عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما
يقوله على الحسد ولكن البصير لا يجاوز عن الانتفاع بقول اعدائه فان مساوئه
وان نشرها على الستهم او بخاطر الناس بحكم ما يراه من عداوته ما هين الخلق بسيط
نفسه بتركه وما يراه محيط بباطن نفسه بدقيق نفسه وليعلم ان الطباع
المؤمن مرآة المؤمن فيرى بعيوب غيره عيوب نفسه وليعلم ان الطباع
متقاربة فمن اتباع الهوى فاجتنبه واحذر من الاقران لا سيما القرين الاخرب
الصالح او عن اعظم منه او عن شيء من شأنه فيخلق نفسه ويطلعها على كمال ابليسه
من غيره وناهيك بهذا ادبا لطرق لسان الناس كلهم على بكرة ابيهم لا سيما شيعة
الرجب قيل لعيسى على نبينا وعليه السلام من ادبك قال ما ادبني احد رأيت جهل الجاهل فجانبته
الباب الثاني فيما يوقع الى مساوئ الاخلاق من البطن والفرج اللذين
اعلم ان الاخلاق اما ان تصدر عن قوة في النفس بكرة او الاعمال واما ان تصدر من
القلب بتوسط الجوارح وكل جارحة يصدر عنها لا محالة اعمال تناسبها فالاخلاق
الجميلة وان يصدر عنها الاعمال الجميلة والاخلاق السيئة
فالباب من مراعاة القلب والجوارح يصرفهما الى الخيرات ويمنعها من الشرور
واعظم المهلكات للانسان ادعاه شهوة البطن والفرج واللسان ففي الحديث الذي
من وقي شر قبقبه وذبذبه ولغلغه فقد وقي والقبقب البطن والذبذاب
الفرج واللغلغ اللسان اما شهوة البطن فهي اشد ما يجر من دار القرار
الى دار الذل والافتقار انهاك عن اكل الشجرة فغلبته ما شهوته حتى اكلا منها

فبلغته ما سواتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الادواء و
الآفات اذ فيها شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات تتبع شهوة
المطعم والمنكح شدة الرغبة في المال والجاه اللذين هما الوسيلة الى التوسع
في المطعومات والمنكوحات تتبع استكثار المال والجاه انواع الزخرفات
وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد من ذلك آفة الرياء وخائلة التفاخر
والتكاثر والكبر بل تدعو الى العتو والعداوة والبغضاء ثم يفضي ذلك
بصاحبه الى الخوض في اللغو والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد
من بطن الشبع والامتلاء ولو ان العبد ضيق مجاري الشيطان
لاذعنت الطاعة قاطبة ولم تسل سبيل البطر والطغيان ولم يخرجه ذلك الى
الاهتمام بفضول الدنيا بل الحاجة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب
على الدنيا اما النبي صلى الله عليه وآله وما مالا ابن آدم وعاء شرا من بطنه
ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان ولا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث
لشرابه وثلث لنفسه وقال صلى الله عليه وآله لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام
والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال صلى الله عليه وآله
اعملكم عملا لاعدائه تعالى اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله تعالى كل
نؤوم اكول شروب وقال الصادق عليه السلام ان البطن يطغى من اكلة واحدة
ما يكون العبد الى امد اذا خف بطنه واعتقل ما يكون العبد الى امد اذا امتلأ
بطنه وقال عليه السلام في الشريعة قال الصادق عليه السلام ما من شيء اضر بقلب
المؤمن من كثرة الاكل وهي مورثة شين شهوة القلب وهيجان الشهوة و
الجمع اداة للغم من وغداء للروح وطعام للقلب وصحة للبدن وقال لقمان لابنه
يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة

والجملة فقد ورد الجوع كثيرة منها صفاء القلب ورقته والاستلذاذ بالطعام والانكسار المانع عن المعصية والغفلة وتذكر جوع يوم القيمة وكسر شهوة الفرج المستولية بالشبع ودفع النوم الذي كثيرا الطبع ومنع العروق عن القساوة والتحجر وغير الواضحة على الطاعة لخفة البدن والفراغ عن الاهتمام بالتحصيل والاعتياد الاكل ودفع الامراض الشائعة عن المعدة بسبب الدم والحمية رأس كل دواء **فصل** قد علمت ان المقصد الاقصى في باب الاخلاق الوسط وما ذكرته فضائل الجوع ربما يوهم ان الافراط فيه مطلوب وهيهات ملكن من امر نفسه الرشيدة ان اكل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاكثر وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة والمنع منه حتى وجه بوجه عند الجهال الى ان المطلوب منه نهاية تنفيذ الطبع بعايد الامكان والعلم عند الله ان المقصود هو الوسط لان الطبع اذا غلب غاية الشبع والشرع ينهى ان يطلب غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع ساعيا فيتقاربان ويحصل الاعتدال وانما نهى النبي صلى الله عليه وآله الشاذ على قيام الليل وصيام النهار لما علم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم ان الافضل والاضافة الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينوي بطنه فلا يوفيه فيه اصلا فان مقصود الاكل بقاء الحيوة وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع العبادة والم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود ان ياكل اكلا معتدلا بحيث لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون مشتغلا بالملكوت فانهم مقدسون عن ثقل الطعام وعالم الجوع واليه الاشارة بقوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا والمقصود فيه ان لا ياكل طعاما حتى يشتهيه ويرفع يده عنه وهو يشتهيه **فصل**

واما شهوة الفرج فانما سلطت على الانسان لبقاء النسل ودوام الوجود لان بقاء الشخص بها تتصور بالذات الاخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات الاجساد كما ان الم النار اعظم الام الجسد فالترهيب والترغيب جميعا ان الحمل على سماعهما تتم وليس في الدنيا لذة مدركة فيها ولا يتصور ان يكون فيها سلامة مما يضاد الدين والدنيا ان لم تضبط ولم تقهر بل تتزايد الى حد لا احتمال فان لها ايضا افراطا وتفريطا واوسطها ما يقهر العقل حتى يصير همة الرجل الى التمتع بالنساء والحرائر فيحرم عن سلوك طريق الاخرة او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينفق هذا الشهوة من غلب جهله على عقله الى العشق البهيمي الذي ينشأ من استيلاء الشهوة فيتحير الوهم العقل لخدمة الشهوة وقد خلق العقل ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة فهذا لاجلها وهو مرض قلب فارغ لا هم له وانما يجب الاحتراز من اوائله بمعاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه وتفريط هذا الشهوة اما بالعفة الخارجة عن الاعتدال او بالضعف عن امتناع المنكر وهو ايضا مذموم وانما المحمود ان يكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع في اصلها وانتفاضها وبهما افرطت فكرها بكون بالجوع وبالنكاح قال رسول الله صلى الله عليه وآله معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء **فصل** اعلم ان هذه الشهوة اغلب الشهوات على الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل الان مقتضاها امر مستحسن عند الخلق ويخلى من اقتحامه وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها اما العجز او الخوف او الحياء او المحافظة على حشمة وليس يخفى من ذلك ثواب فانه اي حظ من حظوظ الدنيا على حفظ اعز نعم من العصمة ان لا تقدر فعلى هذه العوارض فائدة وهي دفعة

فان من ترك الزنا انما ترك عنه اثمه بأي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب
الجزيل يترتب على خوف الله تعالى مع القدرة عليه وارتفاع الموانع وتيسر
الاسباب لاسيما مع صدق الشهوة وهذه دقيقة العديقين ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وآله من عشق فعف وكتم فمات فهو شهيد
وقال سيد البطحاء الله يوم لا ظل الا ظله عد منهم رجلا دعته امرأة
ذات حسب وجمال الى نفسها فقال اني اخاف الله رب العالمين وقصة
يوسف عليه السلام عند عزيز المحامد المحمدة وغيرها معروفة وخوف الله تعالى
بذلك عليه في كتابه وهو امام كل من يجاهد الشيطان في هذه الشهوة
العظيمة وقال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم
وقال النبي صلى الله عليه وآله النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها لله
من خوف الله اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء
فان اول فتنة بني اسرائيل كانت من النساء. فصل واما اللسان فانه من
آلاء الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه
اذ لا يتبين الايمان والكفر الا بشهادة اللسان وهو غاية الطاعة والطغيان ثم
انه ما من موجود او معدوم فالله او مخلوق او متخيل او معلوم او منطوق او مفهوم
الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي فان كل ما يتناوله العلم يعبر عنه
اللسان اما بحق او باطل الا الاشياء الا العلم تتناوله وهذه خاصية لا توجد في
سائر الاعضاء. فان العين لا تتصل الا بغير الالوان والصور والاذن لا تتصل الا
بغير الاصوات واليد لا تتصل الا بغير الاجسام وكذا سائر الاعضاء. واللسان ترجمان
اليدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى ولا حد فله في الخير مجال رحب وله في الشر
مجرى سحب فمن اطلق عنان اللسان واهمله مرخى العنان سلك به الشيطان

وكل سيدان وساقه الى شقاء عريض هار لا ان يضطره الى الموارد ولا يكب
الناس على مناخرهم في النار الا حصايد السنتهم كما ورد في الحديث النبوي و
لا يجني من شر اللسان الا ان يقيد بلجام الشرع فاذ يطلق الا فيما ينفع في الدنيا
والآخرة ويكف عن كل ما يخشى غائلته في عاجله واجله وعلى ما يجمل اطلاق
اللسان فيه اربعة اقسام غامض غير مفيد والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير
احصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تتعب في تحريكه ولا مؤنة في اطلاقه
وقد قاسى الخلائق في الاعتزاز من آفاته وغوائله والحذر من مصايده وحبائله
انه اعظم الة الشيطان في استغواء الانسان ولذلك قال النبي صلى الله
عليه وآله من صمت نجا وقال الصمت حكم وقليل فاعله اي هو حكمة وخير
وقال صلى الله عليه وآله اسلم لسانك فانما صدقة تصدق بها على نفسك
وقال لا يعرف عبد حقيقة الايمان حتى يخزن لسانه وقال صلى الله عليه
وآله من قل موضع كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه ومر امير المؤمنين
عليه السلام برجل يتكلم بفضول الكلام فوقف عليه فقال يا هذا انك تملي
على حافظيك كتابا الى ربك فتكلم بما يعنيك ودع ما لا يعنيك وعن الصادق عليه السلام
قال ان لسان ابن آدم يشرف على جميع جوارحه كل صباح فيقول كيف اصبحتم فيقولون
بخير ان تركنا ويقولون الله الله فينا ويناشدونه ويقولون انما نثاب وبك تعاقب
وعن الباقر عليه السلام ان شيعتنا المزين وعن الصادق عليه السلام
المروءة العفة والنظر والسكوت واحدة للعقل وقال في
حكمة الداود على العاقل ان يكون عارفا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه و
قال قال لقمان لابنه يا بني ان كنت زعتان الكلام من فضة فان السكوت من
ذهب وربما صلح الشريعة قال الصادق عليه السلام الكلام اظهار ما في قلب

الورع الصمت والكف والعلم والجهل قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام الرجل مخبوء تحت لسانه فزين كلامك واعرضه على العقل والمعرفة فان كان لله وفي الله فتكلم وان كان غير ذلك فالسكوت خير منه وقال الحواريون عبادة اثنتان مؤنة وافضل منزلة واعظم عقدا عند الله من الكلام في رضا الله والوجه فيه وفضل الله تعالى في عباده الاترى ان الله عز وجل لم يجعل لاحد فيما بينه وبين رسله معنى يكشف ما اسر اليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير الكلام وكذلك الرسل والائمة بقيت بهذا افضل الوسائل واللطف العبادة وكذلك لا معصية اثقل على العبد واسرع عقوبة عند الله واشدها ملامة واعجلها سامة عند الخلق منه ويستدل المتجاد على الخلق من الكلام والسكوت انهما افضل فضائل عليه السلام لكل واحد منهما آفات فاذا سلمت الآفات فالكلام افضل من السكوت قيل وكيف قال لان الله عز وجل بعث الانبياء والاوصياء بالكلام وبالسكوت اما بعثهم بالكلام فلا استحقت الجنة بالسكوت ولا استوجبوا بالسكوت ولا توقيت النار بالسكوت ولا يجب بحطاته بالسكوت واما ذلك بالكلام بالكلام يسكت الاعداء للعلم والشرائع فصل فضل السكوت بالكلام ولست تصف فضل الكلام بالسكوت فصل اعلم ان آفات اللسان كثيرة منها الخطاء والكذب والغيبة الغير المباح منها وخلف الوعد والنميمة والرياء والنفاق والمخرج والمراء وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض في الباطل والخوض والزيادة والنقصان وايذاء الخلق وفضل العورة والفحش السوء والهزء والاستهزاء وغير ذلك وفي سياقة الى اللسان لاشتمال عليه لها علاقة في القلب وعليها باعث من الطبع وفي الشيطان فالخلاص منها

قلما يثبت على الدوام اللسان فيطلقه بما يجب ويكفه عما لا يجب فان ذلك من غوامض العلم وفي الخرص خطر وفي الصمت نجاة فلذلك عظم فضل الصمت وجميع آفاته من جمع الهم وجمام الوقار والفراغ في الفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال تعالى لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقال النبي صلى الله عليه وآله طوبى لمن سلم من لسانه وانفق الفضل من ماله فصل انما قدينا الكذب بالغيبة غير المباح لان من الكذب والغيبة ما يجوز قال الصادق عليه السلام كل كذب مسئول عنه صاحبه الا ثلاثة رجل كايد في حربه فهو موضوع عنه ورجل اصلح بين اثنين يلقى هذا بغير ما يلقى به هذا يريد بذلك الاصلاح بينهما ليس يعني ولا يعلمه شيئا وهو لا يأتي بيأس يهلم وكذا ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وورد ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب يعني المعاريض التورية وذلك اذا اضطر اليها وقال النبي صلى الله عليه وآله التورية بالمباح عن رجيه فاذا غيبة له وقال الميرلغا ستر عيبه وقال الواجد يحل عرضه وعقوبته وقال صاحب الحق يقال وقاه الحديث في وجوب غيبة اهل البدع والريب احذروا الناس وعن النبي صلى الله عليه وآله اتريدون ان اخبركم عن لا يعرفهم الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس وفيه معنى الغيبة فعلم ان لا بد من ذكر الخطاء عنه فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اصل ما دخل النار الغيبة فالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل ارايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته فان لم يكن فيه فقد بهته وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام صفة الغيبة ان تذكر احدا بما ليس

موضعا من عيب وبئس ما يجده العالم فيه وما الخير في شيء مذكور غايب عما
عنه الله ما هو من وصاحبه فيه سالم فليس بعيبة وان ذكر صاحبه اذا جمع
به وكان معافى عنه غالبا ما يكون سببا للخوض في الباطل وبهتان الله
عنه ولكن على شرط ان يكون القائل بالله ليخبر بيان الحق والباطل في
دين الله واما اذا اراد به نقص المذكور بغير ذلك المعنى فهو ما خوذ بفساد مراده
وان كان صوابا القول وينبغي تخصيص هذا الحديث بما اذا لم يكن صاحبه عالما
يقتدى بسائر اهل بلده فكان ما يظهر منه ويدل على الساعة عند اهل العلم
ايضا انه قال وهو ان تقول الحيلة في دينه ما لم يفعل وحيث عليه امر الله
الله عليه لم يقم عليه فيه حد وعن الكاظم عليه السلام قال من ذكر جلالة
خلقه بما هو فيه مما لا يعيره الناس بما به وسرته ذكره بما لم يره فيه فقد بهته
وعن الصادق عليه السلام قال الغيبة ان تقول في اخيك ما ستر الله عليه
واما الامر الظاهر فيه مثل الحدة والعجلة فلا بحسن بعين على اما تم الغيبة
يغيبه من يعيبه الخلال ان ادلة الحكم غير مناولة لاهل الضلال قال الحكم
فيها سقوطا لذوي الدين او بالاخ والمراد اخوة الايمان فالتناول من لا يعتقد
الحق وعن الصادق عليه السلام ان اصل الغيبة يتنوع بعشرة انواع شفاء
غيظ وسعاية قوم وتهمة وتصديق خبر بلا كشفه وسوء ظن وحسد
سخرية وتعجب وتبرم وتزين قال فان اغتبت فبلغ المغتاب فاستحل منه
فان لم يبلغه فاستغفر الله وسايرا فات اللسان مستغن عن البيان

الباب الثالث في الغضب والحمية والحسد اعلم ان الغضب شعلة نار
اقتبست من نار الله الموقدة الا انها لا تطلع الا على الافئدة وانها المستكنة
في طي الفواد كامتكان الجمر تحت الرماد وشعر جماعية الدين من قلوب

هذه القوة على درجات ثلث في اول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال
اما التفريط فعند هذه القوة اوضعفها وذلك بلادة وهو الذي يقال فيه
انه لا حمية له وهو ناقص جدا ومن ثمراته عدم الغيرة على الحرم واستعمال الذل
من الاخساء وصغر النفس بالخور والتكوين عند مشاهدة المكاره الى
وصف الله حيار الصحابة بالشدة والحمية حال الشدائد على الكفار وقال
تعالى ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وانما الشدة
والغلظة من ثمرات الغضب واما الافراط فهو ان تغلب هذه القوة حتى
تخرج من سياسة العقل والدين وطاعتهما فلا يبقى للرجل معها حمية ونظر
وفكر بل الخشاية بحسب غلبته فقد يكون غضبا وقد يكون استبدادا بما يخالط
قوما يتحمرون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجلا
مهولا اسدما انا الذي لا اصبر على الحال ولا انتقل من اعلام ومعناه لا احتمل
ان ثم بكرة في معرض الفخر بجهله فمن جعله غريزة في نفسه حسن الغضب
وجعل التشبه بالقوم وبعضهم عن كل ما يرعنه ولا يتبدد الاستعانة
بنور عقله لاتطفائه بدخان الغضب ومن آثار هذا الغضب سقوط الهام تغير
اللون وشدة الرعدة في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والعقد واضطراب
الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وحمرة الاحداق وتغلب المناخرة
فتستحيل الخلقة ولو راى الغضبان في حال غضبه قبح صورته لكف عن
حياء من قبح صورة قد قبح باطنه اعظم من قبح ظاهره فان الظاهر هو ان الباطن
وانما قبحت صورة الباطن اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر فانبا نهاد الرؤية في
اللسان فانطلاقه بالشتم الفحش وقبح الكلام الذي يستحي منه ذوو العقل
ويستحي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ

واما اثره على الاعضاء فالضرب والتجرح والتمزيق والقتل والجرح عند
التكلم من غير مبالاة فان ضرب منه المغضوب عليه او فاته سبب عجز
عن الشفي يجمع الغضب على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم وجهه
وقد يفعله ذو الوالة السكين والمدية فيمزق الخمر ويباشر قطع مريء الاطلق
العدو او الخصم لشدة الغضب ويقربه بشبه الغشية وربما يضرب الجمادات
والحيوان الذي يضرب الضعف على الارض ويكسر السادة اذا اغضب عليها وقد
يتعاطى افعال المجانين فيشتم الهيئة والجماد ويخاطبها ويقول لها متى منك كانه
يخاطب عاقلا واما اثره في القلب فالحقد والحسد واظهار السوء والشماتة بالمساءة
والفرح والغم على اضداد السوء وعداد ذلك من القبائح فهذه
ثمرة الغضب المفرط وينبغي لصاحبه ان يعالج نفسه من صورة الغضب بحيث
على الوسط المحمود بين الطرفين وهو الصراط المستقيم وهو ادق من الشعر واحد
من السيف فان عجز فليطلب القرب منه فالله تعالى هو الذي يستطيع ان
تعالجا بين المرء وقلبه فلا تبقى له حاجة الى اكل المسك فانه لا معالجة فليس
كل من يعجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي ان يأتي بالشر كله ولكن بعض الشرور
من بعض وبعض الخير ابعض من بعض **فصل** اعلم ان الانسان ما دام
يحب شيئا او يبغضه ويحتاج اليه ويكره ما يخالفه ويؤذي منه فلا يخلو عن
الغيظ والغضب بجبلة طبعه فانه بما لم تعلمه محبوبه او قصد مكروهه يغضب
لامحالة وهذا يختلف باختلاف الاشخاص واما الحبوب الضروري لكل احد ما
اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وآله من اصبح امنا في سربه معافى في
بدنه وله قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها فمن كان مصبا بعض هذه
وسلمت له هذه الثلث فكل ما كان ضروريا له عاصة يقدر ان لا يغضب في

بعوده ٥٥

الجسد وانما الشر في

غيرها امتى بعد ان لا يطيع الغضب ولا يشتعل في الطعام الا واحد
يستحيه الشرع ويستحسنه العقل وذلك بالباءة وكذلك اقتداء الانبياء
مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا ظاهرا وما قمع اصل الغيظ من القلب
ذلك مستحيل في الطبع فهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى
لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه الى ان لا يظهر اثر في
الوجه ولكن ملك شديد بعد ان قيل ان الواجب انما هو ذوات الحلق اما
دونها الغضب فمن اين لك هذا وما حده فان غضب على احد ولم يكن
يحصل به كاهة ولم ير من جوارحه كل كراهة غضب فالانسان ما لم يعتد
الحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن ملك عليه التوحيد حتى يرى
الاشياء كلها من الله فلا يغضب على احد من خلقه اذ يراهم مسخرين في
قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن يقع عليه ملك يضرب به فلا
يغضب على القلم فيزيد هذا الغضب بغلبة التوحيد بقوة ايمانه بحسن
الظن بالله وهو ان يعلم ان كل ما اصابه لا بد وان اصابه لاجل انه الخير له
وما يكون الخير في وجوده وعدمه وجوده فقط فلا يغضب كما لا يغضب
على الفصاد لانه يعلم ان الخير فيه فنقول ان هذا على هذا الوجه عزيز جدا
ولكن غلبة التوحيد على هذا الوجه انما يكون كالبرق الخاطف لا يدوم ويرجع
القلب الى الالتفات الى الوسايط بحكم طبعه الا يندفع عنه ولو تصور ذلك
على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وآله وقد قيل لبعض الرسل عليهم السلام
قال كان النبي صلى الله عليه وآله لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه
احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم لله فكان يغضب على الحق واكان غضبه
لله فهو التفات الى الوسايط على الجملة بل كل من غضب على من يخاصمه

قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فانه اغضب عليه فلا يمكن الانفكاك
عنه نعم قد يزيد اصل الغيظ فيما هو ضروري واكان القلب مشغولا بضروري
اهم منه فلا يكون ذلك القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان
اشتغل القلب ببعض المهمات يمنع الانسان عما عداه وهذا كان سلمان
رضي الله عنه لما شتم قال ان خفت موازيني فاثاشتم الثقيل وان ثقلت موازيني
لم يضرني فما اثقل عنده كان هو مصروفا الى الاخرة فلم يؤثر قلبه بالشتم
فاذا لم يسمع فقد الغيظ اما باشتغال القلب بهم او بغلبة نظر التوحيد في سبب
ذلك السبب وهو ان يعلم ان الله سبحانه ان لا يرضاه فيطفي شدة حبه هذا غيظه
وذلك غير محال بحكم المعتاد **فصل** قد ثبت ان علاج كل علة بحسم
مادتها واذ الاسباب الداعية للغضب هي الزهو والعجب والفخر
والمراء والمزح والذلة والتعير والمماراة والمعاندة والحقد وشدة الحرص على
تحصيل المال والجاه وهي بجملتها اخلاق رديئة منهومة شرعا ولا خلاص عن
الغضب مع بقاء هذه الاسباب فاذ بمن اذا لتها باضدادها فينبغي ان تعلم
الزهو التواضع والعجب بالمعرفة بنفسك والفخر بمعرفة انه من الرذائل واما الفخر
بالفضائل واما المزل فمن يليه بالجد وطلب الفضايل والاخلاق الحسنة واما
المزح فمن يليه بالتكرم عن ايذاء الناس وصيانة النفس عن ان يستهزء بك واما
التعير بالحقد عن قول القبيح وصيانة النفس عن مثل الجواب عما شتم الحرص على
مزايا العيش فمن اله بالقناعة بقدر الضرورة طلب العز بالاستغناء وترضا
عن اهل الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر
في علاجها الى رياضة وتحمل مشقة وتعاطي بما يضادها ريعم الريعرفه غرايبها
ليرضا نفس عنها وتتمرن عن تعجلها ثم المواظبة على عكس اضدادها مدة

حتى تصير العادة سالوفة هينة على النفس فاذا انفتحت عن النفس فقد زالت
وظهرت عن هذه الرذايل وتخلصت عن الغضب الذي يترك منها وعلاجه
عند هجانها الاستعانة من الشيطان والعلم بان الكاظم غانما والانتقام ان
كان جايزا فالعفو اولى والعمل بالبداية فان الغضب من النار كما ورد
في الحديث النبوي وان يتفكر فيما ورد في فضايل الحلم والعفو والعلم
والاحتمال قال الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين و
قال الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال ادفع
بالتي هي احسن السيية فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما
يلقاها الا الذين صبروا وما يلقيها الا ذو حظ عظيم وقال النبي صلى الله
عليه واله ما جرع عبد جرعة اعظم عند الله من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه
الله وقال الباقر عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على امضائه حشا الله
قلبه امنا وايمانا وقال الصادق عليه السلام ما من جرعة كظم غيظا الا ازداد
الله عز وجل بها عزا في الدنيا والاخرة وقال عليه السلام كفى بالحلم ناصرا وقال اذا اراد الله
تكرمة عبد اكثر حلمه وان يعرف نفسه بعقاب الله لها وحري ما يكون الى المغفرة ان
يعلم نفسه معاقبة العدات والاثام ويفكر العبد لعقاب الله ان
يتفكر في قبح صورته عند غضبه بان يتذكر صورة غيره حالة الغضب
وان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الشيء على غير ما اراده لا على وفق
مراده وعن النبي صلى الله عليه واله الا ان بني ادم خلقوا على طبقات شتى فمنهم
بطيء الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك
ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء الا وان خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء
وشرهم السريع الغضب بطيء الفيء اعلم ان الغضب اذا لزم

كظمه لعجز عن التشفي في الحال يجمع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا
ومعنى الحقد ان يلزمه قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه وان يجد
على ذلك ويبقى قال رسول الله صلى الله عليه واله المؤمن ليس بحقود و
الحقد يحبط اصول اساسها الحسد وهو ان يجد العبد على ان يتمنى زوال النعمة عنه
ويغتم بنعمته ان اصابها وبمصيبته ان نزلت به ومنها ان يزيد على اضغاث
الحسد الباطن فيشفي ما يصيبه من البلاء ومنها ان يجهر ويقطع عنه
وان طلبه الحق واقبل عليه ومنها ان يتكلم فيه بما لا يحل من كذب تحت
واغتياب سر وهتك ستر وغيره ومنها ان يحاكيه استهزاء به وسخرية منه و
منها الايذاء بالضرب والمال بولده بدنه ومنها ان يمنعه حقه من صلة دم
او قضاء دين او رد مظلمة وكل ذلك حرام واهل الجنات الحقد ان يحترز من هذه
الآفات ولكن يستقله بالباطن ولا ينفق قلبه عن بغضه حتى يشفع عاكان
يطوح به من البشاشة والرفق والعناية والقيام لحاجاته والجالسة معه
على ذكر الله والمعاونة على المنفعة له او يزيد الدعاء والثناء عليه او التحرز من
ما يزين ومساءته فهذا كله مما ينقص درجة الدين ويحول بينه وبين فضل
عظيم والاولى ان يبقى على ما كان فان امكنه ان يزيد في الاحسان مجاهدة
للنفس وارغاما للشيطان فذلك مقام الصديقين قال رسول الله صلى الله
عليه واله الا اخبركم بخير خلاين الدنيا والاخرة العفو عمن ظلمك وتصل من
قطعك والاحسان الى من اساء اليك واعطاء من حرمك وقال صلى الله عليه
واله عليكم بالعفو فان العفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله وقال
الباقر عليه السلام الندامة على العفو افضل واير من الندامة على العقوبة
وعن النبي صلى الله عليه واله ان الرفق لم يوضع على شيء الا زانه ولا نزع

من شيء الا شاء وقال الباقر عليه السلام ان الله يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف وقال الصادق عليه السلام ما كان الرفق في شيء الا زانه ولا عن شيء الا شانه وقال الكاظم عليه السلام الرفق يمن العيش

فصل واعلم ان الحسد من نتايج الحقد كما ان الحقد من نتايج الغضب ثم الحسد من الفروع الذميمة سالاكا ذميما قال الله تعالى في معرض الانكار على حسدة الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال وذكر كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وذكر الله حسد اخوة يوسف عليه السلام في قولهم ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة وقال صلى الله عليه وآله الحسد ياكل الحسنات كما ياكل النار الحطب وقال صلى الله عليه وآله قال الله تعالى لموسى بن عمران يا ابن عمران لا تحسدا الناس على ما آتاهم من فضلي ولا تمدن عينيك الى ذلك فان تنعيم عبادي من ايات كذلك فلست منه ولست مني وقال صلى الله عليه وآله استعينوا على قضاء الحوايج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال صلى الله عليه وآله لا يجوز منهم من حسد الا في النظر والطيرة والحسد وساعة تذكر المخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحققوا واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ وقال الصادق عليه السلام اول ذنب عصي الله به الكبر ان ابليس حين امر بالسجود كان فيه الكبر والحمية والفخر وحسد آدم على صفوة الله من الطين واللؤلؤ الرطب وصار ابليس بكبره وحسده وفخره عدوا لله ولآدم وذريته وصار اول من سن المعاصي وفتح ابواب السيئات وسن الفواحش وغير خلق الله وصورته حتى مسخ الله من لعنه وصيره شيطانا رجيما فاحذروا ان تكونوا مثله في الكبر والحسد فان الكبر والحسد جامعان لابواب الكفر وشعبه كلها وهما اول معصية عصي الله بها وهما اول ذنب عصي الله به في السماء وفي الارض اما الكبر ففي ابليس حين امتنع ان يسجد لآدم وقال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين واما الحسد ففي ابن آدم الاول حين حسد اخاه هابيل فقتله فبالكبر والحسد دخل الخلل على جميع الخلق فاحذروهما عباد الله واحذروا ابليس ان يغلبكم كما غلب على كثير من الامم الماضية والقرون السالفة فصرعهم في مهاوي الهلكة وحلل بهم قوارع النقمة وبوايق النكال فكونوا منه على حذر واستعينوا بالله يعنكم على ذلك ويكفكم شره ويحرسكم من مكره وبغيه

فصل واعلم ان الحسد مع التعزز على المحسود وجب زوالها منه فان تجب ذوالها منه ولا يكره دوامها عليه ولكن يتمنى لنفسه مثلها بسعي مغبطة وقد يسمى منافسة قال الله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون والمغبطة ان كانت في الدنيا فقد رغب اليها قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن يغبط المنافق بحسده وقال لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله سلطانا على هلكته في الحق ورجل اتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس يعني الغبطة حسدا وهذا كما ترى يسمى الحسد منافسة فان اسباب النعمة كلها زايلة قاهرة وهي ستة من بها على نفسه فهي نعمة وافساد ذات البين وايثار الخلق فلا يصح تكرهها عليه يجب فالحاسد من حيث انها الله للمنافسة لا من حيث انها نعمة ولسباب الحسد المذموم العداوة والتعزز والكبر والتعجب والحزن من فوت المقاصد المحمودة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة عليه لما لانه عندها فلا يريد الخير لها ان يكون من حيث يعلم انه سيتكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق استكباره وتضاؤله نفسه وهو المراد بالتعزز واما ان يكون بحيث يتكبر على المحسود ويترفع عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر واما ان يكون النعمة عظيمة والمنصب بها يتعجب من حوز مثله مثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب واما ان يحاول ان

ولا تكن حاسدا فان ميزان الحاسد ابدا خفيف يثقل ميزان المحسود والمرء في مقدوره فاذا ينفع الحاسد الحسد وما ذا يضر المحسود والحسد والحسد يصله من حيث القلب جمود فضل الله وهما جناحان للكبر وبالحسد وقع ابليس في حسرة الابد فهلك هلاكا لا يجبر بعده ابدا فالحاسد لا بد مضطر الى معاندة مطلوبه في بعده وبلا معارض بد ولا سبب والطبع لا يتغير عن الاصل وان عولج فصل ومعنى الحسد كراهة النعمة على المحسود وحب زوالها منه فان تجب ذوالها منه ولا يكره دوامها عليه ولكن يتمنى لنفسه مثلها بسعي مغبطة وقد يسمى منافسة قال الله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون والمغبطة ان كانت في الدنيا فقد رغب اليها قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن يغبط المنافق بحسده وقال لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله سلطانا على هلكته في الحق ورجل اتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس يعني الغبطة حسدا وهذا كما ترى يسمى الحسد منافسة فان اسباب النعمة كلها زايلة قاهرة وهي ستة من بها على نفسه فهي نعمة وافساد ذات البين وايثار الخلق فلا يصح تكرهها عليه يجب فالحاسد من حيث انها الله للمنافسة لا من حيث انها نعمة ولسباب الحسد المذموم العداوة والتعزز والكبر والتعجب والحزن من فوت المقاصد المحمودة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة عليه لما لانه عندها فلا يريد الخير لها ان يكون من حيث يعلم انه سيتكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق استكباره وتضاؤله نفسه وهو المراد بالتعزز واما ان يكون بحيث يتكبر على المحسود ويترفع عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر واما ان يكون النعمة عظيمة والمنصب بها يتعجب من حوز مثله مثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب واما ان يحاول ان

موات مقاصده بسبب حسنه بان يتوصل بها الى مزاحمته في اغراضه واما
ان يكون بسبب الرياسة التي ينبغي على الاضعاف من يغلبها ويقهرها واما لا
لا يكون بسبب من هذه الاسباب بل لمجرد النفس وشحها بالخير فيما اعتاده وان
كانت النعمة لا يتوصل اليه وقد يجتمع هذه الاسباب او اكثرها في شخص واحد
فيعظم الحسد المذكور ويقوى قوة لا يقلعه معها عمل الاطباء والحاسد في تلك
حجاب الحماية ويظهر العداوة بالكاشحة **فصل** هذه الاسباب انما
تكون بين اقوام يجمعهم روابط يجتمعون بسببها في المخالطات وتوارد دون
على الاغراض فاذا نالت واحدا صاحبه في غرض من اغراضه نفرت به وابغضه
وتمنى الضد فيه فتصدر منه ما يريبان يستخف به وينكر عليه ويكايده على تحصيل
غرضه ويكيده بما يمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه واذا لا ترابطه بين
شخصين من هذين من غير ان يكون بينهما محاسنة نفسانية ولا ذاتية
مكرا او سوق او صحبة او مدرسة تولد واحد منها حسدا فقد يقع بينهما التحاسد
فيقع من التنافس التنافر والتباغض ومنه شر بقية الاسباب هذا الذي
ترى العالم يحسد العالم والعابد العابد دون العالم والتاجر
عند التاجر دون غيره والاديب اخر يروى الاجتماع في المحافل يحسد الرجل
لغناه وابن عمه اكثر ما يجد الاجانب والمرأة تحسد ضرتها وسرية زوجها
اكثر ما تجد اذا تزوج عليها وذلك للتزاحم على المقاصد فمن اشتد
حرصه على الجاه واحب الصيت في جميع اطراف العالم رأى هو وبه فانه يجد
كل من يعرف العالم من يساهمه في الخصلة متأخرا بها ومتقدما جميع ذلك بسبب
الدنيا فان الدنيا هي التي يضيق على المتزاحمين اما الاخرة فلا ضيق فيها فان مثال
الاخرة نعمة على الاخر فلا يزيد من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته و

ملائكته وانبيائه وملكوت ارضه وسمائه لو يحسد غيره اذا عرف ذلك
ايضا لان المعرفة لا تضيق على العارفين بل المعارف والواحد معرفة الف الف
عالم ويفرح معرفته من لسانه ولا تفاضل واحد بسبب غيره بل يحصل لكل
العارفين درجات الانس وثمرة الاناة والاستفادة اذ معرفة الله بحر واسع لا
ضيق فيه ولا تزاحم عنده ايضا لاضيق فيها لان اعلى ما عنده من النعم
لذة القائه وليس فيها مسابقة ولا مزاحمة بل يزيد الانس بكثرتهم فهذا فصد
الحسد بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال هو اعيان يحصل اذا قصد
في يد احد فقدت عنها يد الاخرين ومعنى الجاه ملك القلوب وهما امتلاء
شخص بغلبة عالم الناس وعن تعظيم الاخر او نقص عنه لاجلها لذة فيكون
ذلك سبب اللحاسدة **فصل** اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة المهلكة
للانام وهي امراض القلب لا الجسد والعمل والعلم النافع لمرض الحسد اذا تقرر
تحقيقا ان الحسد ضرر طبيعي في الدنيا والدين وانه لا ضرر به على المحسود في
الدين ولا في الدنيا بل ينفع به فيهما وهما اعرفت هذا اعرفت بصيرة ولم تكن
نفسك وصديقها وقد تحققت الحسد لا اهالة اما كونه ضررا طبيعيا في الدنيا
فهو ان الحسد سخط قضاء الله تعالى بكره نعمته التي قسمها للعباد
وعلم الدخل اتمامه في ملكه بحكمته واستكرت ذلك واستشنعته فهذه
جناية على حضرة التوحيد وقد تقدم في عين الايمان ما فيها جناية على
الدين وقد اضاف اليها انك غششت عباد من المؤمنين وتركت نصيحتهم
وعاديت اولياء الله وانبياءه وفي جميع الخير لعباده وتركت المليك سيار الكافة
في جميع المؤمنين البلايا ودفع النعم وهذه خبائث في القلب تاكل حسناته
القلب كما تاكل النار الحطب وتحرقها كما يحرق الليل النهار وما كونه ضررا في الدنيا

عليه فهو انتقام عبد لله سبحانه تعذب به ولا زال في ذلك عضاً اعداء الله
لا عليهم الله من نعم منغصاً عليه فلا زال معذب بكل نعمة يراها تنافه
بكل بلية متصرف صفحة فتحق حرمانها وتمتنع القلب حتى النفس كما
تشتهيه الاعداء كما يشتهي اعداء الله عند كثرة يزيد الحسد لعدو الله تضرر
في الحال بحيث لا يقدر ولا يزيل النعمة على العبد بعداوة كما ذكرنا سنة الله
بالحسد من حيث هو عليك نعمة ولا على الخلق ولا نعمة الايمان ايضاً لان الكافر
يحسد المؤمنين على الايمان قال الله تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب
لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون بل ما فاقده الله من نقاله
ونعمة فالحسد يبدو الى العمل عند الله ولا حيلة في دفعه بل كل شيء منا
بقدر ولكل اجل كتاب حسد الغرض النعمة الحسد لا يكون على الخير حتى
في الدنيا ولا يكون عليه اشد الا شر ولما ان الحسد يشتمل في الدين و
والدنيا فوائد اضرها ما تنفعه في الدين فهو انه مظلوم من جهتك لا سيما اذا
اشر جل الحسد الى القول او الفعل بالغيبة والقبيح فيه وهتك ستره وبكم
مساويه فهذه عدايا تهدي اليه ما شغال حسنات الحاسد حتى تقل او تفنى
محو وما عن النعمة كما مر وتمتع في الدنيا عن النعمة فاضفت اليه نعمة الى نعمة و
اضفت لحسنات شقاوة الى شقاوتك وما تنفعه في الدنيا فهو ان اهم
اغراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين معونين
ولا عذاب اعظم مما انت فيه من الم الحسد وقد فعلت بنفسك ما هو اشد
فالحاسد ينبغي ان يحكم الحسد فكل ما يقتضاه من قول وفعل ينبغي ان يكلف
نفسه بنقيضه فان بعثه الحسد على القبيح فيه كلف لسانه المدح لمن
الثناء عليه وان حمله على التكبر الرفيع نفسه التواضع له والاعتذار اليه

وان بعثه على ترك الانعام عنه الزم نفسه الزيادة في الانعام عنه فاضل
ذلك من تكلف وعزه الحسد وطاب قلبه وانعمه وصاحبه عاد الحاسد
واحبه وتولد بينهما الموافقة التي تقطع مادة الحسد ويصيرها تكلفه الا
طبعاً الحرا والاصل في العلاج قمع اسباب الحسد من الكبر وغرة المغتر
شدة الحرص على الاجتماع كما اتى بيانه الباب الرابع في الزنا واللواط
والعجب اعلم ان الزنا بالعباد حرام وصاحبه ممقوت عند الله قال الله
تعالى ويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون الذين هم يراؤن
يمنعون الماعون وقال عز وجل مراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا
قال النبي يتغوث ما الدرهم الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وآله
يقول الله تعالى من عمل عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بريء
انا اغنى الاغنياء عن الشرك وقال صلى الله عليه وآله الحذاء في الرياء
شرك وقال سيأتي على الناس زمان تخبث فيه سرايرهم وتحسن فيه
علانيتهم طمعا في الدنيا لا يريدون به ما عند ربهم يكون دينهم رياء لا
يخالطهم خوف فيعمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب
لهم وقال صلى الله عليه وآله ان الملك ليصعد بعمل العبد يبتهج به فاذا
صعد بحسناته يقول الله تعالى لبعض ملائكته انك ليس لهذا ان هذا قال
امير المؤمنين عليه السلام اخشوا الله خشية ليست بتعذير واعملوا في غير
رياء وسمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله تعالى على عمله وقال عليه السلام
علامات المرائي ينشط اذا رأى الناس ويكسل اذا كان وحده ويحب ان يحمد
في كل امور وقال الباقر عليه السلام الا بقاء على العمل اشد من العمل قيل له
ما الابقاء على العمل قال يعمل الرجل صلة ويتفق نفقة ويعتق ولا يشرك

تنكسه سر اشيكه ها متى فتكتب له علانية شريكه ها فتحى وكتب له رياء
وقال الصادق عليه السلام قال الله تعالى انا خير شريك من اشرك معى غيرى
فى عمل عمله لى اقبل الا ما كان لى خالصا قال الصادق عليه السلام شرك الشيطان
كان ثوابه على الناس ومن عمله كان ثوابه على الله وقال عليه السلام
قال احدهما عز وجل من كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة
ربه احدا قال الرجل يعمل شيئا من الثواب لا يطلب به وجه الله انما يطلب
تزكية الناس يشتهى ان يسمع به الناس فهذا الذى اشرك بعبادة ربه ثم
قال من عمل لغير الله فحسبه النار ما حتى يظهر الله له اشيرا وما من عبد
يسر شرا فمضت الايام حتى يظهر الله منه شرا وقال عليه السلام ما يضع
احدكم ان يظهر حسنا ويسر سيئا ليس يجمع الى نفسه محمدتين قال الجبر
كذلك والله تعالى يعرف بل الانسان على نفسه بصيرة ان السريرة اذا صحت
قويت العلانية وقال من اراد الله بالقليل من عمله اظهره الله له اكثر مما
اراد ومن اراد الناس بالكثير من عمله فى غيب من يدى الله وسهر من ليل الى
الله الان يقلله فى عين من جمعه ولا بأس بالسر وله اكان حقيقا ان تقضى
الطاعة والاخلاص فيه ولكن الله عليه الخلق على حالات الله اطلعهم عليه
واظهر الجميل من حاله فيستدل به على حسن سيرته اذا وقع نظره له والطاعة
به فانه ستر الطاعة والمعصية شاهد به ستر عليه المعصية ويظهر الباقى
فيكون فرجه بجميل نظر الله له اجمل الناس فيما ظهر له منه فكم بهم من
قال الله تعالى قل يفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا لو كان انا استدلة
باظهار الله الجميل ستره القبيح عليه فى الدنيا انه كذلك يفعل به فى الآخرة
قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما ستر الله على عبد فى الدنيا الا ستر

عليه فى الآخرة فيكون الاول فرجا بالفعل فى الحال وهذا الفات الى المستقبل
وكذا اذا ظن بصحة المطلعين على الاعمال به فى الطاعة فيقتضاه عن ذلك
اجر ويكون له اجر العلانية باظهار له اجر السريرة اقصده اولا ومن
اشتهر به وطاعة فله اجر اعمال المشتهرين به من غير ان ينقص من اجورهم شئ
وكذا اذا فرح طاعتهم لتفى مدحتهم وحبهم الطبع ويميل قلوبهم الى الطاعة
وكذلك روى قال الرجل يسأل الله صلى الله عليه وآله يا رسول الله الرجل
احب ان يطلع عليه احد فيطلع عليه فيرى فى ذلك اجران الجليس
واجر العلانية وعن الباقر عليه السلام انه سئل عن الرجل يعمل الشئ من الخير
فيراه انسان فيسره فقال لا بأس ما من احد الا وهو يحب ان يظهر الله له
فى الناس الخير اذا لم يكن صنع ذلك لذلك وكذا الكلام فى كفارات المعاصى لا
لان يعتاد به الورع بل الخاص عن المثل اولان الستر ما مور به وقد
يعرف بكراهة ظهورها من الغير او لانه يتأدى به الى ظهور مباح لكون جميلا
اولان الناس شهداء كما ورد اولان الدنيا يصير جاهليا ويعرف بشهرته
وشهرة اولى ان يقصد فيها او للحياء فهو كرم الطبع كما ورد الحياء
كله خير الحياء شعبة من الايمان اولان يقتدى به الغير او يجد محبة الناس
له ليعلم محبة الله تعالى له فان من احبه الله جعله محببا فى قلوب الناس

فصل اعلم ان الرياء بالعبادة انما ينشأ من حب الدنيا والغرور من الله
لان عدم الطمع فيما فى ايدى الناس يمنعهم عن التعبد بقصد الرياء وبما يترتب
من جلب طاعتهم وما يجره عنه فى الحال من التوفيق يسبب الآخرة من المزايا عند
الله وما يتعرض له من المعاتب والمقت والخزى وقابل ما يحصل له على الجملة
والتزين لهم الدنيا بما يفوته من الآخرة وما يحبط عليه من ثواب الاعمال

لترك الرياء لاحتمال ان العمل الرياء صار مكان بترجيحه ميزان حسناته
او خلص فاذا فسد بالرياء حول الى كفة السيات فترجح به ذنوبه الى النار
هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من فشل العمل وسبب ملاحظة قلوب الخلق
فان بعضا الناس غاية لا تدرك كل ما يريحني به قريبا وبعضا بعضهم في
سخط بعض ومن طلب رضاهم في حفظ الله سخطه عليه واسخطهم
ايضا عليه ثم اي مرجع له في رضا بعضهم وايثار رضا الله لاجل حمد بعضهم
له حمد من لا يملك لا نفسه ولا احبائه نفعه ولا موته ولا حياته ولا نشوره
واما الطمع بما في ايديهم فبان يعلم ان الله تعالى هو الساخر للقلوب بالمنع
الاعطاء وان الخلق مقهورون تحت يده ولا ازق الا الله ومن طمع في الخلق لم
يخل من الذل والخيبة وان وصل الى المال اداه ذلك الى الشح والمهانة فاذا
قرر في قلبه ان قطع هذه الاسباب وغيرها قدرت ربه وقبل على الله بقلبه
ويكفيه ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء واظهار الاخلاص
لمشتوه وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه الى الناس والمخلص لا يكشف
الله عنه بل يحببه اليهم ويحسن ثناءهم عليه اطلاق الله لسانهم بحمده
والثناء عليه مع ان الله لا يحب حمدهم لانفسهم في فهم ينبغي
ان يجرد نفسه اخفاء العبادات واخلاق الاعمال جهده كما تقدم الا ان
دون الفوائح حتى يتبع قلبه بعمله الله اطلاعه على عبادته ولا يستأنس الى
الطلب علم غير الله به وذلك وان شق في بداية المجاهدة لكن اذا صبر عليه
مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه بتوالي الطافه ومعونته
له عباده من حسن التوفيق والتأييد ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بانفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية والله لا يضيع اجر المحسنين

قال الصادق عليه السلام اكثر ما يقع الرياء في النظر و
الاكل والكلام والمشي والجالسة واللباس والضحك والصلوة والحج والجهاد
وقراءة القرآن جميع العبادات الظاهرة ومن اخلص فيه باطنه وخشع لقلبه
وراى نفسه مقصرا بعد بذل المجهود في عمله اشكر عليه ما سلم ويكون من
جهاد الخلاص من الرياء والنفاق اذا استقام عليه الساكل كل حال فصل
واما الرياء بغير العبادات فقد يكون واجبا اذ يجب على المرء صيانة عرضه
وان لا يفعل ما يعاب عليه فالحق بدفع الروات ان يتركوا الامور
الخسيسة بانفسهم عند مشاهدة الناس وان جاز لهم الخلوة لان ذلك
يخالف بامثالهم الاغنية والبلداء والاشخاص من العباد فلذلك من مراعاة
ذلك ما نقل ان الصادق عليه السلام انه نظر الى رجل من اهل المدينة قد
اشترى لحما الدشيشا وهو يحمله فلما راه الرجل استحى منه فقال عليه السلام
اشتريته لعيالك وحملته اليهم اما والله لو لا اهل المدينة لاحببت ان
اشتري لعيالي الثريد واحمله اليهم اراد عليه السلام لو لا مخافة ان يعيبني
على ذلك سمع ابن عبد امير المؤمنين صلوات الله عليه فكان يفعل مثله الا
ان الماكان في زمان لا يعاب عليه مثله جاز له ان يتركه وكان منفعة
له وتعليما وقد كان من رسول الله صلى الله عليه وآله اراد يوما ان يخرج على
اصحابه فكان ينظر في حب من الماء ويسوي عمامته وشعره فسئل الله افعل
ذلك يا رسول الله فقال نعم ان الله يحب من العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم
وقال امير المؤمنين عليه السلام ليتزين احدكم لاخيه السلام كما يتزين للغريب
الذي يحب ان يراه في احسن هيئة وقال الصادق عليه السلام الثوب النقي
يكسب العبد مكارم ذلك ويارمحروب فصل واما الكبر فانه من نتايج العجب الكبر

بيان من الحقد والحسد والرياء وقد ذم الله التكبر في مواضع من كتابه
قال الله تعالى ما صرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال
كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال رسول الله صلى الله عليه
وآله لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر وقال
من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان قال
الباقر عليه السلام الكبر رداء الله والمتكبر ينازع الله رداءه وقال الصادق
عليه السلام الكبر غمص الناس وسفه الحق وقد عليه السلام
في رواية اخرى سفه الحق بان يجهل الحق ويطعن على اهله والغمص غمط الناس
والتجبر عليهم وقال عليه السلام سامن احدكم او تجبر الا لذلة وجدها
في نفسه وقال ان في جهنم لوادي للمتكبرين يقال له سقر شكا الى الله شدة
حره وسأله ان يأذن له ان يتنفس فتنفس فاحرق جهنم وقال ان المتكبرين
يجعلون في صور الذر يطأهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب وقال
عليه السلام ان في السماء ملكين موكلين بالعباد فمن تواضع رفعاه ومن تكبر
وضعاه وعن النبي صلى الله عليه وآله ما تواضع احد لله الا رفعه الله
وعنه صلى الله عليه وآله انه ليعجبني ان يجهل الرجل الشيء في يديه فيكون
مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وعنه صلى الله عليه وآله انه
قال لاصحابه مال لا ادري عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة
قال التواضع وعنه صلى الله عليه وآله قال اذا رايتم المتواضعين من
امتي فتواضعوا لهم واذا رايتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم
مذلة وصغار وعن النجاد عليه السلام انه مر على الحذاءين يصرا كبر
حماره وهم يتعذرون فدعوه الى الغداء فقال اما اني لولا اني صائم لفعلت

فلما صار الى منزله امر بطعامه فصنع وامر ان يتنوق فيه ثم دعاهم فتغدوا
عنده وتعلقت معهم وعن الكاظم عليه السلام قال التواضع ان تعطي
الناس ما تحب ان تعطاه منك مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام
التواضع اصل كل خير ينفيه ورئاسة رفيعة ولو كان التواضع لله شخصا
لكان الطف من حسنات ما ترى من هيئات العواقب والتواضع ما يكون عند
الله وما سواه متكبر ومن تواضع لله شرف وعمل كثيرا من عباده ولا اصل التواضع
علامات تعرف بها اهل السعادات من الملائكة واهل الارض من العارفين قال
الله عز وجل يعلم الاعراب وجال يعرفون كلا بسيماهم واصل التواضع من
اعمال القلوب هيبة الله وعظمته والنيل عند عز وجل عبادة يرضاها وعيبها
الا واياها التواضع ولا يعرف ما في حقيقة التواضع الا المقربون من عباده المصطفين
بجلاليته قال الله عز وجل وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا اذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقال امير المؤمنين عز وجل خير خلقه وصفيه
ونبيه صلى الله عليه وآله بالتواضع فقال عز وجل واخفض جناحك لمن اتبعك
من المؤمنين والتواضع مزعة الخشوع والغض عن الخشية والحياء وانهما لا
يأتيان الا مع الاستكانة الشريفة التام العميق الا التواضع في ذات الله فصل
التكبر قد يكون على الله كما كان لنمرود وفرعون وقد يكون على رسله كما كان لقوم
اولئك من الله عليهم من بينات وقد يكون على عباد الله بان يستعظم نفسه
ويستصغر غيره فاذا سمع الحق من عبد من عباد الله استكف من قوله و
استهان بحجته كما يكون لاكثر المناظرين من العلماء للغلبة والافحام وقد يكون
بالعلم وقد يكون بالعبادة والورع وقد يكون بالنسب والحسب والجمال والمال
والقوة وكثرة الانصار والاتباع والتكبر بالعلم له سببان احدهما ان يكون

لعله كان

اشتغل العالم فيما على اولين بعلم حقيقي والثاني ان يتحرز في العلم
وهو خبيث النفس رديء الاخلاق لم يهذب نفسه او لم يزكها
بالمجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر فاذا نافس
في العلم اي علم كان صادف العلم من قلب منكوس لا ينبت فلم يطهر ثمرة ولم
يظهر فيه الخير اثر وعلامة ان يعلم ان الكبر لا يليق الا بالله عز وجل وصفة و
انه اذا تكبر فهو مقوت عند الله بغيض وقد اوجب الله سبحانه ان يمقت كل
ان يكلف نفسه ما ليس له ولان يعلم ان حق الله على اهل العلم اكثر
فلا يتحمل من الجاهل ما لا يحتمل عشر من العالم وانه من حسن ما يعبد من
معرفة وعلم بخيانة الخلق اذا لم يتخير عن غيبة الله عليه في العلم ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في العالم يوم القيامة فيلقى الثاني
فيتعلق اقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار الرحى فيطيف به اهل النار فيقول
ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله تعالى
اليهود بالحمار وبلعم بن باعور بالكلب قال تعالى يذمه ويدل على العلم الذي
كيف تلا على عليهم السلام وقال الصادق عليه السلام بعفر للجاهل سبعون
ذنبا قبل ان يغفر للعالم ذنب واحد وعلى العابد الورع ان يعلم ان ليس
يفقده عليه العلم لا ينبغي ان يتكبر عليه لما عرف من فضيلة العلم
وكما ان العلم يمكن ان يكون حجة على العالم يمكن ان يكون وسيلة له وكفارة
لذنوبه ان الحسنات يذهبن السيئات وامر غير العالم الذي حقه مستودع
انما الله ادعى الخاتمة فعليه ان رأى من هو شر منه ان يقول لعل هذا خير
واعلم منا فلذلك يراه شرا منه خاتمة امر العاقبة ويقول لعل هذا باطن
فذلك خير له ولا ادري لعل فيه خلق كريم بينه وبين الله فيرجعه الله و

يتوب عليه ويختم له باحسن الاعمال ويرى ظاهر فذلك شر لي لا ان
فيما اظهر من الطاعة ان يكون دخلها الافات فاحبطتها وبالجملة من حيث
ان يكون عند الله شيئا وقد سبق القضاء الالهي بشقوته فماله سبيل الى
ان يتكبر بحال من الاحوال نعم اذا غلبه الخوف على كل احد خير من نفسه
وذلك هو الفضيلة قال الله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة اي
يؤتون الطاعة وهم على وجل عظيم من قبولها ومن يعتريه الكبر من جهة
النفس فليداوه بمعرفة امرين احدهما ان هذا جهل من حيث تعزز بكبر
غيره والمستحيل ان تعزز بأباء فعن شرف اقدمت ولكن بدين والله
فالتكبر بالدين كان خسيسا في صفات فالذي ان يجر خسته كمال غيره
بل كان الذي ينسب اليه حيا كان له ان يتيه بالفضل لو من ذات افاء
وهو مخلوق من نطفة قذرة وجيفة منتنة وان عرف نفسه حقيقة عرف اباه قذرا
فان اباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد خرج اقذر
شيء من سلالة من ماء مهين واما الكبر بالجمال فدواؤه ان ينظر الى باطنه
نظر العقلاء لا نظر الحمقاء ما يكره عليه التعرض بجماله فانه كل به الآفات
وجميع اجزائه الرجيع في اسفله والبول في مثانته والمخاط في انفه والصاف
في بطنه الريح في امعائه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطه
يغسل العاقل كل يوم دفعة او دفعتين بيده يزيد الماء كل يوم مرة او مرتين
ليخرج من باطنه ما تراه بعينه لاستقذره فضلا ان يباشره بيده فما ظنك
امر خلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض وخرج من مجرى
البول الى الرحم مع فرض دم الحيض ثم يجري القذر والنتن في جميع بدنه

ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأكل على الارض ويقول انما انا
عبد آكل كما يأكل العبد وقيل لسلمان لم لا تأكل جيدا فقال انما انا عبد
فاذا اصنعت يوما لست اشارك الى العتق سنة الاخرة والتواضع اضعافا
يعرف بها تواضعه فلا يدان يخبر نفسه بها حتى يطلب ان يأنه متواضع
فانه قد يعتبر التواضع ويدعي البراءة من الكبر فاذا وضعت لوجه الله
التفضل عليها وضيعتها عنها ثم الخروج ان يتواضع في غير مذلة
غير متجاسر فان كل طريقة الامور فخيرها اوساطها
وهو ان يعطي كل شيء حقه وهو العدل فضل واما العجب فهو
اعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان كان خالصا
على بدو الحاشة فقاعلى تلقيها او يكون فرحه بها من حيث انها من الله
دون اضافتها الى نفسه فليس بعجب فان اضافت الى ذلك ان غلب على ظنه
ان له عند الله حقا وانه سبب لكرامته استعدان يجري عليه مكروه يحق
او لا فالعمل فكانه يرى لنفسه على الله حقا وكذلك قد يعجب على غير وشك
فيستعظمه ويمن عليه ويكون معجبا فان استخف ما اقترح عليه الاقل ايا
او استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه قال الله تعالى في
معرض الانكار ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم وقال ويظنون انهم
حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقال ويحسبون
انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان
بعلمه وتحفظه فيه كما يعجب بعمله ومنصبه فيه قال الله تعالى افمن زين
له سوء عمله فراه حسنا وقال النبي صلى الله عليه وآله ثلاث مهلكات شح
مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه وآله اذا

رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخاصة
نفسك وقال صلى الله عليه وآله لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر
من ذلك العجب العجب وقال الصادق عليه السلام ان الله تعالى علم ان لذة
خير لا بد من العجب ولولا ذلك ما ابتلى مؤمنا بذنب ابدا وقال ان الرجل
ليذنب الذنب فيدخل عليه به العز فيكون ذلك فيه اجر من ذلك الذنب فلا
يكون ذلك الذنب يريده الا خيرا وقال عليه السلام قال الذي عالم عابدا
فقال اكتب مسائلك فقال مثلي يسأل مثلك بالعجز صلوته وانا اعبد الله منذ كذا و
كذا قال فكيف بكاؤك قال اكثر من بكاء تحري دموعي فقال العالم ان ضحكك وانت
خائف افضل من بكائك وانت مدل ان المدل لا يصعد من عمله شيء
وعن الباقر عليه السلام قال دخل رجلان المسجد احدهما عابد والآخر فاسق
فرجا من المسجد والفاسق صديق والعابد فاسق وذلك ان دخل العابد المسجد
مدلا عجبا وتدبل بها فكون فكرته في ذلك ويكون فكر الفاسق في الندم
على فسقه ويستغفر الله مما صنع من الذنوب وقال النبي صلى الله عليه وآله
قال ابليس لعنه الله لجندي بالذنب الذي اذا ذنبه ابن آدم واستوثقت عليه
فقال اذا عجبته نفسه واستكثر عمله وصغرت عينه ذنبه وقال الله
تعالى لداود يا داود بشر المذنبين واذر الصديقين قال يا رب كيف
ابشر المذنبين واذر الصديقين قال بشر المذنبين اني اقبل التوبة واعفو عن الذنب واذر الصديقين ان لا
يعجبوا باعمالهم فانه ليس عبد انصبه للحساب الا هلك وعن الكاظم عليه السلام
انه سئل عن العجب الذي يفسد العمل فقال العجب درجات منها ان يزين
للعبد سوء عمله فيراه حسنا فيعجبه ويحسب انه يحسن صنعا ومنها ان يؤمن
العبد بربه فيمن على الله ولله عليه فيه المن وهو في مصالح الشريعة قال

الصادق عليه السلام العجب كل العجب من يعجب بعمله وهو لا يدري بما يختم له فمن اعجب بنفسه وفعله فقد فصل عن نهج الرشاد وادعى بما ليس له والمدعي من غير حق كذاب خفي عن عواره وطال في دهره فاته اول ما يفعل بالمعجب نزع ما اعجب به ليعلم انه عاجز ضعيف ويشهد على نفسه ليكون الحجة عليه ماوكذلك اصل بالبلية والعجب بنيات حبها الكبر وهي ارضها الثقة وماؤها البغي واعصانها الجهل وورقها المداهنة وثمرها اللعنة وهو الحائل في النار فمن اختار العجب فقد اختار الكبر وبئس التعاون ولا بد لمن كبر

فصل اعلم ان آفات العجب كثيرة منها انه يفضي الى الكبر لانه اعجاب كما اشرنا اليه ومنها انه يحول الى نسيان الذنوب وما يذكر منها يستعظمها ولا يستعظمها لاجتهاده في تلافيها وتلافيها بما يظن انها تغفر له واما العبادات فيستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها ويرى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم اذا عجب بها عجب عن اتمامها ومن لم يتفقد اتمام الاعمال كان اكثر سعيه ضائعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة فهي عن الثواب بطالة وانما تتفقد من يعلم عليه الاتقاء والخوف فذلك العجب والمعجب يغتر بنفسه ويرى من مكارمه وعلائه ويظن انه عند الله بمكان ولله عند ذلك منة وحقا باعالة التي هي نعمة من نعمه وعلية من عطاياه ويحجبه العجب الخ ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها فان العجب رؤية العمل وهو يمنعه ذلك من الاستزادة ومن الاستقالة والسؤال فيستبد بنفسه ويراه ويستكثر عن نوال من هو اعلم منه وربما يعجب بالرأي الخطاء الذي خطر له فيخرج بكونه من خواطره فيعجب عليه ولا يسمع ناصح ولا يعتقد ان يقبل رأي غيره بعين الاستحقار

ولو ألزم نفسه ولم يثق برأيه واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وسؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق بعينه واما آفة العجب واذا لمكان من المهلكات ومن اعظم اذا ثاما يمنع منها السعي لطلبها فقد رأينا جماعة ممن اطلاق الصديق الذي لا شبهة فيه

فصل اعلم ان الانسان قد يعجب بالاسباب التي بها يتكبر على غيره وقد ذكرناها في الكبر وقد يعجب بالايتكبر ويعجب بالرأي الخطاء الذي يتبين له بعد جهله وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله ان ذلك يغلب على اكثر هذه الامة وقال صلى الله عليه وآله ان ذلك اسم اذا افترقت فرقا وكل معجب بكل حزب بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع والضلال انما اصروا عليها لعجبهم برأيهم وهو ما يسبق اليه الهوى والشيطان مع ظن كونه حقا وعلاج هذا العجب اشد من غيره لان صاحب الرأي الخطاء اما اهل بخطائه ولو عرف لتركه ولا يعالج الا الذي لا يعرف والعارف يعتقد على ان سبب الجهل جهله وبزيله عنه الا اذا كان معجبا برأيه وجهله فانه لا يصغي الى العلاج ويتمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة وكيف يعالج من هو سبب معالجته اعتقاده وانما علاج سبب الجهل ان يكون منه الرجوع ابدا لا يقرر الان فيجهله قاطع من كتاب الله وسنة نبيه او دليل عقلي صحيح جامع لشروط الادلة ولن يعرف الانسان ادلة الشرع والعقل فشرطها وامكان الغلط فيها الا بقريحة تامة وعقل ثابت وجد وتشمير في الطلب ومدارسة للكتاب والسنة ومجالسة لاهل العلم طول العمر ومداومة لهذا وهو مع ذلك خائف مشفق على الغلط في بعض الامور والصواب لم يتفرغ لاستفراغ عمره في العلم لان الاعتراض في الذاهب لا يصغى اليها

ولا سمعها ولكن يعتقد ان الله واحد لا شريك له وانه ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير وان رسوله الصادق فيما اخبر به ويتبع ائمة الهدى من اهل
بيت النبي صلوات الله عليه وعليهم وبقية من يحملة ما جاء به الكتاب والسنة
من غير بحث وتفتيش ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصي والشفقة على
المسلمين وسائر الاعمال المرضية فضلا ولما كان عالج كل علة بضدها
سيما بضده وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة للذلك
الجهل فتطلعه على العجب بفضل الله تعالى حتى انه في العبادات فان
العجب هذا انما يطلب من العجب بالحال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختيار
ولا يراه من نفسه فمثل الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي يعجب بها
ان يكون العجب من حيث انه فيه وهو محله وبجراه او من حيث انه محدث
بسببه وقد تقدم ذلك فان كان الاول فهو جهل لان العمل مستحدث انما يجري
فيه وعليه من جهة غيره لا مدخل لقدرته في ايجاده والتفصيل يكشف بعجب
ليس اليه ولان كان الثاني فينبغي ان يتأمل في قدرته وارادته واعضائه
وسائر الاسباب التي بها عمله انها من اين كانت له فاذا كان عالما ان جميع ذلك
نعمة من الله اليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يلتمس بها ينبغي ان
يكون اعجابه بجود الله تعالى وكرمه وفضله اذا فاض عليه مالا يستحقه ولا
تؤثر به على غيره من غير سابقة هو وسيلة فان قال وفقني للعبادة لتحبني فيقال
ومن خلق الحب في قلبك فسيقول هو فيقال فالمحب والعبادة كلاهما انعام من
عنده ابتدأك بهما من غير استحقاق من جهتك ولا لوسيلة لك ولا علة
تكون الاعجاب بجوده اذا نعم بوجودك وبوجود صفاتك وبوجود اعمالك
واسباب اعمالك فاذن لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه

عجب الجميل بجماله وعجب الغني بغناه لان كل ذلك من فضل الله وانما هو
عمل فيضان فضل الله وجوده والجمال ايضا من فضله وجوده فانه هو الذي
خلقك رخلق اعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك
العقل بها والعلم والارادة والوان متنوعة من غير شيء سابق من ذلك من نفسك لتقدمه
عليه ثم خلق الحركات في اعضائك مستلذا باختراعه من غير شاركه له
جهتك معه في الاختراع الا انه خلقها على ترتيب علم خالق الحكم ما الترتيب
في العضو مرة وفي القلب ارادة وله يخلق ارادة ما لو يخلق علما بالمراد ولم يخلق العلم
ما لو يخلق القلب الذي هو محل العلم ثم قد يجعل الخالق شيئا بعد شيء على
خيل الميل اليك اذا وجدت عملك وقد لاحظت فان تحرك الدواعي وصرف
العوائق بقية الاسباب كلها من افعاله تعالى ليس شيء منها اليك فمن العجب
ان تعجب بنفسك ولا تعجب بمن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده وفضله وقد
كرمه في اشارة اليه على لسان من عبادك من اسباب الشهوات
اللذات وزواجها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك
حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعلى ذلك كله لك وبهم من غير وسيلة منك
منك ولا خيرية سابقة منهم وقد كان ايوب على نبينا وعليه السلام
قال الهي لك الحمد على جميع البلاء وما ورد علي اما لا اثرت هو الاصل عواقب
فتوبي من غامة بعشرة الامر صرت بالوب اني لك ذلك قال فاخذ يعاد اقر
على راسه وقال منك عاد سبحانك رجع عن نسيانه واصاب ذلك الى الله تعالى والحمد
قال الله تعالى ولله الفضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما منكم من احد يدخل عمله قالوا ولا انت يا رسول
الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته فاذن هذا هو العلاج القاطع لمادة

مادة الحب من القلب وهما غلبا ذلك على القلب شغلاه عن سائر هذه
المحبة من الاحباب بها المقالة الثالثة في ذم الدنيا والاحذار منها وفيها
خمسة ابواب الباب الاول في معرفة الدنيا والاخرة فقول الدنيا اسم
لمؤنث عبارتان عن جملة من اسماء المخلوقات القريب الدانى منها يسمى دنيا
كل ما قبل الموت والمتراخى يسمى اخرة وهو ما بعد الموت فكل ما لك
فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة وميل فهو قبل الوفاة من الدنيا
فى جملة الاثاث جميع ما تلتذ به من مال وجاه ونصيب حظ عليس منها بد ومن
ذلك لا بد لها من حصيلة من الدنيا ويبقى بعد لحزنه بعد الموت وهو العلم
النافع والعمل الصالح فهو من الاخرة فى الحقيقة وما ليس بالدنيا واعلم
ذلك فان العالم الدنيا من يعلم حتى يصير ذلك الاشياء عنده مجهولا
والمكرم والمطعم فى الدنيا لانه اشترى عنده من جميعها فقد صار حظا عاجلا فى
الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا الدنيوية لم نعد هذا من الدنيا اصلا بل قلنا
انه من الاخرة وكذلك العالم اذا قصد باشتغاله وتعلمه الجاه عند الخلق
عد ذلك من اعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما الخوف من
الموت الا من جهل يسوى بين قيام الليل بان يقول ان من جملتنا العمل
الصالح الذى هو من الاخرة التعرض للرزق قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم
سبعون من افضل اعمال الجهاد دعا صلى الله عليه وآله وسلم من الخير
كله على الناس وقال امير المؤمنين عليه السلام اوحى الله عز وجل الدنيا فى
ما اذلت نفسه لى الا اذلت نفسه لى كل من بيت المال ولا تعمل سيدك شيئا ما امرك
داود ان يصنع صلحا فاوحى الله عز وجل الى الحديد ان اعبدى داود فالان
الحديد فى يده كالشمع يعمل كل يوم درعا فيبيعها بالف درهم يعمل لطعامه وستين

درهما ثلثمائة وستين الفا واستغنى عن بيت المال وقال الصادق
عليه السلام الدنيا دنيا ان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة وقال الباقر عليه السلام
من طلب الرزق من الدنيا استعفافا عن الناس وسعيا على اهله وتعطفا
على جاره لقى الله عز وجل وجهه مثل القمر ليلة البدر وقال الصادق
عليه السلام الكادح على عياله كالمجاهد فى سبيل الله وقال عليه السلام فى
رجل اوصى لاعقل قوم من الاصليين ولا عقل فيهم من الاعبد ممن فاما ذهب فى ذلك
قال هذا احد الثلثة الذين لا يحاسبهم الله وقال عليه السلام ان الله يحب
الاحتراف ويطلب الرزق وقال له رجل ما لنا نطلب الدنيا ونحب ان نرزق منها
فقال تحسن تصنع بها ما لك اعود بها على نفسى وعيالى واصل بها ونقضى
بها واحج واعتمر فقال ليس هذا طلب الدنيا هذا طلب الاخرة وقال ليس منا من
ترك دنياه لاخرته ولا اخرته لدنياه وقال لاتكلوا على طلب معايشكم فانا رأينا
كثيرا ممن يكثرون منها ويطلبونها وعن على بن ابى حمزة قال رأيت ابا الحسن عليه السلام
يعمل فى ارض فاستثقلت قدماه فى العرق فقلت جعلت فداك اين الرجال
فقال ياعلى قد عمل بالليل من هو خير منى فى ارضه ومن هو خير منى فقلت ومن هو فقال
رسول الله صلى الله عليه وآله وامير المؤمنين ابا فى عليهم السلام كلهم
كانوا قد عملوا بايديهم وهو من عمل النبيين والمرسلين والاوصياء والصالحين
فصل اعلم انه لا يسبق مع العبد عند الموت الا ثلث صفات صفاء
القلب اعنى طهارته من ادناس الدنيا وادناسه بذكر الله وحبه لله ووصفا
القلب بطهارته لا يحصل الا بالكف عن شهوات الدنيا والاعراض لا يحصل
الا بكثرة ذكر الله والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة
الا بدوام التفكر وهذه الصفات الثلث هى المنجيات المسعدات بعد الموت

وهي الباقيات الصالحات وقد ورد في الخبر ان اعمال العبد تعرض عليه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من قبل يديه جاءت الصدقة تدفع عنه الحديث واما الاخرى والحب فهما يوصلان العبد الى لقاء الله والشاهد وهذه السعادة منها ما يعقب الدنيا ان يدخل الجنة فيصير الى القبر وهو من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر كذلك وهو منزلة من منازل الاحبة والعدو فكانت العوائق تمنعه عن الاخرى بعادته وحبه الله فاذا تخلصت العوائق وانفك من السجن وصل بينه وبين محبوبه فتقدم عليه مسرورا سالما من الموانع سالما من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت حزينا ولم يكن له محبوب الا الدنيا وقد حيل بينه وبينه وسلطت عليه طوارق الحسرة في الرجوع اليه وليس الموت عندها الا هو فراق المحاب الدنيا وقد علم علما يقينا قاطعا ان سالك طريق الاخرة هو الوارد على اسباب هذه الصفات الثلث وهي النكرة والفكرة والعمل الذي يقطعه عن شهوات الدنيا ويبغض اليه سلامتها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن وصحة البدن لا تنال الا بالقوت والملبس المكن ويحتاج كل واحد الى اسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلثة اذا اخذه العبد من الدنيا للاخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة الاخرة وان اخذ ذلك على قصد التنعم وبعطا النفس صار من ابناء الدنيا والراغبين في حظوظها الا ان الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب الله في الاخرة ويسوغ له الحرام والى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ويسوغ له الحلال الا ان البصير يعلم ان طول الوقت في عرصات القيمة لاجل المحاسبة ايضا عذاب فمن نوقش في الحساب عذب ولذلك قال

رسول الله صلى الله عليه وآله لعائشة حاسب وحرمها عذاب بل لو لم يكن الحساب لكان ما تفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من الحسرة على تفويتها بمنزلة عقوبة وخشية لا تبقى لها هو ايضا عذاب فتبين بهذا للسالك في الدنيا الذاهب الى الله ان سعادات دنيا وكيف ينقطع ظل على حسرات مع علمه بانها سعادات منصرمة لا تبقى لها وسعادات منغصة بما يعقبها من الاسف لا تصفا لها فانها سعادات لا تجد طا ويعقبها تقطع الاعمار والدهور دون غايتها وكل ما كانت معرفته اوفى وانقع كان حذره من غير الدنيا اشد حتى ان عيسى على نبينا وعليه السلام وضع راسه على حجر لينام فرمى به وقال اذهبت في الدنيا وحتى ان سليمان على نبينا وعليه السلام في ملكه كان يطعم الناس من كد يده الاخلة مع ما كان يخبر الشعير فيميل الملك على نفسه بهذا الطعام احتقارا لدنياه فان الصبر عن الدنيا الا طعة مع وجودها اشد ولهذا نعت الله تعالى الدنيا على نبينا صلى الله عليه وآله فكان يطوي اياما ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل كذلك عظم الهم وانما ليتوفر من الاخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذيذ الفواكه وما يزيد القصد والحماية شفقته عليه وحبه له لاجتنابه عليه وقد عرفت بهذا كل ما ليس يوجد فهو من الدنيا وما هو عدم فليس من الدنيا **فصل** فقد ظهر لك ان الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة اليه للاخرة وتعبر عنه بالهوى والله اشار قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى جامع الهوى خمسة امور وهي ما جمعه الله عز وجل في قوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاموال التي عنها تحصل

هذه الامور الخمسة جمعها المتمثل تبين للناس حب الشهوات
من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل
المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب
فهذه هي اعيان الدنيا الآن لها مع العبد علاقتان علاقة مع القلب
هو حبه لها وحظه منها وانصراف همته اليها حتى يصير قلبه كالعبد الذي
المستقر ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا
كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء
وحب التكاثر والتفاخر فهذه هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة فهي الاعيان
المذكورة والعلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه
الاعيان اعني الحظوظ وحظوظه وهي جملة الصناعات والمرتزقة التي
المخلق مشغولون بها بحيث فنوا انفسهم وعالمهم وشغلهم ولو عرفوا مساوي
العواقب اليها واقتصروا عليها لما شغلتهم اشغال الدنيا ولما استغرقتهم
مجملها بالدنيا حكمها وحظوظهم منها وتتابعت الاشغال والتعلق
بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا في كثرة الاشغال وضلوا
مقصودها وكل ما وقع من الدنيا يرجع الى هذا الباب الخامس في ما
وقع من الدنيا اعلم ان الدنيا عدو الله وعدو الانبياء والله وعدة لاعدائه
اما عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباده ولذلك لم ينظر الله اليها
منذ خلقها واما عداوتها للانبياء فلانها زينت لهم زينتها وحسنت بزخرفها
ونضارتها حتى خرجوا لجمع الصيد فقاطعتهم واما عداوتها لاعداء الله
فانها استدرجتهم بمكرها وكيدتها واقتحمتهم بشباكها حتى وقعوا بها وفوقوا
عليها فحذانهم لموج ما كانوا فيها فاجتنوا منها اصرة يتقطع دونها الاكتاف

ثم حرمتهم عن السعادة الباقية الابدية فهم على قرارها يتحسرون ومن مكابدها
يستغيثون ولا غياث لهم بل يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون اولئك الذين
اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون و
الآيات الواردة في ذم الدنيا كثيرة واكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف
الخلق عنها وصرفهم الى الآخرة بل هو مقصود بعث الانبياء ولم يبعثوا الا لذلك
فلا حاجة الى الاسهاب في ايات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الاخبار
الواردة فيه ليكون ايرادنا حاليا عن الصحيح من الصادق عليه السلام قال
خرج النبي صلى الله عليه واله وسلم وهو محزون فاتاه ملك ومعه مفاتيح
خزائن الارض فقال يا محمد هذه مفاتيح خزائن الارض يقول ربك افتح وخذ
منها ما شئت من غير ان تنقص شيئا عندي فقال رسول الله صلى الله عليه
واله الدنيا دار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له فقال الملك والذي بعثك
بالحق نبيا لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقول في السماء الرابعة حين عطيت
المفاتيح وعنه عليه السلام قال مر رسول الله صلى الله عليه واله بجدي
اسك ملقى على مزبلة ميتا فقال لاصحابه كم يساوي هذا فقالوا لو كان حيا لم
يساو درهما فقال النبي والذي نفسي بيده الدنيا اهون على الله من هذا الجدي
على اهله وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله ان في
طلب الدنيا الفقر وفي طلب الآخرة اضعاف الآخرة وفي طلب الدنيا فاضعاف ما في
الآخرة الا الاضعاف وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله مثل
الدنيا انما مثلها ومثلكم كمثل راكب رفعت له شجرة في يوم صائف فنزل
تحتها ثم راح وتركها وعنه عليه السلام قال كتب امير المؤمنين عليه السلام
الى بعض اصحابه يعظه اوصيك ونفسي بتقوى الله من لا يحل معصيته لا ترجح

غيره ولا تعتني لاجله فان من اتقى الله فضالي عن يقوى وشبع ورفه عقله عن اهل الدنيا فبدنه مع اهل الدنيا وقلبه وعقله معلق بالآخرة فاطفا عضر قلبه ما ابصرت عيناه من حب الدنيا فقد رحل بها وجانب ربه واضر واقبح الحالات الصالحين الاما لابد له منه مرة كثيرة ذيلها صلبه وثوب جوارحه من غلظ ما يجد ما خشنه ولم يكن له غنى الا بد منه ثقيلة ولا رجاء موقعت ثقته وبعاوز على حال الاشياء فجلد اصبهد وانصب بدر حتى بدت الاضلاع وغارت العينان فابدل الله له من الى قوة في بدنه وثقة في عقله وما ذخر له في الآخرة اكثر مما فرض الدنيا فان حب الدنيا يعمي ويصم ويكون ويذل الرقاب فتذل لنفسها بقي من عمرك ما لا تعمل غدا وبعد غدا فانما هلك من كان قبلك بأنهم على الاماني والتسويف حتى اتاهم امر الله بغتة وهم غافلون فعلوا على اعوادهم الى قبورهم المظلمة الضيقة وقد سلاهم الاولاد والاهلون فانقطع الى الله من قلب منيب من بغض الدنيا وعزم ليس به انكسار ولا انحراف الى العاجلة الدنيا بالسعي لطاعته ونفضوا يد الدنيا ثقة وقال امير المؤمنين عليه السلام وصفة الدنيا ما اصفت من دار الا اصفاء واخرجها منها وفي حلالها حساب وفي حرامها عقاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن ومن ساعاها فاتته ومن قعد عنها اتته ومن ابصر بها بصرته ومن ابصر اليها اعمته وعن الباقر عليه السلام قال قال علي بن الحسين عليه السلام ان الدنيا اقبلت مدبرة والآخرة اقبلت مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا وكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة الا وان الزاهدين في الدنيا اتخذوا الارض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا وقرضوا من الدنيا تقريضا الا فمن

اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب الا ان هذه مصائب ما اكمن رأى اهل الجنة في الجنة مخلدين وكمن رأى اهل النار في النار معذبين بشرور بعدها الموت وقلوبه محزنة لذاته نفسه وحواجبه خفيفة صبروا اياما فلبسوا راحة طويلة اما الليل فصافون اقدامهم تجري دموعهم على خدودهم وهم يجارون الى ربهم فيسعون في فكاك رقابهم واما النهار فحلماء علماء برره اتقياء كأنهم القداح قد براهم الخوف من العبادة ينظر اليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض او خولطوا فقد خالطهم امر عظيم من ذكر النار وما فيها وعن علي بن الحسين عليه السلام انه سئل اي الاعمال افضل عند الله تعالى فقال ما من عمل بعد معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله افضل من بغض الدنيا وان لذلك شعبا كثيرة وللعاصي شعبا فاول ما عصي الله به الكبر وهو معصية ابليس حين ابى واستكبر وكان من الكافرين والحرص وهي معصية آدم وحواء حين قال الله تعالى لهما كلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فاخذا ما لا حاجة بهما اليه فدخل ذلك على ذريتهما الى يوم القيمة وذلك ان اكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به اليه ثم الحسد وهي معصية ابليس حين حسد آدم فنسله تتعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا وحب الرياسة وحب الراحة وحب الكلام وحب العلو والترفع فصرن سبع خصال فاجتمعن في حب الدنيا فقال الانبياء والعلماء بعد معرفتهم ذلك حب الدنيا رأس كل خطيئة والدنيا دنيا ان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة وعن الباقر عليه السلام انه قال لجابر يا جابر ما الدنيا عند الله ان تكون الدنيا هل هي الا طعام اكلته او ثوب لبسته او امرأة اصبتها يا جابر

ان المؤمنين لم يطمئنوا الى الدنيا بقائهم منها ولم يساووا هذه بهم الآخرة
باجابة الآخرة وادراك الدنيا فناء وقال ولكن اهل الدنيا اهل قلة
وكان المؤمنين هم القلة اهل فكرة وعبرة لم يعتنهم عز وكره الله تعالى
ما سمعوا اذانهم وعلم بعجهم عز ذكره ما رأوا من الزينة باعينهم فاذا وا
ثواب الآخرة كما قال وابقى الحديث وعن الصادق عليه السلام قال
اذا اراد الله بعبد خيرا فقهه في الدنيا وفقهه في الدين وبصره عيوبها وحسن
اليه فضاء وقد خير الدنيا والآخرة وقال الا انه حرام عليكم ان تجدوا طعم
الايمان حتى تزهدوا في الدنيا واعلموا ان الذي من الدنيا لما وجب ان
حب الله فلم يشغلوا بغيره وقال ان القلب اذا صفا سافت به الارض حتى
يسمو وقال جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا شغل الله
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يجد الرجل حلاوة الايمان في قلبه
حتى لا يبالي من اكل الدنيا وعنه عليه السلام من زهد في الدنيا اثبت الحكمة
في قلبه وانطق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها واخرجه
من الدنيا سالما الى دار السلام وعن الكاظم عليه السلام قال قال ابو جعفر
الله خرج عبد من الدنيا عن جملة نعيد نعيمين من الشعير انعدى بالحمد لله
وانعشى بالآخرة بعده لملئ الصوف ازين بالحمد لله وازهى بالآخرة في عين
الرضا عليه السلام قال قال عيسى بن مريم للحواريين يا بني اسرائيل لا تأسوا
على ما فاتكم من الدنيا كما لا يأسى اهل الدنيا على ما فاتهم من دينهم اذا اصابوا دنياهم

مسئل وعن النبي صلى الله عليه وآله لو كانت الدنيا تعدل عند الله
جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال صلى الله عليه وآله الدنيا ملعونة ملعون
من المؤمن وحيثه الكافر وقال صلى الله عليه وآله الدنيا ملعونة ملعون

ما فيها الا ما كان لله تعالى وقال صلى الله عليه وآله يا عجبا كل العجب للعالم
بالخلود وهو يسعى لدار الغرور وقال صلى الله عليه وآله الهيكم التكاثر
يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت
فافنيت او لبست فابليت وقال صلى الله عليه وآله من اصبح والدنيا اكبر
همه فليس من الله في شيء ومن الزاهد قلبه اربع خصال يحكم الا تنقطع عنه ابدا
وشغلا لا يتفرغ منه ابدا وفقر لا ينال غناه ابدا وامل لا يبلغ منتهاه ابدا
وقال صلى الله عليه وآله انا نفتكم بعد ي دنيا تأكلون بها ملوكا تأكل النار الحطب
وقال لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا تماروا به السفهاء ولا تكثروا الى حب
الدنيا فمن تناول كثيرها حبا شد عليه منها وقال عيسى على نبينا وعليه السلام
ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وبها منها وتغره ويثق بها وتخذله ويل
للغنيين كيف ازهد ما يكرهون وقارقهم ما يحبون ومعاهم ما يوعدون ويل
لمن اصبح والدنيا همه والخطايا اوله كيف يفضي غدا بعمله وقال لقمان لابنه يا بني
بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا وقيل
لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل لله والآخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم
الدنيا دار غرور وآخرب منها قلب من عمرها والجنة دار عمران وآخرب منها قلب من طلبها

مسئل ولنذكر بعض الامثلة التي وردت في صفة الدنيا قال الله تعالى
انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما
تذروه الرياح وقال النبي صلى الله عليه وآله الدنيا حلم واهلها عليها
مجازون معاقبون وقال صلى الله عليه وآله في قلة ما بقي من الدنيا بالاضافة
الى ما سبق مثل هذا الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى آخره بقي متعلقا بخيط
في آخره فوشك ذلك الخيط ان ينقطع وقال صلى الله عليه وآله ما الدنيا في

الاقوة الا بالله العلي العظيم واسمعه والسمه فليظر بوبر يرجع اليه من الحسا
وكتب امير المؤمنين عليه السلام الى سلمان رضي الله عنه يشاكلها فقال
مثل الدنيا مثل الحية بليان مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك منها
لقلة ما يعجبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت من فراقها وكن اسر
ما تكون منها احذر ما تكون منها فان صاحبها كلما اطمان منها الى سرور اشخصه
عنه مكروهة والسلام وكان الحسن بن علي عليهما السلام يتمثل بهذا الابيات
يا اهل لذات دنيا لا بقاء لها ان الغرور لها باطل وشيك
وعن الباقر عليه السلام
في حديث طويل قال لو ان الدنيا كانت تزن عند الله شيئا ما سقى منها كافرا شربة ماء
منها ما ملأ خياشيم بعوضة ولم يعدل عنده شيئا قال فاني اضربت لك هذا
مثلا لانها عند اهل اللب والعلم بالله كذلك وعنه عليه السلام
قال مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفا كان
ابعد لها من الخروج حتى تموت غما وعن الصادق عليه السلام مثل الدنيا مثل
ماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتى يقتله وعنه عليه السلام
قال نبينا عليه السلام كم من الدنيا اذا هي صورت عجوزا شمطاء هتنا عليها
من كل بعلة فقال لها كم تزوجت قالت لا احصيهم قال فكلهم ماتوا عليك او
كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى بؤسا لازواجك الباقين
كيف لا يعتبرون بالماضين كيف تهلكيهم واحدا واحدا ولا تكونون بذلك
على حذر وقال عيسى عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها تكالب
ما اشبه حال الانسان واغتراره بالدنيا وغفلته عن الموت وما بعده من
الاهوال والدواهي كمثل الذئاب العاسلة الغائبة المتوجهة بالكلاب والرماح تخضر
فبدا لي ذئب منها وهو وسطها يجول في اسفل ذلك البر ثعبان عظيم وهو

اليه منطرا بفتوحه فاتح فاه لا تغامه وفي اعلى ذلك البر فان ابيض
واسود لا يزال يقتطع ذلك الجبل شيئا فشيئا ولا يفتران عن قرضه اناء
الليل والنهار وذلك الشخص مع الله يرى ذلك الثعبان ويشاهد انقراض الجبل
فاما اقبل على قليل تسل عاطفة به حبا ذلك البر والمتردد بين يديه وتجتمع
عليه زمانا كثيرة وهو مشغول بلقطه منها حتى يلتقط منها ما اصاب منه
محاصه ذلك الزاجر عليه فمضى به الله الجمع الى ذلك خير ملتف الى ما فوقه
وان ما تحته فالبر هو الدنيا والجبل هو العمر والثعبان الفاغر فاه هو الموت
والجرذان الليل والنهار والقارصان اللذان يعمران العمل المختلط بالتراب هو
لذات الدنيا المتزجة بالكدورات والآلام وان ما يرجع ابناء الدنيا الذين هم
عليها وهذا اشارة انطباق هذا المثال على الممثل له فنسأل الله الهداية والبصيرة
ونعوذ به من الغفلة والغواية الباب الثالث في ذم حب المال اعلم ان
فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف واسعة الارجاء والاكناف ولكن الاولى
اعظمها واطمها محنها واعظمها فتنة فيها انه لا غنى عنها ثم اذا وجدت
فالسلامة منها فان فقدت فحصل منه الفقر الذي يكاد ان يكون كفرا
وان وجد حصل منه الطغيان الذي لا يكون عاقبة امره الا الخسران والجملة
فهو لا يخلو من الغوائل والآفات وغوايلها من البهيمات واما تها من المهلكات
وتميز خيرها من شرها من الموصلات الى لا يقوى عليها الا الاقوياء والصابرين
الذين من العلماء الراسخين ثم للفقر آفتان القناعة والحرص والحريص الثاني
طمع فيما في ايدي الناس وفتش للفقر والصناعات مع اليأس عن الخلق
والبعد عن الناس والسواد فاق والمنع حالتان تبذير وافساد وهذه امور
متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهمة قال الله تعالى انما اموالكم

واولادكم فتنة وقال عز وجل الا انما اموالكم واولادكم فتنة الاية وذكر الله
ومن يفعل فلك هم الخاسرون وقال النبي صلى الله عليه وآله
حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل وقال ما ذئبان
ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب المال والجاه في دين الرجل
المسلم وقال صلى الله عليه وآله يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك يا ابن آدم
الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال لرجل
يا رسول الله مالي لا احب الموت فقال هل معك من مالك قال نعم يا رسول
الله قال قدم مالك اما انك ان قدمت مالك قدمت معه قصل واعلم ان الله سبحانه قد
سمى المال خيرا في مواضع فقال ان ترك خيرا الوصية الاية وقال رسول
الله صلى الله عليه وآله نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جاء في
ثواب الصدقة والحج والانفاق فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليها الا به
وتحقيق القول فيه ان المال قد يكون وسيلة الى مقصد صحيح وقد يكون
سببا الى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة عن سعادة الآخرة فهو
سبيل العلم والعمل فهو اذن محمود ومذموم بالاضافة الى المقصود المحمود
ومذموم بالاضافة الى المقصود المذموم فما كانت الطباع مائلة الى اتباع
الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال سهلا لها والة اليها عظم الخطر
فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء من شره حتى قال نبينا صلى الله عليه
وآله اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا ما لا يحتاج من غير
وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا فصل اعلم ان مثل المال
في حقه مثل الماء في حق الزرع فانه لا يستغني عنه الزرع ولا يحسن الزرع
ثم اليه المال من الدين سوى ما يتعلق بالحظ العاجلة من الخلاص من ذلك

انا الدنيوية

زائدا على ما يمكنه ان يتزود من شرها ويستدفع منها خيرها اما الفوائد فهو
تنقسم الى دنيوية ودينية فالحاجة الى ذكرها فان معرفتها مشتركة بين اصناف
الخلق والاقتصار على ما يتعلق بالدين اولى فنقول الدينية فنعني بثمانية انواع الاول
ان ينفقه على نفسه واهله في عبادة ويستعين به على عبادة والثاني ما
يصرفه الى الناس وهي ايضا اقسام الصدقة والوقف وعقاية العرض وهذه الاقسام
اما الصدقة فلا يخفى فضلها وانها تطفئ غضب الرب واما الوقف فمعنى به
صرف المال الى الاغنياء والاشراف في صيانة وهدية واعانة وما يجري مجراه
ما يكتب به العبد الاخوان والاصدقاء ويكتسب به صفة السخاء فانه لا يتوصل
الى المروة الا من يصطنع المعروف وهو السبيل الفتى والمروة وهذا ايضا
ما يعظم الثواب به فقد وعدت اجور كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام
الطعام من غير شرط الغرض والفائدة في مصارفها واما وقاية العرض
فيعني بها بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع السفهاء ودفع
شرهم وهذا ايضا مع تخيره غايته في العاجلة من الحظوظ الدينية فان رسول الله
صلى الله عليه وآله ما وفى لمن يعرضه فهو له صدقة واما الاستغناء
فهو ان الاعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهيئة اسبابه كثيرة ولو تولاها
بنفسه لضاعت اوقاته ويتعذر عليه سبيل الاخرة بالفكر والذكر اللذين
هما اعلى مقامات السالكين النوع الثالث ما لا يعرف الانسان الى الخلاص
معرفة ولكن يحصل له خبر جملي كتابة المساجد والقناطير والرباطات ودار المرضى
ونصب الجباب في الطرق وغير ذلك من الاوقات المرصدة للخيرات الموبدة الى
يوم الدين المستجلبة بركة ادعية الصالحين الى اوقات معادية فهذه جملة
فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظ العاجلة من الخلاص من ذلك

السوال بحقارة الفقر والوصول الى العز والجاه بين الخلق وكثرة الاخوان
والاعوان والاصدقاء والوقار والكرامة في القلوب واما الافات فدنيه
وضيوه اما الدنيه فثلثه انواع الاول انه يجر الى المعاصي فان الشهوات
متقاضيه والعجز عاجز بين المرء وبين المعصيه ومن المعصيه ان لا تتقيه
وهكذا كان الانسان اذا عرض منع من المعصيه تحرك داعيه اليها فاذا اقدر
القدرة عليه انبعثت الداعيه الى المنع من القدرة عجز الصاحب بالكلية
واذ تكاثر الفجور فان افتضح ما اشتهاه هلك وان صبر ومنع في شدة اذ
الصبر مع القدرة شاق وفتنة السراء اعظم من فتنة الضراء الثاني التعرض
للشبهات وهذا اول الدرجات فمن يعتد صاحب المال على ان يتناول
خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذات الاطعمة فكان كان يقدر عليه
سليمان عليه السلام في ملكه فاحسن الرجل ان يقنع بالدنيا ويزهد عليه
نفسه فيصير الشبع ما لوفا عنده ومحبوبا الا بصبر عنه ويجره البعض منه
الى البعض ولذا اشتد اشتهاه ربما لا يقدر على التوصل الى الكسب الحلال
فيقع الشبهات ويخرض في الرياء والمداهنه والكذب والنفاق وسائر
الاخلاق الرديه ليتنظم لقدر دنياه ويتيسر له شغله فان من كثر ماله كثرت
حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس تذلل بانفسهم وبعصوا الله في طلب
رضاهم فان سلم من الاثم الاول وهو مباشرة المحظورات فلا يسلم عن هذا
لا محالة من الحاجة الى الخلق بترك العدالة الصدقة وبقي خليه الحسد الحقد
والرياء والكبر والكذب والغيبة والنميمة وسائر المعاصي التي تحفز القلب و
اللسان فلا يخلو عن التعدي ايضا الى سائر الجوارح وكل ذلك يلزمه من شؤم
المال والحاجة الى حفظه واصلاحه الثالث وهو الذي لا ينفك عنه احد

انه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما يشغل العبد عن الله فهو
خسران له لذلك قال عيسى على نبينا وعليه السلام في المال ثلث ان يأخذه
من غير حله فضيل ان اخذه من حله قال يجمعه في غير حقه فقيل ان وضعه
في حقه فقال يشغله اصلاحه عن الله وهذا هو الداء العضال فان اصل الاخلاق
الذميمة كلها ذكر الله تعالى والفكر في جلاله وقال حيثما رأيت قلبا فارغا
من هذه الاربعة فتيقن بوجود متفكر اما في خسوسة الفلاح ومحاسبته وخيانة
وخصومة الشركاء وسائر خصومهم في الماء والحدود وخصومة اعوان السلطان
في الظلم وخصومة الاجراء في التقصير في العمارة وصاحب التجارة يكون
متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه المال
وكذلك صاحب الماشية وهلكها وسائر اصناف الاموال وعاقبتها عن كثرة
الشغل الغافل المذكور تحت الارض ولازال الفكر مترددا فيما يصرف اليه
كيف يحفظ وفي الخروج من يده عليه وفي دفع اطماع الناس عنه واودية
انكار اهل الدنيا الا نادرا لها والذي معه قوت يومه او سنته في راحة
عن جميع ذلك فهذه جملة الافات الدنيه سوى ما يقاسيه ارباب الاموال
من الحزن والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وحفظ الاموال و
كسبها فان زيادة المال انما الفوته وصرفها الى الخيرات وما احاديث من
وافات اعلم ان الفقر محمود ولكن ينبغي ان يكون الفقير بحيث
ينقطع الطمع عن الخلق بحيث لا تبقى في ايديهم ولا مر بها على الكفاية
المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر الكفاف ويقصر الامل
فان نظرت الى الكثرة وطول الامل فانه غر القناعة وتذكر لا محالة الطمع
وذل الحرص وقلة القناعة وعز الحرص والطمع الى ما ساوى الاخلاق وان تكاثر

المكاسب الخارقة للمروءة فقد سئل الامام عن الحر هو والعلم وقلة الفناء
قال رسول الله صلى الله عليه وآله لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى
واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال
صلى الله عليه وآله شهوتان لا تشبعان منهوم العلم ومنهوم المال
وقال صلى الله عليه وآله قيمة كل امرئ ما يحسنه وقيل فيه فضلان الحر ويطلب
الانسان لما كان تشعر هذه جبلة للاذى وغريزة مهلكة اثنى الله تعالى ورسوله
على القناعة وقال صلى الله عليه وآله طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه
كفافا وقنع به وقال ما من احد يفنى ولا تفنى الا وهو الفقير الا من رحم الله وقيل
في الدنيا وقال امير المؤمنين عليه السلام اعطوا الرضا من ثوب القنوع فانه
والا فاعلموا وقال ليس الغنا في كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وقال ان الطمع
تفنى في وعد ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وعودوا جملا في الطلب
وقال امير المؤمنين عليه السلام ان زهدك في كثير مما في الدنيا ما يكفيك فان
اتبعه ما فيها يكفيك وان كثيرة يدعوك الى ما لا يكفيك فان كل ما فيها لا يكفيك
وقال الباقر عليه السلام ما لك ان تطلب بعملك الا من هو فوقك فكيف بما فوقه
لنبيه ولا تجهل ما لم تعلم ولا تعلم ما لم تفهم وقال لا تعلم حتى تعلم ما استعنا به
ادخارا منهم بزهرة الحياة الدنيا فان ذلك من شيء فذكر بيت يوسف
فانكان قوته وعلوفة الثور وقوت العيال فاوجد وقال الصادق عليه السلام
لمن اله يقول يحزن عبدا المؤمن ان قدرت عليه وذلك الرزق له متى ما يخرج
عبدا المؤمن ان وضعت عليه وذلك الرزق له متى وقال عليه السلام اذا
اراد العبد ايمانا انفاذ قضيتا في معيشته وقال لبعض اصحابه موسى يا موسى اذا
رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغنى مقبلا

فذنب عجلت عقوبته فصل لا بد للعاقل من عمل المال لا بد المحافظة على ثلاث
الاولى ان يعرف مقصود المال وانه لماذا خلق وما ينبغي له يحتاج اليه حتى لا
يكتب ولا يحفظ لا فيما لا بد منه لحاجته والثاني ان يراعي جهة دخل المال فيجتنب
الحرام بجميع انواعه ويجتنب الجهات المكروهة فان الفقد في المروءة والثالث يراعي جهة الخرج ويقتصد في الانفاق غير مبذر
ولا مقتر قال الله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك
قواما وفي الحديث النبوي ما عال من اقتصد والرابع ان يضع ما
اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الانفاق الاخذ من
غير حقه والوضع في غير حقه سواء والخاسر ان يصلح بيته في الاخذ
والانفاق والامساك فالانفاق والامساك اخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة
ويترك ما يترك ليتفرغ فيه واستعفاف اله واذا فعل ذلك لم يضره
وجود المال قال امير المؤمنين عليه السلام لو ان رجلا اخذ جميع ما في
الارض واداره بوجه الله فهو زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرد وجه الله
فليس بزاهد ان قيل ايهما افضل الغنى بنيته الاستعانة على العبادة ام
الفقر بنيته التفرغ لها قلنا الافضل منهما ما الاشتغال الصبر عن الله فان كان
الفقر يشغله عن الله فالغنى اولى به وان كان الغنى يشغله عن الله فالفقر اولى
به وذلك لان فضل الفقر والغنى بحسب ما تعلق القلب بالمال وفقده فان
تساويا فيه فتساوت درجتهما الا ان هذا مما لا يدام وموضع الغرور فان
الفقير يظن انه منقطع القلب من المال ويكون حبه فيه في باطنه وهو
لا يشعر به واما الغني فيعرف ذلك من نفسه وهذا حال كل الاغنياء الا
الانبياء والاولياء واذا كان ذلك محالا او بعيدا فاطلاق القول بان الفقر

اصلح لكافة الخلق وافضل لان ملاقاة الفقير وافساد الدنيا اضعف عالما
وبتاد وضعف علاقته يضاعف ثواب تسبيحه وعباداته فان عمر
اللسان والابدان ليست واحدة لاعيانها لان الباء كلها الاكل بالمذكور ولا يكون
ناشرة في ثارة الاكل شغل فارغ عن غير المذكور كما يشير في قلب مشغول و
لهذا قيد في فضل الفقراء على الاغنياء على الاطلاق ما ورد ثم ليس معنى الفقر
الا بالدنيا شيئا البته قال الصادق عليه السلام في كلام له مع الصوفية ثم
علماء شيعتنا كيف يتفوه ذلك انه كانت عند رسول الله صلى الله عليه وآله الدافقية
من الذهب حكمة ان يبيت عنده فتصدق بها فاصبح وليس عنده ما يعطيه
فلامه السائل واغتم حيث لم يكن عنده ما يعطيه وكان رحيما يفعل
صلى الله عليه وآله فادب الله عز وجل نبيه بامر وقال ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا يقول ان الذي
قد يسئلونك لا يعدونك فاذا اعطيت جميع ما عندك من المال كنت
قد حسرت من الاكل من علتم بعده في فضاله وتعدد سؤال الناس من يجوز
منه وابوذر بحاله فما بالك ان كان اذا اخذ عطاء ربع سنة قرنائه
حتى يحضر عطاء من قابل فقيل له يا اباذر انك تضع هذا و
انت لا تدري لعلك تموت اليوم او غدا فكان جوابه ما قال ما لكم لا ترجون
لي البقاء كما خفتم على الفناء اما علمتم ان التفرغ قد يشغل على
صاحبها اذا لم يكن لها من العيش ما يعتمد عليه فاذا هي افرغت معيشتها
فعلت دائما ابدا فكانت له موبقات وشوهات يحبها او يدع منها الا
اذا اشتهى اهله اللحم او نزل به ضيف او راى باهل الماء الذين معه حقا
يخرجهم الجوع او من الشاة على قدر ما يذبح عنهم يقرو اللحم فيتمتعون بهم

وباخذ هو كنصيب واحد منهم لا يتفضل عليهم ومن زهد من
هولاء وقد قال فيهم رسول الله ما قال ولم يبلغ
من امرهم ان صار الاخير كان شيئا البته كما ترون الناس بالقياس عنهم
وشبههم بهم وعلى انهم وعيا الاتم واعلى ايها الفقراء في سعة
اذ يرى عمر اباذر ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال يوما ما اعجب
من شئ كعجبي من المؤمن وانه ان فرغ جسده في دار الدنيا بالمقاريض كان
خيرا له وان ملئ ما بين مشارق الارض ومغاربها كان خيرا له وكل
ما يصنع الله به فهو خير له فصل قد ظهر مما ذكرنا انه لا خلاص من
شعب الدنيا وعزائمها الا بالزهد فيها وهو ان لا يريدها بقلبه الا
بقدر ضرورة بدنه وهو مقام عال قال الله تعالى فخرج على قومه في
زينته الى قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن
الى العمل وصفت اهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال عز وجل من كان
يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وقال النبي صلى
الله عليه وآله من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق
عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يات من الدنيا الا ما
كتب له ومن اصبح وهمه الاخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته
وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وقال اذا اراد الله بعبد خيرا اعطى
صمتا وزهدا في الدنيا فاحذروا منه فانه تلقى الحكمة وقال ازهد في الدنيا
يحبك الله وازهد مما في ايدي الناس يحبك الناس وقال من ابلاه الله
الله على بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا وليعلم انه
لك درجات السفلى ان يكون المرء يوب فيه النجاة من النار وسائر هذا

الآخرة وهذا زهد الخائفين والثالثة ان يزهد رغبة في ثواب الله تعالى
الجنة وهذا زهد المريدين والثالثة وهي العليا، ان لا يكون له رغبة ولا
في المعوض لغائه وهذا زهد العارفين والزهد باعتبار احكامه ينقسم
الى محرم ومفسد ومسلامة فالمحرم هو الزهد في الفرائض والمفسد هو الزهد
في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات وفي مسائل الشريعة قال
الصادق عليه السلام الزهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النار وهو كل
كل شيء يشغلك عن الله من غير اسف على فوتها ولا اعجاب بتركها ولا
اشتغال فرح منها وطلب محامد عليها ولا تضرع لها بل يزيد فوتها راحة وكونها
آفة، وتكون بادائها من الآفة معتصما بالزاهد والزاهد الذي يختار الاجر
على الدنيا والذل على العز والجوع على الشبع والخوف على الامن
على محبة العاجل والذكر على الغفلة ويكون نفسه في الدنيا وقلبه في الآخرة
وسئل الصادق عليه السلام عن الزاهد في الدنيا فقال الذي يترك حلالها
مخافة حسابه ويترك حرامها مخافة عذابه وقال ليس الزهد في الدنيا باضاعة
المال ولا تحريم الحلال بل الزهد في الدنيا ان لا تكون بما في يدك اوثق منك بما
الله وقال امير المؤمنين عليه السلام الزهد في الدنيا قصر الامل وشكر كل
نعمة والورع عن كل ما حرم الله عز وجل وقال عليه السلام الزهد كلمة بين كلمتين
قال الله سبحانه لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم ومن لم يأس على
الماضي ولم يفرح بالآتي فقد اخذ الزهد بطرفيه ولعمري انه قليل في هذا
فصل اعلم ان من ثمرة الزهد السخاء ومن ثمرة الرغبة في الدنيا البخل والمال اذا
كان ممنوعا ينبغي ان يكون حال العبد فيه اما ان كان موجودا ينبغي ان
يكون حاله السخاء واصطناع المعروف فان السخاء من اخلاق الانبياء وهو

من القرآن

اصل من اصول الفقه وعن جابر النبي صلى الله عليه وآله حيث قال السخاء شجرة
من شجر الجنة اغصانها متدلية على الارض فمن اخذ منها غصنا قاده ذلك
الغصن الى الجنة وقال امير المؤمنين عليه السلام ان هذا وزان تضيف النفس
وان يصلحه الاضياف وحسن الخلق ما كرموه بمثلما استطعتم وقال ما حسن الله
الدنيا الا الاخلاق الجواد وحسن الخلق وقال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام
وافشاء السلام وحسن الكلام وقال ابتغوا عن ذنوب النجوات الله اخذ بيده كلما
عثر قاله وقال طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء وقال ان السخي قريب من الله
قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد
من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي احب الى الله من عابد
بخيل وادنى الدناءة البخل وارفع درجات السخاء الايثار وهو ان يجود بالمال مع الحاجة
اليه قال الله تعالى يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
وقال النبي صلى الله عليه وآله ايما امرئ اشترى ثمرة فرؤشهن به واثر على
نفسه عقيله ويبغي للمقتر ان لا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك
جهد المقل وفضله اكثر من اموال الكثيرة تبذل عن ظهر غنى قال النبي صلى
الله عليه وآله الدرهم من الصدقة افضل عند الله من مائة الف درهم
قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال الرجل رجل من عرض ماله مائة الف درهم
فاخذ رجل درهما من بعض لا يملك غيرها طيبة بها نفسه فصار صاحب
الدرهم افضل من صاحب مائة الف واعلم ان الاساس الذي يجب البناء
عليه والبذل حيث يجب الامساك بقدر ما وسط هو المحمود وينبغي ان
يكون السخاء والجود عبارة عن اداء ما يجب ادائه على الوجه الذي يجب
وقيل لا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال تعالى

والذم بالفقر لغير زهد في الدنيا وكان من ذلك قوما فالمحمود وسط بين الافتقار الى الناس وبين البسط والقبض وهو ان يقنع بقدر الواجب لا يكون له مقصد في التجارة سوى التمكن طيبا به غير مستأنس له فيه بل ينبغي ان لا يكون اشتغاله بالمال الا لاجل المال الله وهو صرفه الى ما يجب صرفه اليه شرعا او مروة وعادة وواجب المروة والعادة يختلف بحسب الاحوال والاشخاص فيستقرح من الغني المصانعة بالافتقار مع الاهل والاقارب والاخيار فيستقبح معهم الجاه والمال كما يستقبح مع البعيد بل الصيانة بالافتقار اقل منه في المبايعة والمعاملة الى غير ذلك وبالجملة حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو ايثار حفظ المال مع قيام مقابله السخاء الوجه الثالث الرابع في ذم حب الجاه اعلم ان اصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو لذة عظيمة يحبه منه موصوف بالمحمود هو الوصول الى من يثني الله تعالى دينه من غير تكلف طلب للثناء منه قال الله تعالى انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وقال تعالى واجعل لي لسان صدق في الآخرين فجعل لها اللذين لاثر يبقى على الارض ولا فساد وقال النبي صلى الله عليه وآله حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وآله ما ذئبان ضاريان اوقعا في غنم اكثر فسادا من حب الجاه والمال في دين الرجل المسلم وقال انما اهلك الناس باتباع الهوى وحب الثناء وعنه صلى الله عليه وآله حسبك من الشر ان تشار اليه الاصابع في دين او دنيا وعن امير المؤمنين عليه السلام ثلاثة لا تنفع معهن ثلاثة لا تنفع مع الكبر العلم ومع الحرص الراحة ومع الحسد الصداقة وقال الصادق عليه السلام اياكم ومولاة الرؤساء الذين

قلبه

يترأسون فوالله ما خفيت المقال خلف رجال الا هلك واهلك وقال عليه السلام ما من رئيس يرأس الا وهو يوم من هو به ساعة من ذلك فان استطعت ان لا تكون رئيسا في شيء فافعل وقال النبي صلى الله عليه وآله ما ذئبان جائعان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا لدينها من حرص المرء على المال والشرف لدينه اللهم ارزقني حب الفقراء وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين الذين اذا ماتوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة واعلم ان الجاه والمال عمادا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع بها والتوصل الى الاغراض المقاصد به وقضاء الشهوات ومعنى الجاه ملك القلوب المطاوعة لها وطاعتها ليتوصل باستعمالها بها في الاغراض والمقاصد وكما ان اكساب الاموال بانواع من الحرف والصناعات فكذلك اكساب القلوب بانواع من المعاملات ولا تصير المعارف صنوفا الا بالمعارف والاعتقادات وكل من اعتقد القلب فيه وصفا من اوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس شرطا ان يكون الموصوف كما لا في نفسه بل يكفي ان يكون كما لا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد في الشيء كما لا وليس هو كما لا فيكفي ان يكون المعتقد منقادا له بحسب اعتقاده وحقيقة ذلك ان انقياد القلب لاجل الطلب واجمال القلب تابع لاعتقادات القلوب وعلومها وظنونها تابعا كان حب المال يطلب به الاشياء والعبد فطالب الجاه يطلب بان يستولي على الاحرار ويتصرف في املاك رقابهم املاك تملكهم بل الرقبة الذي يطلبه صاحب الجاه اعظم لان المال العبد يملكه قهرا والعبد متأبي بطبعه ولعل مبادي اسرع في الطاعة

وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبتغي ان يكون الامر له صيدا
بالطبع والطوع مع الفرح بالصيد به والطاعة له فيقدر ما يعتقده
من كمال العزة فلوبهم ويقتدر عن القلب بكونه قادرا على ايجاد
القلوب ويقدر ما تكون غريزة الجاه والكبر اغلب كالملوك والاطباء
فان العقد الملكمال لا يتحرك حتى يكبر ما يعتقد فيه وكذلك
الاغنياء فانه لا يحمل بذلك نفسه في الجاه ما يعتقده وكالابطال
وذلك لشدة التعظيم والتوقير بالمفاخرة بالسلام وشدة الصدمة الحاصلة
والتحقير في جميع القاصد وذلك القلوب ترجع على ذلك المال من وجوه
الاول امكان التوصل بالجاه الى المال اسرع من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم
او الزاهد الذي تفرد بالجاه في القلوب لو قصد اكتساب المال بغير ذلك في
اغلب الاوقات القلوب مسخرة للتقليب وسد الحاجات فيها كالكمال الحاصل
للحسن الذي لا يتصف بصفة كمال اخرى ولو كثيرا ولم يكن لسواه جميع
ما له وارادان يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له والثاني ان المال يعرض
للسرقة والتلف لانه يسرق ويغصب ويطمع فيه المالك والسلطان ويحتاج
الى الحفظ والحراسة وينظر اليه بعين كثيرة واما القلوب اذا ملكت لم
يتعرض لهذه الآفات فان ذا الجاه يخاف من الغصب والسرقة
فيها نعم انما تغصب القلوب بالتخريب وتنتج الحال وتعبر الاعتقاد فيها
وذلك من اوصاف الكمال وذلك مما يهون خطره والثالث ان ملك المال
يحتاج دخول بلد من غير مجاهدة الى تعب ومشقة لان القلوب اذا اذعنت
للخلق واعتقدت كماله صار اهل اوغيرها فصحت الالسنة بالثناء الجميل
فيها فتسعت مملكته لغيره واستطارت الاخبار فاقتحمت القلوب

ودفعها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يجري من ذلك واحد بعد واحد الى ان
لم يبق لاحد من معين واما المال الذي حصل له شيئا فشيئا فهو ما لكه فقط ولا
يقدر على استمالة الا بتعب ومقاساة واما حب جمع المال وكثرة الكنوز
وانتظار الاخبار واستكثار الخزائن ودواعي جميع الحاجات وحب اتساع الجاه
وانتشار الصيت الى اقصى البلاد التي بعد قطعا انه قطعا لا نظير لها ولا
يشاهد اصحابها ليعظموا ويعبدوا على غرض من اغراضه فلذلك سبب الحلا
جلوا الاخر عفي بالقهر عن افهام الاذكياء فضلا عن الاغبياء وذلك الاستطالة
مزعج بخفة النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليه الا
الفواصون اما الجاه فهو دفع الخوف لان الشفيق لسوء الظن موقع
الانسان وما اكثر مكمنها في الحال فانه طويل الامل ويخاطب بانه ان المال
الذي في كنانته ربما يتلف فيحتاج الى غيره فاذا خطر له ذلك هاج الخوف
من طلبه ولا يدفع الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال اخر يفزع اليه ان
اصابت هذا المال جائحة فهو ايضا شفقته على نفسه وحبه للحياة ويقدر طلب
الحياة ويقدر حجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق الآفات الى الاموال و
يستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع الخوف وهو كثرة المال حتى ان صاحب
بطاقة من ماله استغنى الاثرى وهذا الخوف لا موقف له عند قدر
مخصوص من المال فلذلك لم يكن لطلبه موقف الى ان يطلب جميع ما في الدنيا
والملك وهو منهوم لان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ومثل
هذه العلة نظر في جنبة قيام المنزلة والجاه في تاويب الانسان عن وطنه وبلده
فانه لا يحاول عن تقدير سبب يعجز عن الوطن او يزعج او ينبئ عن الوطن الى
وطن ويجنح الى الاستعانة بهم واما السبب الخفي وهو الاقوى ان الروح امر

ربانی یحب الربوبیة بالطبع ومعنی الربوبیة التوحد بالکمال والعبودیة
علی النعت وکل ما یحرمه النفس عن درک منتهی الکمال لعروض شهوتها
للکمال فهی محبة للکمال مشتهیة له ملتذة به لذاته لا لمعنی اخر وذات الکمال
فکل موجود فهو محب لذاته ولکمال ذاته ومبغض للمهلک الذی هو عدم
ذاته او عدم صفات الکمال من ذاته فصار الاستیلاء علی الاموال والمقار
محبوبا بالطبع وان کان لا یحتاج الیها فی حاله وطبعه مع شهوات نفسه
ولذلک طلبه سرقا ان العبد واستعبادا ان الحر واولویا الفقیر الفاقد
فصل اعلم ان الکمال الحقیقی الذی یرقی من یتصف به من الله تعالی
وبقی کمالا للنفس بعد الموت لیس الا العلم بالله وبصفاته وافعاله وحکمته
فی ملکوت السماء والارض وفی عالم الدنیا والاخرة وما یتعلق بهذه الجملة
اعنی الخلاص عن اسر الشهوات وغرور الدنیا والاستیلاء علیها بالقهر فانها
بالملائکة الذین لا یستفزهم الشهوة ولا یستهویهم الغضب واما النفس
فی الاغاثة علی معرفة الله فکمعرفة لغة العرب وتفسیر القرآن والنفس والآیات
ومعرفة طریق تزکیة النفس لقبول الهدایة الی معرفة الله کما قال تعالی قد افلح
من تزکی وقال والذین جاهدوا فینا لنهدینهم سبلنا فهو من حیث انه وسیلة
الی معرفة الله والتحصیل للحریة ثم الاعتناء بالعرض واما القدرة فلیس فیها کمال
حقیقی للعبد اذ لیس له قدرة حقیقیة وانما القدرة الحقیقیة لله تعالی وما
یحدث من الاشیاء عقیب ارادة العبد لقدرته وبحرکته فهی جاریة باجراء
الله تعالی کما حققنا فی بعض فصله فکمال من جهة القدرة بالاضافة الی
وهو وسیلة الی کمال العلم کسلامة الاطراف وقوة البطش وحدة الشی
وحواسه للاعمال فکل هذه القوی آلة للوصول به الی الحقیقة کمال العلم

وقد یحتاج فی استبقاء هذه القوی الی القدرة بالمال والجاه للتوصل به
الی المطعم والملبس وغالب الی قدر معلوم فان لم یستعله للوصول به الی
معرفة الله فاغبر به البته الا من حیث اللذة الحالیة التی ینقضی علی القرب
ولا طریق للعبد الی اکتساب کمال القدرة الباقیة بعد الموت اذ قدرته علی
اعیان الاموال وعلی استخدام القلوب والابدان تنقطع بالموت عن کل ذلک
کالاتقدر جهال فالفاق کلهم فی غرة هذا الجهل فانهم یظنون ان القدرة علی
الاعداد بقهر الجنود وعلی اعیان الاموال جبعة الغنوی علی تعظیم العلم فی جبة
الجاه والمال کال فی الصفة والکمال فی الحبوب طلبوا ولما احبوه طلبوا
شغلوا به وتهالکوا علیه فنشوا الکمال الحقیقی الذی یوجب القرب من الله وهو
ملائکته وهو العلم والحریة وهؤلاء هم الذین اشتروا الحیوة الدنیا بالاخرة
فلا یخفف عنهم العذاب ولا هم ینصرون وهم الذین لم یعبهم الله تعالی
المال والبنون زینة الحیوة الدنیا والباقیات الصالحات خیر عند ربک ثوابا
فالعلم والحریة هی الباقیات الصالحات التی تبقی کما لا تبقی المال والجاه
هو الذی ینقضی علی القرب وهو کما مثله الله تعالی حیث قال انما الحیوة الدنیا
کماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الایة وکل ما تقدره الریاح
بالموت فهو من الباقیات الصالحات فقد عرفت بهذا ان کمال القدرة بالمال
والجاه کمال وهمی لا اصل له وان من تقدر الوقت علی طلبه وظنه مقصودا
فهو جاهل الا قدر البالغ منها الی الکمال الحقیقی فصل اعلم انه کما لا بد
من اعداد مال لصرفه فی المطعم والملبس فلا بد من اعداد جاه لضرورة المعیشة
مع الغیر والانسان کما لا یستغنی عن طعام یتناوله فهو محتاج بحسب الطعام الی المال
الذی یباع به الطعام وکذلک لا یخلو عن الحاجة الی خادم یخدمه ویدبر

مثل

(من الجنود الذین لا یعلمهم الا هو)

الخیال

بعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحسنه لان يكون له في قلب
فاده من الجمال ما يدعوه الى الخدمة ليس جماله وحده لكن امنه لان يكون له
قلب يحبه من الجمال ما يحسن به نفسه ومعاونته وكذا حبه لان يكون
له في قلب استاده من الجمال ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به وهي
كذا حبه لان يكون له من الجمال في قلب سلطان ما يحسنه ذلك على دفع الشر
عنه فان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال فالفرق بينهما الا ان التحقيق
هما ايضا ان لا يكون المال والجاه في اعيانهما محبوبين بل يزال ذلك الغرض
حب الانسان ان يكون في دار بيت حاء الا ان يضطر اليه لقضاء حاجته
وبود لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء لانه لا يوصف
بهما بالنفس والعصيان ما لم يجعله الحب على مباشرة معصية وما لم
يتوصل الى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور وهو الذي يتوصل الى اكثره
بعبادة فان المتوصل الى المال والجاه بالعبادة جناية على الدين وهو ركن
والمتوصل اليه يرجع معنى الرياء المحظور فاما ان يطلبهما لاغناء حيه عن
وعصيته من معاصيه حتى لا يصله فلا يزال بمنزلته فهو مباح لهما
لان حفظ الستر على القبائح جائز بل الايجوز هتك الستر واظهار القبيح وهذا
ليس بتلبيس بل هو سد لطريق العلم بالاقاويل في العلم كالذي يخفي
عن السلطان انه يشرب الخمر ولا يليق اليه انه وضع فان قوله انه وضع لشهوة
وحده او لغرض الشرب لا يوجب اعتقاده الوضع ما لم يعلم الصلة بالشرب
واما حب المدح والثناء فله اسباب الاول وهو الاقوى شعور النفس بالكمال
فان النفس بما شعرت بكمالها ارتاحت واهتزت والذت والمدح فيشعر
نفس الممدوح بكمالها وبعظم اللذة بهذه العلة واصدق الثناء من يصدر

لا يجاوز في القول وانما العلة يبغض الذم ايضا ويكره لانه يشعر
بنقصان في نفسه والسبب الثاني ان المدح يدل على ان قلب المادح ملك
الممدوح وانه مريد له ومعتقد فيه وتخرج مشيته وملك القلوب
محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة بمدح من
حز قدره ونفع بانتاصر قلبه كالملوك والاكابر وبهذه العلة
ايضا يكره الذم وبتوهم القلب والسبب الثالث ان ثناء المثني ومدح
المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لاسيما اذا كان ذلك ممن يليق
الى قوله وبعتقد بثنائه وهذا يخص ثمنا يقع على الملاء والسبب الرابع
ان المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى الحلق اللسان بالثناء
عليه اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة ايضا لذيذة لما فيها من القهر
القدرة وهذه الاسباب تجتمع في مدح مادح واحد فيعظم بها الالتذاذ
وبهذه استشعار الكمال بان يعلم الممدوح انه غرض صادق في مدحه فاذا كان
يعلم ان المادح ليس يعتقد ما يقوله بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه
على قلبه وبقيت لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء

فصل اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على رجاء
الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراياة لاجلهم ولا زال في اقوالهم واعمالهم
ملتفتا الى ما عظم منزلته عندهم وذلك بعد النفاق واصل الفساد
ويجر ذلك لا محالة الى التساهل في العبادات والمراياة فيها والى اقتحام المحظورات
للتوصل بها الى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه
وآله حب الشرف والمال واضرارهما للدين بذئبين ضاريين وقال انه
ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن

بالقول والفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس ينبغي ان يتفطن الى الفائدة
معه والى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها فذلك عين النفاق وعلة
العلل ان علاج السبب الذي لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة على اقتطاع
الناس وعلى قلوبهم ان صفى وسلم ظاهره الموت فليت من الباقيات
الصالحات مل او حدله كل من على وجه الارض والى خمسين سنة لا يجتمع
الى احد فلا اسمح بذلك ويكون حاله كمال من مات فسلم من بوى الجاه مع
المتراخمين له فهذا لا ينبغي ان يترك به الدين الذي هو الجنة الابدية الى
لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه
في عينه الان فذلك انما يصغر في عين من ينظر الى الاخرة كما ذكرناه فيشاهدها
ويستحقرها العاجلة لتوهمه الموت كالحاصل عنده وابصار اكثر الخلق ضعيفة
مقصورة على العاجلة لا تمتد بورها الى مشاهدة العواقب كما قال الله تعالى
بل تؤثرون الحيوة الدنيا والاخرة خير وابقى فاكمل المحمودين العاجلة و
تلذذون الاخرة الى غيرها من الايات فمن هذا حده فينبغي ان يعالج قلبه في
حب الجاه بالعلم بالافات العاجلة ومران يتفكر في الاخطار التي يتعرض
لها ارباب الجاه في الدنيا فان كل شيء جاه محمود مقصود الا بناء وغايته
على الدوام على جاههم مع تحقق زمن ان تتغير نيات في القلوب والقلوب اشد
تغيرا من القدر في غليانه وهي مرتجة بين الاقبال والاعراض فكل جاه مبني على
قلوب الخلق بيضا هو مبني على امر هو اضعف الاشياء لا ثبات له والاشتغال بمراعاة
القلوب لحفظ الجاه ودفع كيد الحساد مع اخفى الاعمال اشتغال عن امور
تعرض لقلبه في العاجل كل ذلك عمر مع عاجلة مكدرة للذة الجاه فلا يغتر
في الدنيا ايضا بمن يحمدونه فضلا عما ينوب في الاخرة من هذا ينبغي ان

يعالج المعصية الضعيفة واما من نفذت بصيرته وقوى ايمانه فلم
يلتفت الى الدنيا فهذا هو الصالح من حيث العلم واما من حيث العمل فاما
الجاه من جانب الخلق فالامر فيه الجواب السابق بالقول من الهاتفة والاعتزال
عن الناس والهجرة الى بعض الجبال فان المقام في بيته في البلدة التي هو بها
مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي توجد له في القلوب بسبب غربته فربما يظن انه
ليس يحب الجاه وهو مغرور وانما فارق لانها طفرت بمقصودها و
لو تغير الناس عنه اعتقدوا فيه وذموه او نسبوه الى امر غير لائق عرضت
نفسه وتألمت وربما تخرج الى اذاة الناس عن تلويح بعض المكتب وتلطيف الاسالة
به وبتبين انه بعد بحب الجاه والمنزلة ولا يمكنه ان لا يحب المنزلة وقلوب
الناس بيد الله يطبع في الناس ولا يقطع الطمع عن الناس الا القناعة فمن
قنع استغنى عن الناس واذا استغنى اوشك ان يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لهما
منزلته بالقلوب عنده وذل ويستعين على جميع ذلك بالاعتبار الوارد
في ذم الجاه ومدح الخمول فقد اصل قلة المؤمن لا يحصل من فقد الجاه وعلقاته الى غير الله
وحب الخلق كحب الجاه حرفة واباحة ونفعا وضرا وعلامته علاج حب الجاه
وعلامة ان الصفة المذمومة ان عظمت فاستغل وان دعت فالدنيوية
كالدعوى والدينية سوقة على الخائنة وعلاج كراهة الذم العلم بان الصفة
المذمومة ان وجدت فتصير للعيب وجه المرح والتعلل بالاذاة ان
قدرت فكفات للقلب وجه الشكر لله تعالى والترحم على حبث اهلك
نفسه كما قال النبي صلى الله عليه وآله اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون
لما ان كره واباحته والانسان يفرح بمن يلم عنده وهو شخص عدو نفسه

فينبغي ان يفرح اذا سمع ذمها ويشكر الله عليها ويستقذ نفسه وذكا
لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالشوك لمن يفسد ويكون غنيمة
عند اصابة المذمة ما وصف في اعين الناس حتى لا يبقى فيها جاه واذا
ضيقت اليه مسئلة لم يتعجب منها فعساه يكون من بين العيوب التي
هو عالم بها لنفسه او يعاهد نفسه على التحرز في هذه الخصلة الواحدة
وعلى ان يستوي عنده ذامه ومادحه كان لم يشغل باله بذمه لا يفرح
بمدحه لغيره ويبين له وبين السعادة عقبات كثيرة هذه احدى تلك العقبات
ولا يقطع حتى منها الا المجاهدة الشديدة والهم الطويل الباب الخامس
في ذم الغرور وهو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع من
شبهة وخدعة من الشيطان من اعتقد ان معاصيه امور امر او العاصل او شيء
الاجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور وقد قال الله تعالى لا تغرنكم الحيوة الدنيا
ولا يغرنكم بالله الغرور وقال عز وعلا ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم
وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور وقال النبي
صلى الله عليه وآله حدثوا عن الاكياس وتطرحكم كيف يعتون بسير
المخلوقين واجتهادهم ولم يقال احد من صاحب تقوى ويقين افضل من سلمان
الفارسي من المقربين وقال صلى الله عليه وآله الكيس من دان نفسه وعمل
لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني وليس
للغرور مثال الا الاصناف اما الغرور والحيوة الدنيا فانه ما قال تعالى للكفار
والعصاة المتقدمين من الامم والدنيا نقد والاخرة نسيئة فاذن هي خير
فلابد من ايثارها قالوا اليقين خير من الشك واذات الدنيا يقين واذات
الاخرة شك فلا ترك اليقين بالشك فهذه اقيسته فاسدة قياس ابليس

حيث قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال هؤلاء الاشارة
بقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان بان يصدق
بقوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق وقوله والاخرة خير وابقى وما
قاله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور واما البرهان وهو ان يعرف فساد
هذا القياس الذي نظمه في تلويحه الشيطان فان فيه اصلين احدهما ان
الدنيا نقد والاخرة نسيئة وهذا صحيح والاخر ان النقد خير من النسيئة و
هذا هو التدبير ظهر الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئة في المقدار و
المقصود وهو خير وان كان اجل منه فالنسيئة خير فان هذا المغرور يبذل
في تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا تركه
واذا اعتقد الطبيب الفوائد والمنافع الاطعمة تركها في الحال حرفا من العلل من
المستقبل وعلم ان النقد ورضى بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار
ويتعبون في الاسفار نقدا لاجل الراحة والربح نسيئة فان كان عشرة في
ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فانت لذة الدنيا من حيث مدتها الى
مدة الاخرة واما قولهم ان اليقين خير من الشك والدنيا يقين والاخرة
شك فهو اكثر فساد من الاول لان كل اصليه باطل اذ اليقين خير من
الشك اذا كان مثله والا فالتاجر يجتهد على يقين وينفق على يقين
والمتفقه في اجتهاده على يقين وينام ويأكل على شك والمريض
من مرارة الدواء على يقين ومن الشفاء على شك والصياد في تردده في
المنصف على يقين وفي انشاءه النظر بالصيد على شك وكذلك المحترف
واب العقل فمن شك في الاخرة يجب عليه ان يحكم بالخسران بقول الصبي

ايا ما تقابل وهو منتهى العمر قليل بالاضافة الى ما يقال من امر الاخرة فان كان
ما قيل فيه كذبا فما ينوتهم الا التنعم ايام حيوتهم وان كان صدقا فانا بقوتنا
النار ابدا وهذا لا اطلاق واما الاصل الثاني وهو ان الاخرة مثل لهم
ايضا خطا بان اليقين عند المؤمنين وليقينه منه كان احدهما
الايمان والتصديق للانبياء والعلماء والثاني الوحي والالهام للانبياء و
الاولياء انكشف لهم حقيقة الامر كما هي عليها وشاهدوها بالبصيرة
الباطنة كما شاهدت المحسوسات بالبصر الظاهر فيجب ان يغرسوا هذا
لامن صاع وتقليد ولما الغرور بالله تعالى فهو عظيم في انفسهم بالنسبة
انفان كان الله معاد فنحن اقوى منه غنيا ونحن اوفر حظا وعنده اسعد حالا
كما تخيله من حمق الرجلين المتعاديين اذ قال وما اظن الساعة قائمة ولان
رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وهذا قياس من يشبه الطين
وذلك لانهم ينظرون مرة الى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليه حال
الاخرة كما قال تعالى ويحزنون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ومرة
ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر قد رفضوا بهم ويستخفون منهم
فيقولون الهولاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا
اليه وقياسهم انه قد احسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب
وكل محب فانه يحسن في المستقبل ايضا والمليم تحت ظنه ان كل محسن
محب بل تحت ظنه ان انعامه عليه في الدنيا احسان قصد اغتراره اذ
يظن انه كريم عنده بدليل الاتيان على الكرامة بل اعني بالصابر بدليل على
الهوان فان نعيم الدنيا والاتهما مهلكات ومسعدات من الله تعالى وان الله
يحمي عبده الدنيا كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه كما

ورد في الخبر وهذا الغرور ظاهر معروف بدلايل الكرامة والهوان اما الاخرة
واما التقليد قال الله تعالى الذين يحسبون ان ما نمدهم به من مال وبنين نسارع
لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال
فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم
مبلسون وهذا هو الغرور الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا يامن
مكره ولا يغتر بامثال هذه الخيالات وينظر الى قرعون وقارون والى اصحاب
الاخدود كيف احسن الله اليهم اشد احسان ثم دمرهم تدميرا ومكروا ومكر الله وهو
خير الماكرين ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون فصل اعلم ان غرق
العالمين كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من يامن المكر مع علمه بانه حرام
يتخذ المساجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يتزين بما يلبسه وفيه
نجاسة وما يصلي فيه كالواعظ الذي يرضى الفضول والجاه ومنهم من
يترك الامر والنهي بعينه كالذي يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم
من يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذي يكون همته في الصلوة مقصورة
على الوسواس في النية او تصحيح مخارج الحروف حتى تفوته الجماعة وتخرج الصلوة
عن الوقت ثم لا يعتد بصلوته ويزعم انه اذا اتعب نفسه في تصحيح النية
او الحروف تميز عن العامة بهذا الجهد ومنهم من اغتر بقراءة القرآن بمجرد
هذا وربما يختم في اليوم والليلة مرة ولسانه يجري وقلبه متردد في اودية
الامانى ومنهم من اغتر بالصوم وربما صام الدهر ولا يحفظ لسانه عن الغيبة
ولا بطنه عن الحرام عند الافطار ثم يظن بنفسه الخير ومنهم من اغتر بالحج فخرج الى
الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون وطلب الزاد الحلال ويضيع في
الطريق الصلوة ويعجز عن طهارة الثوب والبدن ويتعرض لكل الطلبة ولا

بعد سقوط حجة الاسلام عنه ومنهم من يقلد اماما مسجدا واذنا
ويظن انه على خير لانه عجز او اذن له في وقت غيبته فامت عليه القيامة
ولو كان اورع منه واعلم ومنهم من يلزم البيت ويشتي نفسه فاذا امر عند
طلب الرياسة والعز واذا دعي عليه اذا باشر ينكر اغتاب وقال انا المحتسب
فكيف ينكر على انا غرته الرياسة ومنهم من يتعلم العلوم الشريفة ويعتني
فيها ويشتغل بها ولعل تقعد الجوارح وحفظها عن المعاصي واداءها الطاعات
او اهمال تقعد الجوارح وحفظها عن المعاصي واداءها الطاعات اوراهما تقعد
قلبه ليصور عنه الصفات المذمومة والاخلاق الردية واغتر بعلمه وظن
انه عند الله بمكان وانه قد بلغ من العلم مبلغا لا يعذب الله مثله بل
تقبل في الخلق شفاعته وانه لا يطالبه بذنوبه لكرامته على الله ومنهم
من يحب بنفسه ويظن انه مشتغل عن الاخلاق المذمومة وانه ارفع عند الله
من ان يشتغل بها وامثاله يبتلى بها العوام ثم اذا ظهر عليه مخايل الكبر والرياء
وطلب العلو والشرف قال ما هذا كبر وانما هذا طلب عز الدين واظهار شرف
العلم ونصرة دين الله واتقيا انف الجاهلين ودعا الخلق الى الله بالحسنى
في اغراء اوبنيق من رد علي شيئا من كلامه ليوبخه ظن نفسه انه ذلك حسد
لكن قال انما هذا غضب للحق ودعا على المبطل في عداوته وظلمته ولو جاهد في
غير من اهل العلم لم يكن غضبه مثل غضبه الآن بل ربما يفرح به الشيطان
خطر له خاطر الرياء عليها اغتاظ من ظهور العلم واهله واحمد الخلق
على ايمانه هذا الى دين الله ويتخلصوا من عقاب الله ولا يأمن المغرور ان
ليس يفرح بانقاذ الناس بغيره كما يفرح بانقاذهم به فلو كان غرضه صلاح
الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان وهذا يكذبه فلا يخلو النفس

ثقابله وكالمدلو لطلب من ادنان ما الاحل ملك من الناس فاستحيى ان
ان لا يعطيه وكان يؤثر ان يكون سواله في ظلمة حتى لا يعطيه ولكن خلق
من نقمة الناس والسؤال في ظلمة الجهال والرياء حريص للقلب بالسوء
لا فرق بين غريب الباطن وغريب الظاهر عند الصفات الباطن عند اصحاب
وكذلك من يعطي اتقاء لشر لسانه او لشر بأسه فهو حرام عليه فصل
ومن المغترين قوم قصدوا باهل الذكر والتصوف الى ترك البراءة والتصنع
والتكلف ليسوء خرقا ويجلسون ملثمين يتخرعون الاذكار ويتغنون
بالاشعار ويحلون التهليل وليس لهم الى العلم والمعرفة سبيل ويدعوا
شهية لهم ونهيقا واختراعوا رقصا وتصفيقا فاستحوا الفقر وشانوا
بالبدع دون السنن وغيروا اصوات النداء وسموا الصيحة الشنعاء
ومنهم من يدعي علم المعرفة ومشاهدة المعبود وغاية المنال المحمود
والملائمة في غير الشهود ولا يعرف من هذا الامر الا الاسماء و
لكنه تلفظ من العلامات كلمات يردها على الاغبياء كما يحكي
عن الوحي ويخبر عن السماء ينظر الى صفات العباد والعلماء بعين الازدراء
يقول نحن العباد انهم اجراء متصنعون ونحن العلماء انهم بالحديث عن الله
مجربون ويدعي لنفسه من الكرامات ما لا يدعيه من هو اعلى منه
لحكم ولا عمل عذب يأتي اليه الرعاع الهمج من كل فج اكثر من اتيانهم
مكة للحج يزحم عليه الحج يأتون اليه السمع وبما يحرمون الذكر
كانهم انخلقه معبود يقبلون يديه ويتهافتون على قدميه باذل لهم
في الشهوات ويرخص لهم في الشبهات ياكل وياكلون كما تاكل الانعام
ولا يبالون من حلال اصابوا امن حرام وهم يحملونهم هاهم ولدينه و

او بانهم خاطم لجلوا او نار بكماة يوم القيمة ومن اولئك الذين
يضلون بهم بغير علم الاسماء ما يزعمون فصل واما ارباب الاموال
فنفرقة منهم يجرون على بناء المساجد والمدارس والرباطات و
القناطر وما يظهر للناس كافة ما لا يكسبونها من غير حلها ويكتبون
اسماءهم والاجر عليها لتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت اثرهم ويظنون
انهم قد استحقوا الغفران بذلك وانهم مخلصون فيه ولو كلف احدهم
ان ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الوضع الذي انفق عليه لشق عليه و
لربما يدعه نفسه والله تعالى يطلع على كتب اسمه اولم يكتب فلولا
انهم يرون الناس لاوجبها وما انتظر الى ذلك وربما يكون بجوار المساجد
او على طريقه فقير وصرف المال اليه اهم من الصرف الى المساجد وبنيتها
ومنهم من يبقي الاموال في الصدقات على الفقراء والمساكين ثم
يطلب بها الحامدين والفقراء الذين عادتهم الشكر والاثناء للمعروف
وكره التصدق سرا ويخفي اخفاء القبيح الخلق منه جناية عليه و
كفرانا ومنهم من يحفظ ماله ويمسكه بحكم البخل ثم يشتغل بالعبادات
البدنية التي لا يحتاج منها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل بعض القرآن
وهو يظن انه على خير ومنهم من لا تسمح نفسه الا باداء الزكوة فقط
ثم يخرجها من المال الخبيث الرديء الذي يعف عنه ويطلب من الفقراء
من يحمله ويرد ضيعة ما جاءته ويظن انه اداها الله ولصنف الغرور
لا يخصو ينتبه لصالح الشريعة مال الصدقة على السادة المغرورة في الدنيا
مسكين وفي الاخرة مغبون لانه باع الافضل بالادنى ولا تتجب
نفسك حيث بما اغريت بما لك وتجمعه لسان لعلك تبقى ربما

اقدرت بطول عمرك وادلالك واصحابك لعالم تجربهم وربما اغتررت
بمالك فخيلك واصابتك ماموالك ومواليك ولعلمت انك صادق في وعدي
وربما اغتررت بما نزى القلق من الندم على تضييعك الصلاة ولعمل
الله تعالى يعلم من قلبك بخلافه لك وربما اثرت نفسك على الصلاة
متكلفا والله يريد بالاخلاص وربما اخرت بعمله نفسك واتكاسل
عن مضرات ما في علم الله وربما توهمت انك تريد عوده واستدعاء عوده
وربما حسبت انك ناصح للخلق واستر بهم لنفسك ان تميلوا اليك
ربما ذممت نفسك وانت تمدحها في الحقيقة واعلم انك لن تخرج من
ظلمات الغرور والتمني الا بصدق الانابة الى الله والاحتراف له ومعرفة
عيوب احوالك من حيث لا تواتي العقل والعلم ولا يجتمع الذين في
الشريعة وسنن القدوة وائمة الهدى وازكت اعضاءها انت عبده لها
احدا شقي بعمل ان سلك مواضع عزائمه ورشحه برد القبول
الايمان في مكارم الاخلاق وتحصيلها وفيها استدعاء ابواب
في الصبر وعونيات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى على النساء والمكاره
والمكاره كالمصيبة صبر يطلقا وضده الجزع والسلع وهو الاسترسال في
رفع الصوت وضرب الخد ودعوى الجيوب وعن نهوى البطر والفرح وضده
وضده الشره وهو الفرح بضبط النفس وضده البطر وهو الحرية بجاعة وضده
وفي كظم الغيظ حلمه وضده الغضب وفي الغضب سعة الصدر وضده ضيق
الصدر والغضب والتبرم وفي الحلم الامر كذلك وضده الاذاعة وفي فضول
العيش زهد وضده الحرص وضد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب
الله وضد باعث الهوى من الشياطين الناصرين لاعداء الله فان ثبت باعث

الدين بلذة المناجاة تحقق قهر باعث الهوى واستمر على مخالفته الخوف
بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلب الهوى ولم يصبر في وقت التحقق
باتباع الشياطين وهذا الثبات انما يكون بقوة المعرفة التي تسمى ايمانا
وهو اليقين يكون الهوى عدوا فاطما الطريق الله وقد وصف الله تعالى
الصابرين باوصاف وكرر ذكر الصبر في القرآن واضاف اكثر الخيرات و
الدرجات اليه وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل وجعلنا منهم ائمة يهدون
بامرنا لما صبروا وقال وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا
وقال وجزيهم الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال اولئك
يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير
حساب فامن قربة الا اجرها بتقدير وحساب الا الصبر وعد الصابرين
بانه معهم فقال واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة على الصبر فقال
بل ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف
من الملائكة مسومين وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون واستفضل
الايمان في مقام الصبر بطول وقال النبي صلى الله عليه واله الصبر نصف
الايمان وقال ان افضل ما اوتيه اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما
لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وقال الصبر من كنوز الجنة
وسئل عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال الصبر من الايمان بمنزلة
الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا ايمان لمن لا صبر له وقال امير المؤمنين
عليه السلام بني الايمان على اربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل
وقال الباقر عليه السلام من لا يعد الصبر لنوائب الدهر يعجز وقال الصبر مخوف

بالمكاره والصبر فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة ومن صبر عن
باللذات والشهوات فمن اعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار وقال
الصادق عليه السلام من اصطبر من المؤمنين بلاء فصبر عليه كان له
مثل اجر الف شهيد وقال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
عليهم بالاوامر التي هي ما المصايب فصبر فيها اختيارا صبر عليهم بغير
في فضيلة الصبر اكثر من ان تحصى فصل اعلم ان ما يلقى العبد في هذا
الحيوة لا يخلو من نوعين احدهما ما يوافق هواه والاخر ما يكرهه وهو يحتاج
الى الصبر في كل واحد منهما فهو اذن لا يستغني فيه عن الصبر اما ما يوافق
هواه كالصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الاسباب
وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا فالصبر عليها اشد لان الانسان
نفسه عن الاسترسال في الركون اليها والانهماك في ملاذها للباعث لها
اخرجه ذلك الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فكل
بعض العباد فتن البلاء يصبر عليه المؤمن والعراق لا يصبر عليها الا الصديقين
وذلك لانه مقرون بالقدرة ومن المعصية لان الاعتماد والمايل عن عجيبة
الطعام اذا يدعو الصبر منه اذا حضرته الاطعمة الطيبة اللذيذة وقد يدعو عليها
واما ما لا يوافق الهوى والطبع فلا يخلو اما ان يرتبط باختيار الانسان كالطاعات
والمعاصي او لا يرتبط كالمصائب والنوائب او لا يرتبط واوله باختياره ولكن
لا باختياره في الحال كالتشوق من الموذي بالاشتهاء منه فهي ثلثة اقسام
الاول ما يرتبط باختياره وهو سائر اعماله التي توصف بكونها طاعات او
معصية اما الطاعة فالصبر عليها اشد لان النفس يطبعها تنفر عن
العبودية وتشتهي الربوبية كما سبق بيانه ثم من العبادات ما يكون

وقال تعالى فاصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وقال لنبيه عز
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا
وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وقال النبي صلى الله عليه وآله الصبر
قطعات ولقد طعن حربة واحتز على الملك القسم الثالث ما لابد منه
الاختيار له ولغيره كالمصايب بسائر موت الاعزة واهلاك الاموال و
زوال الصحة بالمرض ونحو ذلك وهذا مصبر بسنده اليقين قال الكاظم
عليه والده اسئل من اليقين ما يهون بعلى مصائب الدنيا وقال
صلى الله عليه وآله ما من عبد تصيبه مصيبة فقال كما امره
الله انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا
منها الا فعل الله ذلك وقال صلى الله عليه وآله قال الله عز وجل اذا
وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك
بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة ان انصب له ميزانا او انشر له
ديوانا وقال صلى الله عليه وآله الصبر ثلثة صبر عند المصيبة و
صبر على الطاعة وصبر عن المعصية فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن
عزائها كتب الله له ثلثمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم
الارض ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة
الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى العرش ومن صبر عن المعصية كتب الله
له تسعمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى منتهى
العرش وعن الباقر عليه السلام الصبر صبران صبر على البلاء حسن جميل
وافضل الصبرين الورع عن محارم الله فصل ان نظرت فيما ذا ينال به
الصبر في المصاب وليس الاخلال الخيار فهو معطر شاء امالي فان كان

ان لا يكون في نفسه كراهية المصيبة بذلك خير واجل تحت الاختيار
فاعلم انما ينجو من مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب ونشر الخدود
والمبالغة في الشكوى واظهار الكآبة وتغيير العادة في الملبس والمفرش
والمطعم وتخرجها وهذه الامور انما تحت اختياره فينبغي ان يجتنبها
ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويقر مستمرا على عادته ويعتقد ان ذلك
كان وديعة فاسترجعه ولا يجب بعزها الصابرين توجع القلب و
لا جريان العين بالدمع فان ذلك مقتضى البشرية ولا تفارق الانفاس
الى الموت حالة للصابرين بل بريم ولذا لما توفي ابراهيم ولد النبي صلى الله عليه وآله فاضت
عيناه فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال ان هذه رحمة وانما يرحم الله من
عباده الرحماء وقال ابن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول ما يسخط
الرب وان لك ايضا لا يخرج من مقام الرضا فان المقدم على الفصد و
الحجامة ربما يتألم به ومرارة الدواء سبب لانحطاط التفاوت من كمال الصبر كما ان
الفقر وسائر المصايب وتقليل من كنوز البر كان المصايب والاوجاع
والصدقة وعن الباقر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه
وآله قال الله تعالى ما من عبد مؤمن يمرض فيشكو الى عواده الا بلته لحما
ودما خيرا من لحمه ودمه فان عافيته عافيته ولا ذنب له وان قبضته
الى رحمته وفي معناه اخبار اخر وفي بعضها فشر الشكاية بان يقول ابتليت بالوجع
ودمامل ولم يذكر فيها وفسر الشكاية بان يقول ابتليت بالوجع
احد عشر عاما فلم يعافني وما قال ولم ار الشكوى ان يقول سهر ت الليلة
وحمت اليوم وعن الصادق عليه السلام من اشتكى ليلة فصبر عليها
بقبولها وادى الى الله شكرها كان كعبادة ستين سنة صام نهارها وقام

قال عليه السلام فيما فاذا اصبح حداه على ما كان وسئل
الباقر عليه السلام عن الصبر الجميل فقال الذي ليس فيه شكوى
الى الناس وعن النبي صلى الله عليه وآله من احب ان استجاب الله دعوته
ان لا تشكو ربه ولا تذكر مصيبتك واما الشكاية الى الله تعالى وسؤاله
الرفع فلس بجزع قال يعقوب انما اشكو بثي وحزني الى الله فصل الصبر
الى قوله الصبر ثلثة باعث الدين وتضعيف باعث الهوى والمجاهدة
والرياضة يذكر فائدة كل واحد منها وطرقها واقسام الجزع وحده وان يذكر
تكريره فيها ورد في فضل الصبر فيه حسن مواقبه في الدنيا والاخرة
ان يعلم ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات وانه بسبب ذلك معرض
بالمصيبة اتفاقا مما لا يبقى معه الا حلة الجزع الدنيا وسل الله سبحانه
بعد موته ابد الدهر ومن اسلم خيرا في نفس فلا ينبغي ان يحزن
لفوات الخسيس من المال فلن يفوته الا ما علم مصارعه الخير
تدبيجا حتى يعلم جلية الظفر بها فيستجزل عليها ويقرن به
مصارعها فان الاعتبار والممارسة للاعمال الشاقة تولد القوى التي تقصر
منها تلك الاعمال ومن جود نفسه مخالفة الهوى عليها مما اراد فوان كان
ذلك بتعب قوي فصبر وان كان بيسير فصبر وان كان بعد جهد فصبر فان
كان بسلاسة فشكر وهو البنية عن مخطوط النفس والشهود مع الله تعالى
وعدم التغير بين الامرين الالم اللذة الباب الثاني في الرضا والشكر اما الرضا فهو
ترك الاعتراض والسخط قال ابو تراب رحمه الله صحبت ذا النون وعن
النبي صلى الله عليه وآله انه سأل طائفة من اصحابه ما انتم فقالوا نحن مؤمنون
فقال ما علامة ايمانكم قالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء

نرضى بواقع القضاء فقال سوسنون وربّ الكعبة وفي خبر اخر قال
حكماء علماء كادوا ان يكونوا انبياء وعن الجنيد عليه السلام
الصبر والرضا عن الله واسطاعة الله ومن صبر ورضي عن الله فيما قضى
عليه فيما احب او كره لم يقض الله فيما احب او كره الا ما هو خير له
وعن الباقر عليه السلام اذا خرج خلق الله ان يسألوا ما قضى الله منع ان الله
ومن رضي بالقضاء الى عليه القضاء وعظم الله اجره ومن سخط
القضاء مضى عليه القضاء واحبط الله اجره وعن الصادق عليه السلام
ان اعلم الناس بالله ارضاهم بقضاء الله وعنه عليه السلام ان
موسى اوحى الله تعالى اليه ويحك يا موسى وعزتي وجلالي وعظمتي وارتفاعي
ما خلقت خلقا احب الي من عبدي المؤمن فاني انما ابتليه لما هو خير له واعافيه
لما هو خير له واني اعلم بما يصلح عليه عبدي فليصبر على بلائي وليشكر
نعمائي وليرض بقضائي اكتبه في الصديقين عند ذاعمل برضائي واطاعة
امري وعن الكاظم عليه السلام ينبغي لمن عقل عن الله ان لا يتهم الله
في رزقه ولا في شيء من قضائه وفائدة الرضا والحال فراغ القلب للعبادة
والراحة من الهموم وفي الحال رضوان الله والنجاة من غضبه فقال
سبحانه من امر من بقضائي ولم يصبر على بلائي فليطلب ربا سواي
والطريق الى تحصيله ان يعلم ان ما قضى الله سبحانه له فهو الاصلح بحاله
وان اوان بلغ عليه دهر ولا ينفك للهم وجه ويتبدل القضاء به فان
ما فات لم يكن وما لم يقدر لم يكن وبحسم المآسي وتدبير الاتي يذهب ان يكون
الوقت بالغايد ويبقى تبعة السخط عليه بل ينبغي ان يديشه الحزن
الاحساس بالاتركما للعاشق والمحب وان يهون عليه العلم بحال الاتي

الشدة كما الزمخ والشاب الصابر الصابر شدة الحجامة والسفر فيفوض امره
الى الله ان الله بصير بالعباد قال الصادق عليه السلام لم يكن رسول الله
صلى الله عليه وآله يقول لشئ سخط لو كان خيرا **مسئلة** اعلم ان من
قال ليس فيما يخالف الحرى فلموضع البلاء الا الصبر فاما الرضا فلا يتصور
فانما الى من ناحية انكار المحبة فاما اذا فاتت تصور الحب صحيحا والمستحق
الحكم به فلا يخفى ان المحب يورث الرضا باصال الحبيب ويكون خاليا من
وجهين احدهما ان يبطل الاحساس بالالم حتى لم يجر عليه الم ولا
يحس به ويجيبه جراحة ولا يبطل بها ومثاله الرجل المحارب فانه
في حال غضبه او حال خوفه قد يصيبه جراحة وهو لا يحس بها فاذا راى الذي
استدل به على الجراحة بل الذي يعد في شغل قريب قد يصيب شئ
في قعره ولا يحس بالم يشغل قلبه وذلك لان القلب اذا صار مستغرقا
بامر من الامور مستوفى به لم يبق له ما عداه وكذلك العاشق المستغرق الهم
بشاهده معشوقا او بحبة قد يصيبه ما كان يتالم به او يفقد لو كان
شاهد لم يشعر به والمحب لفرط استيلاء الحب على قلبه ما الا اصابه من غير
حبيبه فكيف اذا اصابه من حبيبه وجمال الحضرة الربوبية وجلالها
لا يقاس به جمال فمن تكشف له شئ منه فقد بهر بحيث يدهش فيغشى
عليه ولا يحس بما يجري عليه واما الوجه الثاني فهو ان يحس به ويدرك
الم ولكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له بعقله وان كان كارها له
بطبعه كالذي يشرب من الفصاد الفصد والحجامة فانه يدرك الم الا انه يحب
به ويرغب فيه ويستقل منه الشدة فهذا حال الرضا بما يجري عليه
من الالم وهذا الصابة بلية من الله عز وجل وكان لم يتقين بان ثوابه

الذي اخر له فوق ما فاته ورضي به ورغب فيه واحبه وشكر الله عليه
هذا ان كان بلاحظ الثواب الذي يجازى به عليه ويجوز ان يغلب الحب
بحيث يكون حظ المحب في مراد حبيبه وهو منا لا يبغي اخر وراءه فيكون
مراد حبيبه هو مناه محبوبا عنده ومطلوبا فكل ذلك موجود في الشاهد
في حب الخلق وقد تواصفها الشعراء فنون في نظمهم ونثرهم وقد يرى
ان اعرابيا مر بمكة اربعة اشهر لم يكن طعمه غذاء الا النظر الى وجه
الصادق عليه السلام فكانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فشغلهم جمال
الاحساس بالجوع بل ما الذي ابلغ من ذلك وهو قطع النظر
بعينه لانه تارة يمنع بما لا خطر له في جنب الحسن بذلك ويروى
ان عيسى عليه السلام مر برجل اعور ابرص مقعد مضروب
الجبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني
مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى عليه السلام اي شئ من البلاء تراه مصروفا
عنك فقال يا روح الله انا خير من لم يجعل الله في قلبه ما جعله في قلبي من
معرفته فقال صدقت هات يدك فناوله يده فاذا هو احسن الناس وجها
وافضلهم هيئة فاذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى وتعبد معه
مسئلة اعلم ان الدعاء خير منا فضل لهم منا وكذلك الشكر افضل من
اعمالها وجميع اسبابها والسعي في قضاء الحوائج بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر
وقد غلط في ذلك كثير من البطالين المغترين وزعموا ان المعاصي مع الخوف
اكمل من تضاء الله وقدره فنحب الرضا به وهذا اجمل بالتاويل وغفلة
عن اسرار الشرع فاما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرت ادعية الانبياء والائمة
عليهم السلام وكانوا في اعلى مقامات الرضا وقد اثنى الله عز وجل

على بعض عباده بقوله يرضى لكم ثلثا ويسخط لكم ثلثا وبقوله ولا يرضى لعباده الكفر وقال اوصى في استحباب ذلك
والمراد انكار المعاصي وكراهتها فانه تعالى نهى عباده عنها وذمهم
على الرضا بها فقال ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها وقال ورضوا
بالخوالف وطبع على قلوبهم وبيّن الخير الشهود من شهد سكرا
ورضي به مكانه قد فصله وبيّن الوان عباده فقال الشر وهو بقتله آخر
بالغرب كان شريكا في قتله واما يفعل الكفار والفجار وهم منهم والاكثار لهم
فانه ورد فيه من شواهد القرآن والاخبار لا يحصى وقد ورد ان اثقل شيء في ميزان
الايمان الحب لله والبغض لله فان قلت فقد ورد في آيات واخبار
بالرضا بقضاء الله تعالى فان كانت المعاصي بقضاء الله فهو يحب ذلك وهو مما مدح في
التوحيد وان كانت بقضاء الله تعالى فكيف انهاهم عنها وذمهم على كراهتهم لقضاء
الله فكيف السبيل الى الجمع بينهما وهو ينافض على هذا الوجه وكيف الجمع
بين الرضا والكراهة في شيء واحد فاعلم ان هذا انما يلتبس على الضعفاء القاصرين
على الوقوف على البراهين العلوية وقد التبس على قوم حتى زادوا السكوت
على السكرات مقاما من مقامات الرضا وهو حسن الخلق وهو جهل محض
بل نقول الرضا والكراهة متضادان اذا وردا على شيء واحد على وجه واحد
وليس من التضاد في شيء واحد على وجه واحد ليس من التضاد في شيء واحد
ان يكره من وجه ويرضى به من وجه افترى موت عدو الله الذي هو عدو لك بعض
اعدائك وساع في اهلاكك منكرا موته من حيث انه مات عاصيا وعدو لله
ترضاه من حيث انه مات عدوا لله وكذلك المعصية لها وجهان وجه الى الله
عز وجل من حيث انه فعله واختياره وارادته فترضى به من هذا الوجه لانها
للملك الحق الملك وبعضا بايجاده له وهو صالح العبد من حيث انه

كسبه ووصفه وعلامة كونه عبدا عنده وبغضا عنده حيث سلط
عليه اسباب البعد والمقت فهي من هذا الوجه سكر وهذه وجهة
لله لكل ما يكره من وجه ويرضى به من وجه ونظير ذلك لا تحصى واجب
على كل عبد يحب الله عز وجل ان يبغض من ابغضه الله ومقت من مقته
وان اضطر بقهر وعدوته الى معاداته ومخالفته موافقة للمحبوب باطنها
الغضب على من اظهر المحبوب الغضب عليه ما يعاده وبهذا يجمع بين ما
ورد في البغض لله والبغض لله مع الرضا بقضاء الله وهذا يسلك
سر القدر الذي لا ترضى في اثباته وهو ان الشر والخير داخلان في المشية
الا انه ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي به وكشف الغطاء عن هذه
ما ذكرناه فالاولى السكوت عنه والتادب بادب الشرع فنه تظهر الغرض
من غير حاجة الى كشف السر فيه فصل واما الشكر فهو عبارة عن ثلثة معان
المعرفة والحال والعمل وجب الفرح باصناف الخير والتحميد لله واستعمال النعمة
وكل واحد من هذه المعرفة فان تعريف ان النعم كلها من الله وانه هو المنعم والموصل
منه الى حقيقة واما الذي انعم علينا هو الذي خولهم النعم التي
تلوبهم من الاعتقادات والارادات ما صار به مضطرا الى الايثار
الباعث فنزع عن ذلك مكاشفة عرفت شكر الله وهذا هو الشكر القلبي واما
الفرح بالنعمة مع هيئة الخضوع والتواضع فهو ايضا في نفسه شكر
فان كان فرحا بالنعم خاصة لا بالمنعم ولا لانعامه ومن حيث انه طريق
به الى التوصل الى القرب منه والنزول في جواره فهو الرتبة العليا في الشكر
واما ارتكان الانتعاش بالدنيا لانها هو من زعم الاخرة ومحبة طلبها وتحزن
بكل نعمة تلهيك عن الله وتصدك عن سبيله وهذا ايضا شكر القلب في

اما العلم بوجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم فهو القيام بما هو وظيفة
المنعم ومحبوبه ويتعلق القلب واللسان والجوارح اما بالقلب فقصده
المحبة واصماء لكافة الخلق واما باللسان فاظهار الشكر وصدا التحميد الدال
عليه واما بالجوارح فاستعمال انعم الله في طاعته والتنزيه من الاستعانة بها
على معصيته حتى ان من شكر العينين ان تستر كل عيب تراه بمسلم ومن
شكر الاذنين ان تستر كل عيب تسمعه لمسلم فهذا وامثاله في جملة
شكر نعمة هذه الاعضاء بل ينبغي ان يشكر نعمة العين فتغمضها عند رؤية الشر ايضا
اذ الابصار امانة وهي والملتقط البصر بما ينفعه في دينه ودنياه ويشغل
بما يضره وفي هذا يقول الله تعالى خلق الارض والسماء وخلق الدنيا واسبابها
ان يستعين الخلق بها على الوصول الى الله لا وسول اليه الا محبته و
الانزياح عن الدنيا والحال عن عزوف الدنيا ولا اثر الا حب او الذكر ولا محبة
الا لمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولا يكمن الدوام على الذكر والفكر الا ببقاء
البدن ولا يبقى البدن الا الاكل والماء والهواء ولا يتم ذلك الا على الارض
والسماء وخلق سائر الاعضاء وكل ذلك لاجل البدن والبدن مطية النفس و
الرابع الى الله فهي العلة بطول العبادة والمعرفة فكل من استعمل شيئا في غير
طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع الاسباب التي لا بد منها الاعضاء على تلك
المعصية قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور وقال ابو يعقوب الله بعد ابكاك ان
شكرته واستدعى رضى الصادق عليه السلام قال قال رسول الله الطاعم
الشاكر له من الاجر كاجر الصائم المحتسب والمعافى الشاكر له من الاجر كاجر المبتلى
الصابر والمعطى الشاكر له من الاجر كاجر المحروم القانع ورضي عليه السلام
قال من اعطى الشكر اعطى الزيادة قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وعن عليه السلام

قال ما انعم الله على عبد من نعمة صغرت او عظمت فقال بلسانه نعم
كان قد شكر بوسيله الزيادة وعن الباقر عليه السلام قال كان رسول الله صلى
الله عليه وآله عند عائشة ليلة فقالت يا رسول الله لم تتعب نفسك و
قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا عائشة الا اكون عبدا
شكورا وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقوم على اصابع رجليه
فانزل الله سبحانه عليه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى وعن الصادق عليه السلام
شكر النعم اجتناب المحارم وتمام الشكر قول الرجل الحمد لله رب العالمين
وعنه عليه السلام اذا انعم الله على عبد نعمة فعلم بقلبه شكرا قال نعم قبل بها هو قال بجوارحه
حتى يجب عليه في اصل ما انعم عليه من المال حق اداه وعن
قوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وعنه قوله
رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين وقوله رب ادخلني مدخل صدق
واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وعنه عليه السلام
قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا ورد عليه امر يسره قال الحمد لله على
هذه النعمة واذا ورد عليه امر يغتم به قال الحمد لله على كل حال وعن الباقر عليه
السلام قال اذا ذكر احدكم نعمة الله فليضع خده على التراب شكرا لله فان كان
راكبا فليترجل وليضع خده على التراب وان لم يكن يقدر على النزول فليضع
خده على قربوسه فان لم يقدر فليضع خده على كفه ثم يحمد الله على ما انعم عليه
تعليل اعلم انه لا يتأتى احد حقيقة الشكر الا بان يعلم ان النعم كلها من
الله وان الشكر عليها ايضا نعمة من الله يتطلب الى شكر اخر وهكذا قال الصادق
عليه السلام اوحى الله عز وجل الى موسى عليه السلام يا موسى اشكرني حق
شكري فقال يا رب وكيف اشكرك بحق شكرك وليس من شكر شكرته الا انت

انعمت به علي قال يا موسى الان شكرتني حيث علمت ان ذلك مني و
عن العباد عليه السلام قال كان ابو جعفر عليه السلام اذا قرأ هذه الاية وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها يقول سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته
بالتقصير عن معرفته وكما لم يجعل لخلقه سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته
وفي رواية اخرى عن العباد عليه السلام قال ان الله تبارك وتعالى لعبد من عبيده يوم القيمة ما شكرت فلانا فيقول بل شكرك يا
رب فيقول لانه شكرني اذ لم شكرني ثم قال الشكر يكون سببا لشكر الناس
فصل اعلم ان النعم اما دنيوية كالخلقة السوية والملك الشهية
وصحة الجسد والمال واما دينية كالاسلام ومعرفة الائمة المعصومين

عليهم السلام والتوفيق على الطاعة والعصمة عن المعصية والدينية
اعظم لانها توصل الى السعادة الابدية والانجاء من الشقاوة السرمدية
ولهذا كفر الكفار بالنبوة واختار الاشرار زوال ما لا يتم منها قال
الكاظم عليه السلام من جحد النعمة فقد شكره والجحد افضل من
ذلك النعماء والطريق الى تحصيل الشكر المعرفة والتفكر في صنايع الله تعالى
والنظر الى الادون في الدنيا والى الاعلى في الدين وينبغي في المصايب على
ان لا يصيبه اكبر منها وان لا يكون في الدين وان يحتمل عقوبته ولا تدوم
الا خير وان لها ثوابا فتفرغ منها وان مؤداها خير له وانها تمحص من
الذنب وهي في الدنيا وهي في الحقيقة نعم اذ لا تخلو عن تكفير الخطيئة او ربما
النفس او رفع الدرجة ومع ذلك كله فالعافية خير من البلاء فعن النبي
صلى الله عليه وآله انه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الاخرة
وكان يقول هو والانبياء والاوصياء عليهم السلام ربنا اتنا في الدنيا حسنة
وفي الاخرة حسنة وكانوا يستعيذون من ثمانية الاعداء وقال رسول الله
صلى الله عليه وآله سلوا الله العافية فما اعطى عبدا افضل من العافية
الا اليقين واشار باليقين الى عافية القلب من مرض الجهل والشك
فان عافية القلب اعلى من عافية البدن الباب الثالث في الرجاء والخوف اما
الرجاء فهو ارتياح القلب لانتظار محبوب فان حصل اكثر اسبابه فالاصح
اسم الرجاء كتوقع الحصاد من الزرع بعد اجادة ارض صالحة بصبها الماء و
ان فقد اكثر فهو الغرور والحماقة كالتوقع في ارض صالحة لا يصبها الماء وان شك فيها
فالشك كما اذا صلحت الارض ولا ماء وذلك لان الدنيا مزرعة الاخرة والقلب
كالارض والايمان كالبذر فيها والطاعات جارية مجرى تقليب الارض و

تطهيرها وهو معنى الانهار وعمارة البلد اليها والقلب المستهتر بالذات
المستغرق فيها كالارض السبخة التي لا يجتنى منها البتة وهو القلب
المحصاد ولا يحصد احد الا ما زرع ولا يجتنى من زرع الشر بذل الايمان وقطع
ايمان مع حب القلب وهو واسطة كما لا يجتنى بذر في ارض سبخة فبطل
ان يقدر رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع كل من طلب ارضا طيبة
والقوى فيها بقدر ما يلقى اليها من البذر ويجتلب اليها من سقى الماء
البذر او يفسده وسوق الماء اليه فوائد ثم جلس ينتظر ان يفصل الله فتح
الآفات المفسدة الى ان يتم الزرع ويبلغ غايته سمى انتظاره رجاء وان بث
البذر في ارض سبخة مرتفعة لا يجتلب اليها ماء ولم يشتغل بتعهدها بعد
حصاده انتظر الحصاد سمى انتظاره حمقا وغرورا لا رجاء وان بث البذر
في ارض طيبة ولكن لا ماء لها ولكن ينتظر بها الامطار حيث لا يعلم الغيب
ولا يمنع ايضا سمى انتظاره تمنيا لا رجاء فان اسم الرجاء انما يصدق على
انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الا الخلل في اختيار العبد فلم
يبق الا ما ليس يقدر تحت اختياره وهو فضل الله فكذلك بصدور الطاعات
المصلحات عن العبد الذي بذل الايمان رجاء الطاعات وطهر القلب عن
شوك الاخلاق الردية وانتظر من فضل الله تثبيته على ذلك الى الموت وحسن
الخاتمة المفضية الى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه
باعثا للعمل للمواظبة والقيام بمقتضى الايمان بتمام اسباب المغفرة الى
الموت وان قطع عن بذل الايمان تعهد بما الطاعات او ترك القلب شحنا
بريد الاخلاق الردية لم يسم في طلب المغفرة انتظار رجاء بل انتظار حمق
وغرور قال الله تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله

اولئك يرجون رحمة الله وقال عز وجل فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب
يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وقال النبي صلى الله عليه
وآله الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله وقال الصادق عليه السلام ان قوما من مواليك يلون القتل
ويقولون نرجو فخاب الكذبة ما هم بمواليك قوم رجت بهم الامانى
من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وقال عليه السلام لا
يكون الموحد موحدا حتى يكون خائفا راجيا ولا يكون خائفا راجيا حتى يكون
عاملا لما يخافه ويرجوه فاذن العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي
حقيق بان ينتظر من فضل الله تمام النعمة وهو اتمام النعمة الا بدخول الجنة
واما العاصي فاذا تاب وتدارك بجميع ما فرط منه من تضييع فحقيق بان يرجو
قبول التوبة فان كان كاربها للمعصية قنوء السيئة وشرع الحسنة وهو
يلتذ نفسه بلوسها ومن يشتهي النوم يتناول المنوم الذي يعلم انه يجلب
الله التوفيق للتوبة لان كراهيته للمعصية وحرصه على الطاعة يجري
مجرى السبب الذي يفضي الى التوبة واما الرجاء بعد تأكد الاسباب فضل
واما الخوف فهو عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في
الاستقبال ويجب بظاهر اسباب المكروه يكون قوة الخوف وشدة تألم
القلب ويجب بضعف الاسباب بضعف الخوف والخوف من الله تارة
يكون بمعرفة ذاته ومعرفة صفاته وتارة يكون لكثرة الجناية من المعاصي
المعاصي وتارة يكون بهما جميعا وبحسب معرفته بجلال الله تعالى وتعاليه
واستغنائه وبعيوب نفسه وجناياته يكون قوة خوفه فاخوف الناس لربه
اعرفهم بربه وبنفسه ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله انا اتقاكم

وقال الله سبحانه انما يخشى الله من عباده العلماء شرب ذكر الخوف
يفيض اثره الحزن من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات اما على
البدن فبالنحول والصفار والبكاء ولساق الجوارح فكفها عن المعاصي و
تقييدها الا لطاعات تلافيا لما فرط باستعمالها في الشهوات ولذلك قيل ليس
الخائف من بكى وبيده عينه بل من ترك لسانه ان يعاقب عليه وقال
حكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه واما في الصفات
فهو ان يقمع الشهوات ويكف اللذات فتضعف المعاصي الصوم عنده مكروه
كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه فاعرف ان منبع هذا الخوف والشهوة
الخوف وتاديب الجوارح يحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة و
الاستكانة وصفاؤها الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعبا لهم وزوده
النظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة
والمجاهدة والغضب الانفاس واللحظات ومواقع الخطرات
والكلمات فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو فيه لا متسعا
لغيره وهذا حال من غلب عليه الخوف واستولى عليه وقال ذو النون علامة
الخوف في الانسان ان يمتنع من المحظورات ويسعى لكف الجوارح من المحظورات
وقد كان لداود عليه السلام في اليه امكان الفريضة وسيتي في الشهوة
وقد يحمله على ان يترك الاباس به مخافة ما به باس وهو الصدق في الورع
فاذا انضم اليه الخوف المذكور فصار لا يشتهي ما لا يحل له ولا يجمع ما لا ياكله
ولا يلتفت الى دنيا يعلم انها فانية ولا يبصر الى غير الله تعالى نفسا من نهاره
وهو الصدق وصاحبه حيدر بان ليس صديقا وهو قليل في الصدق الشهوي
وفي الشهوي الورع وفي الورع العفة فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى

الشهوات خاصة فاذن الخوف يوثر في الجوارح بالكف والاقدام فضل
اعلم ان العمل على الرجاء اعلى منه على الخوف لان القرب الى العباد الى الله احب اليه
والحب على الرجاء لذلك ورد في الرجاء وحسن الظن بالله في الاحاديث وقت
الموت قال الله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم فقرر اصل الرجاء
وقال ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وغيره ثم ما قال وذلكم
ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم وقال وظننتم ظن السوء وكنتم قوما
بورا وقال النبي صلى الله عليه وآله يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي
بي فليظن بي ما شاء وقال لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله وقال
عليه السلام على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك قال اجدني
ارجو ربي وارجو ربه في فقال عليه السلام ما اجتمعا في قلب عبد في
هذا الموطن الا اعطاه الله ما يرجو وامنه مما يخاف وقال امير المؤمنين
عليه السلام لرجل ادخل الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه باهذا يأس
من عفو الله اعظم من ذنوبك وفي اخبار يعقوب ان الله تعالى اوحى
الى نبي لو فرقت ببنك وبين يوسف لقولك اني اخاف ان اكل الذئب
وانتزعه فاقلون لو خفت الذنب لغفرته وانا نظرت الى عفو اخوته
ولم ينظر الى حفظي له وعن الباقر عليه السلام قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم قال الله تعالى لا يكل العاملون على اعمالهم التي يعملونها
لثوابي فانهم لو اجتهدوا واتعبوا انفسهم اعمارهم في عبادتي كانوا مقصرين
ضربا بالذين في عبادتهم كذبوا في فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في
جناني ورفيع الدرجات العلى في جواري ولكن برحمتي فليثقوا وفضلي فليرجوا

والى حسن الظن به فطيبوا نفوسا وقروا عيونا وطيبوا ان رحمتي عند ذلك تدركهم ومن ثم اطمعهم رضواني وعفوي فيك فلتسعهم عفوي فاني انا الله الرحمن الرحيم وبذلك سميت وبه
وصفته عليه السلام قال وجدنا في كتاب علي عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال وهو يصلي ربنا ولك الحمد لا احصي ثناء عليك ولا احد الا احصاه ما اعطيت قط خير الدنيا والآخرة الا بحسن ظنه بالله وبرجائه له وحسن خلقه والكف عن اغتياب المؤمنين والذي لا اله الا هو لا يعذب الله عبدا مؤمنا بعد التوبة والاستغفار الا بسوء ظنه بالله وتقصيره من رجائه وسوء خلقه واغتيابه للمؤمنين والذي لا اله الا هو لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله الا كان الله عند ظن عبده المؤمن لان الله كريم بيده الخيرات يستحيي ان يكون عبده المؤمن قد احسن به الظن وجاد له عز وجل من نفسه ورجاه فاحسنوا بالله الظن وارغبوا اليه قال الصادق عليه السلام حسن الظن بالله ان لا ترجو الا الله ولا تخاف الا ذنبك والطريق الى تحصيل الرجا ذكر سوابغ فضل الله تعالى من ربوبية شفيع وساوعده من جزيل ثوابه من دون استحقاق وبما انعم به ابتداء في الدارين من دون سؤال وسعة الرحمة وسبقها الغضب والجاب الواردة في سعة رحمته سبحانه اكثر من ان تحصر ولما جبلنا عليه وذكرها الا في المجامع الى تحصيل الرجا من غلب جانب الخوف او اليأس وقليل ما هم واما الذين هم يكون في طرفي الذنوب والمغفرة وبما هم فيه من الفساد والخوف كثيرا ما يزداد رجاؤهم فسادهم وفساد فصل اعلم ان الرجا محمود والى حد فان جاوز الى الامن فهو خسر ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وكذا الخوف محمود الى حد فان جاوز الى القنوط فهو ضلال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون واول

اليأس فهو كفر ولا يأس من روح الله الا القوم الكافرون والاصلح ان يعتدلا قال امير المؤمنين عليه السلام لبعض ولده يا بني خف الله خوفا تريك ان اتيته حسنات اهل الارض لم يقبلها منك وارج الله رجاء كانك لو اتيته بسيئات اهل الارض غفرها لك وقال ابو عبد الله عليه السلام ليس من عبد مؤمن الا في قلبه نوران نور خيفه ونور رجا لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا وقد جمع الله سبحانه بينهما في وصف من اثنى عليهم فقال يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال يدعونه رغبا ورهبا واما غلبة الرجا في غالب الناس فستة اوجه الاختيار وقلة المعرفة بل الاصل الجبلي وغلبة الامن على الموت غلبة الخوف واما اصل الموت فالاصل فيه غلبة الرجا وحسن الظن لان الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد استغنى وقت العمل وهو لا يبقى هنا سبب الخوف لانا نتكلم في غلبته ويعين على تحصيل هذه الرجا فانه يقوي قلبه ويحبب اليه ذكر الذي اليه رجاؤه ويخفف على نفسه فراق الدنيا الا ما فارق احد الدنيا الا احب الله تعالى لقاءه ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن قدم على محبوب عظيم سرور بقدر محبته وبمن فارق محبوبا اشتد حزنه وعذابه بقدر محبته فالغالب على القلب عند الموت حب الاهل والولد والمال والمسكن والرضا والاصح بكانت محابه كلها في الدنيا فكانت الدنيا جنته فكاين خرج من الجنة وصيرورته بين ما يشتهيه فاما اذا لم يكن له محبوب يحن اليه وهوى ذكره ومعرفته والفكر فيه فالدنيا عليه اشاغلة لقلبه عن المحبوب فالدنيا اذن حجبته وهو قدوم على محبوبه وهذا حد الموت فاذن غاية السعادة ان يموت العبد محبا لله فصل اعلم ان الخوف من الله تعالى على

مقام بين احدهما الخوف من عذابه وهو خوف عموم الخلق وهو حاصل
الايمان بالجنة والنار وكون كل منهما جزاء بين على الطاعة والمعصية وضعفه
بسبب الغفلة وسبب ضعف الايمان عدم تنزل الافعال بالتذكر والتأمل
وملازمة الفكر في اهوال القيمة وصنوف العذاب الاخروي ومن الايمان
بالنظر الى الخاسرين ومجالستهم ومساعدتهم اما لهم فان غلبت المشاهدة
فالسماع لا يخلو من تأثير والثاني وهو الاعلى ان يكون الخوف من الله تعالى
ان يحول العبد وبين حجاب عنه وبين القرب منه وهو المعبر عنه بالعلم وذلك
القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف والعبد المطلع
على سره وعلانيته كما قال تعالى ويحذركم الله نفسه وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى يخافون ربهم من فوقهم وروى انه صلى الله عليه وآله قال
ربه وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبعض اصحابه ما منعك ان تزورنا فقال
الذنوب اليك يا علام الغيوب فقال عليه السلام سبحانك ما اجرأ المرء على ربه كيف لا يخافك وقال الصادق عليه السلام من عرف الله خافه ومن خاف الله سخت نفسه
عن الدنيا وقال ان من علامات المؤمن ان يسيء فلا يأمن ان يخسر
من عباده العلماء وقال تعالى فلا تخشوا الناس واخشون وقال ومن يتق الله
يجعل له مخرجا وقال ان حب الشرف والذكر لا يكونان في قلب الخائف الراهب
للمؤمن بين مخافتين ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه وعمر قد بقي لا
يدري ما يكتب عليه من الهلكة فهو لا يصبح الا خائفا ولا يمسي الا خائفا
وقال لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون خائفا راجيا ولا يكون خائفا راجيا حتى
يكون عاملا لما يخاف ويرجو وقال لا يحقر من عمله ما رأى انه خفف الله كما ما
وان كنت لا تراه فانه في السماء كثير عند الله لا يزال يقدمه بين يديك وان كنت تعلم

انه ورائك ثم وزنت له المعصية فقد جعلته من اهون الناظرين اليك
وقال من خاف الله امنه الله من كل شيء ومن لم يخف الله ما خافه الله من
كل شيء وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اما من مؤمن تخرج من عينيه
دمعة وان كانت مثل رأس الذباب من خشية الله ثم يصيب شيئا من
وجهه الا حرمه الله على النار وقال اذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله
تحاتت عنه خطاياه كما تحات من الشجر ورقها وروى الصدوق في عيون
الحسن بن ابي سليم قال سمعت رجلا من الانصار يقول بينما نحن مع
الله صلى الله عليه وآله مستظلين بظل شجرة في يوم شديد الحر اذ جاء رجل
مرتج ثيابه ثم جعل يتمرغ في الرمضاء يكون ظهرا مرة وبطنه مرة وجبهته
مرة ويقول يا اقشر ويحك ما عناك اليوم بما صنعت بنا ورسول الله ينظر
اليه ما صنع ثم ان الرجل لبس ثيابه ثم اقبل حتى جاء ومجالسه النبي صلى الله عليه
والمسلمين وسلم فقال له يا عبد الله لقد رأيتك صنعت شيئا ما رأيت احدا
من الناس صنعه فما حملك على ما صنعت فقال الرجل حملني على ذلك مخافة
الله وقلت لنفسي انتن ريحا عند الله اعظم مما صنعت بك فقال النبي
صلى الله عليه وآله لقد خفت ربك حق مخافته وان ربك ليباهي بك اهل
السماء ثم قال لاصحابه يا معشر من حضر ارتحلوا فارتحلوا حتى بلغوا عرفات
فدنوا منه فقالوا اللهم اجمع امرنا على الهدى واجعل التقوى
زادنا والجنة مآبنا وعد بيننا وبين الناس شهرا وفي الكافي المنقول
وعن الباقر عليه السلام قال اصاب امير المؤمنين عليه السلام الناس الحسن
بالعراق فلما انصرف وعظهم بكى وابكاهم من خوف الله ثم قال اما والله
عهدا عاقدنا عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وما بيننا

[illegible] من الله ما لم يكن بحسب او خوف تتبعات الناس عنده في الغيبة
الخيانة والغش واضمار السوء او خوف ما لا يدري انه يحدث في بقية عمره
او خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والافتضاح قبل الموت او خوف الاخذ
بخفارة الامنا او خوف اطلاع الله على سريرته في حال غفلته عنه او
خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء او خوف السابقة التي سبقت له في
الازل فهذه كلها مخاوف العارفين ولكل منها خصوص فايدة وهو السالك
سبيل الله بما يقضي الى المخوف فهو يخاف استيلاء العادة عليه فيقوى
على الخطاء من العادة والذي يخاف من اطلاع الله على سريرته يشتغل
بتطهير قلبه من الوساوس وهكذا الى بقية الاقسام واغلب هذه
المخاوف على المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيه مخطر واعلى الاقسام
واطلعها على كمال المعرفة خوف السابقة لان الخاتمة فرع السابقة يتفرع
عنها بعد تخلل اسباب كثيرة فالخاتمة تظهر بما سبق في القضاء في لوح
الكتاب واليه الاشارة بما رواه الصادق عليه السلام قال خط لنا رسول
الله صلى الله عليه وآله الناس ثم رفع يده اليمنى فاضا بها على كفه ثم قال
اتدرون ايها الناس ما بين كفي قالوا الله ورسوله اعلم قال اسماء اهل الجنة
واسماء اباتهم وقبائلهم الى يوم القيمة ثم رفع يده الشمال فقال
ايها الناس اتدرون ما في كفي قالوا الله ورسوله اعلم فقال اسماء اهل النار
واسماء اباتهم وقبائلهم الى يوم القيمة ثم قال حكم الله وعدل حكم الله
حكم الله وعدل حكم الله فريق في الجنة وفريق في السعير وعنه عليه السلام قيل
يا رسول الله بم السعيد في بطن امه شقيا حتى يقول الناس ما اشبهه بهم وهو منهم
ثم تدركه السعادة وقد يسبق الشقي طريق السعادة حتى يقول الناس ما اشبهه

بهم بل هو منهم فيريد بذلك الشقاء ان من كشف له فهو سعيد وان لم
يقع من الدنيا الا التوقف فانه ختم له بالسعادة ولما الخائفون ما يغلب على
نفوسهم من المكروه لذاته فمنهم من يغلب عليه خوف سكرات
الموت وشدته او سوء الحكم او عذاب القبر او هول المطلع او هيبة
الموقف بين يدي الله والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير
او الخوف من الصراط وحدته وكمنيه الصور عليه او الخوف من النار و
اغلالها واهوالها او الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم ولقاء الرب
ومن نقصان الدرجات او الخوف من الحجاب عن الله وهو اعلى درجة
وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العابدين والزاهدين وكافة
العاملين ولا يخفى ان مقتضيات الشر يشتد باعانة على السعادة للاسعاد
كما ان لقاء الله سهل على من يحبه والامر في الدنيا
كذلك لا يحصل المحبة الا بالمعرفة ولا يحصل المعرفة الا بدوام الفكر ولا
يحصل الانس الا بالمحبة ودوام الذكر والمواظبة على الذكر و
الفكر لا ينفك عن حب الدنيا من القلب ولا يقلع ذلك الا بترك لذات
الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا يقمع
الشهوة كما تقمع نار الخوف فالخوف هو النار المقمع للشهوات فاذن
فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة وبقدر ما يكف عن المعاصي بحيث
على الطاعات ويختلف ذلك بحسب اختلاف درجات الخوف كما بيناه

فصل اعلم ان اسوء الخاتمة اسبابا مختلفة وترجع الى ثلثة امور
الاول وهو المخطر فهو ان يغلب على القلب عند سكرات الموت ظهور
اهواله اما الشك فلما الجهل وعدم اليقين الراسخ في تلك الحالة فيصير حجابا بينه

وبين الله تعالى ابدا وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد وسبب
ذلك لسان يعتقد الرسل في ذات الله وصفاته وافعاله خلاف الحق اما
رأيه ومعتقده واما بالتقليد فينكشف له عند سكرات الموت بطلان
ما اعتقده جهلا او حال الموت حال كشف الغطاء فيكون انكشاف بعض
اعتقاداته عن الجهل سببا للبطلان بقيته اعتقاداته او الشك فيها
فان انعتق فهو قد وصل هذه الخطرة قبل الزيغ وهو قليل اصل
الايمان معه ضعيف لما السوء وخرجت روحه على الشرك قال الله تعالى ولا
يراه ما الذين كفروا يحسبون وقال تعالى هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا
الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا او
البلة بمعزل عن هذا الخطر اعني الذين امنوا بالله ورسوله واليوم الاخر
ايمانا مجملا وذلك وجدان اكثر اهل البحبة البلة وعدم المنع من البحث و
النظر والخوض في الكلام والاكفاء بظواهر الشرع مع اعتقاد نفي التشبيه
وذلك لان المحظر بالبحث عن الصفات عظيم وعقباته كؤود ومسالكه
وعرة والعقول عن درك جلال الله قاصرة وهداية الله بنور اليقين من
القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا مجبورة وما ذكره الباحثون بطائفة
فضولهم المزجاة مضطرب ومتعارض والقلوب لما القي اليها في سبيل الاشارة
الغلة وبه ستعلقه والتعصبات الثائرة بين الخلق سلسلة موكلة للعقول
الموروثة او المأخوذة بحسن الظن من المعلمين في اول الامر بمقتضى الطباع بحب
الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا بعضها الغلة وعن
تمام المنكر صارفة فاذا اخذ باب الكلام وفاه وفي صفاته بالراي والعقل
مع تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في طباعهم وحرص كل جاهل

منهم على ان يأتي الكمال والاحاطة بكنه الحق ان يطلعنا الله سبحانه بما
يقع لكل منهم وتعلق قلبه بالوصول اليه وما كان قلبه
الالف فيهم وافسد اكثره طريق التخلص منهم فكانت سلامة
الخلوة ان يشتغل بالاعمال الصالحة ولا يتعرض للناس خارج عن حد الحاجة
الامر فيقهه الله في الدين ويعلمه التاويل ويشرق نور المكاشفة في قلبه فيكون
هو الكبريت الاحمر واما السبب الثاني فهو ضعف الايمان وهو الاصل الذي
استولى حب الدنيا على القلب وهو ما ضعف الايمان ضعف حب الله
وقوي حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله الا وهو
حديث نفس لا يظهر له اثر في مخالفة النفس والهوى عن وساوس الشيطان
فيورث ذلك الاقدام في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب وتضعف فيه
وينزاكم ظلمة الذنوب على القلب ولا يزال يطغى ما به من نور الايمان
حتى يصير طبعا وينا فاذا جاء سكرات الموت اوجاذب حب الله ضعيفا لما
يجده من استيحاشه فراق الدنيا وهي المحبوب الغالب على القلب فيتالم
القلب باستيحاشه فراقها للدنيا ويرى ذلك من الله فيضطرم صدره بانكاره ما
قدره الله من الموت فيخشى ان يثور فيخالطه بعض ذلك الحرف فان اتفق
زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطر فيها هذا الخطر فقد ختم له بالشر
فمن يحب في قلبه حب الله غالبا من حب الدنيا وان كان يحب الدنيا ايضا
فهو بعد بعض هذا الخطر ولا يحب الله الا من عرفه قال الله تعالى ان كان اباؤكم
وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون
كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا
حتى ياتي الله بامره واما السبب الثالث فكثرة المعاصي وان قوي الايمان

ذلك لان مقارفة المعاصي يسبها غلبة الشهوات ورسوخها في
القلب بكثرة الالف والعادة وجميع ما الفه الانسان في عمره يعود ذكره
الى قلبه عند موته فان كان ميله الاكثر الى الطاعات كان اكثر ذكره
عند الموت طاعة وان كان ميله الاكثر الى المعاصي غلب على قلبه
عند الموت ذكر المعاصي فربما تقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات
الدنيا ومعصية من المعاصي فيعذب بها قلبه ويصير محجوبا عن الله الذي
لا يقارن الذنب الا الغفلة عنه فمن بعد عن هذا الخطر وذلك
لانه كان الانسان مريضا في منامه جاء من الاحوال التي عهدها طول عمره
والف بها حتى انه لا يرى الا ما يائل بشاهدته في اليقظة فكذلك حاله
عند سكرات الموت وما يقدمه من الغشية فانه شبيه بالنوم وقد
مر منه فيقتضي في المتذكر المالوفات وعودها الى القلب فربما يكون غلبة
الالف سببا لان تمثل صورة فاحشة في قلبه ويميل نفسه اليها فمن بنا
يقبض عليها وهو ميكون ذلك سوء خاتمته وان كان اصل الايمان باقيا
ومن اراد ان يكف خاطره عن الاشتغال الى المعاصي والشهوات فلا طريق له
الا المجاهدة طول العمر في نظام نفسه عنها وفي قمع الشهوات من القلب
فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير
تخليه الفكر عن الشواغل به وفجيرة لها الذكر سكرات الموت فان المرء يموت
على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه كما ورد به الخبر وبذلك فضل
عربي الذكر كان يلقن عند الموت كلمتي الشهادة وهو يقول ضمنت لي اربعة
وكان مشغول القلب بالحساب الذي يطال الفكر له قبل الموت واما الخوف
عند الموت فاطرحه وينحط فقط وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله

ان الرجل ليحب الحجر حتى يحشر معه وان الرجل ليحب القوم فلا يستطيع ان يعمل بعملهم وان الرجل ليحب الرجل فلا يلحق به وان الرجل ليحب الرجل فيقصر به عمله فيدخل الجنة بحبه اياه وان الرجل ليحب الرجل

ولو عنى لا يطيقها الا لقائل شديد الشوق الى لقاء ربه لا يباله الا النظر الى وجهه
وقرة عينه لا يقر بدون ذلك ولا يطمئن لا دونها الا ترى كيف يسقى لا
تشفيه الاطباب وعنى لا يزيله الا القرب منه حتى لا يبرئه الا صحبته حتى
تلوى لا يجاده الا عقوبته وسواس يصدق لا يزيحه الا تسليطه واشتال هذا الباب
اد حبهما الكرمين ان يحبهما وعزا ابو الحسن عليه السلام ان الله تعالى
شرابا لاوليائه اذا شربوا سكروا واذا سكروا طربوا واذا طربوا ماتوا واذا ماتوا
ذابوا واذا ذابوا حلصوا واذا حلصوا طلبوا واذا طلبوا وجدوا واذا وجدوا
وصلوا واذا اتصلوا واذا اتصلوا الا فرق بينهم وبين حبيبهم فصل
اعلم ان الحب عبارة عن الميل الى الشيء الملائم فاذا يحصل بعد المعرفة بذلك
الشيء وادراكه اما الحواس او بالقلب فكلما كان المعرفة اقوى واللذة
اشد واكثر كان الحب اقوى والبصيرة الباطنة اقوى من البصر الظاهر و
القلب اشد ادراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل اعظم من جمال
الصور الظاهرة للابصار فيكون لامحالة اللذة الحاصلة بسبب ادراك الامور
الشريفة الالهية التي تصاغ عن ان يدركها الحواس اتم واعلى ويكون ميل
الطبع السليم والعقل الصحيح اليه اقوى فلا يكاد ان يحب الله تعالى
الانسان قدر ما يتصور في وسعه ادراكه بعين بصيرته وكما ان
الانسان يحب نفسه وكمال نفسه وبقاء نفسه ويحب غيره لاجل نفسه
وكمال نفسه وبقاء نفسه فكذلك قد يحب غيره لذاته لا لحظ يناله منه
ذاته بل يكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي الخالص الذي هو فوق كل
حب الجمال والحسن فان كل جمال فهو محبوب عند من يدرك الجمال وذلك لان
الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغير وجاو

وانا اصلها

لا تظن ان حب الصور الجميلة لا يتصور الا لاجل قضاء الشهوة بل
اخرى قد يحب الصور الجميلة لاجلها وادراك نفس الجمال ايضا لذيذ يجوز
ان يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري محبوبان
لا لشرب الماء او ليؤكل الخضرة او ينال منها حظ سوى نفس الرؤية وكان
رسول الله صلى الله عليه وآله يحب الخضرة والماء الجاري والطباع
السليمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة
الالوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل حتى ان الانسان ليتفرج عند
الغرباء النظر اليها لا لطلب حظ وراء النظر نعم الحسن والجمال ليس مقصورا
على مدركات البصر ولا على مناسب الخلقة اذ يقال هذا صوت حسن و
هذا مثل حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وليس شيء من
هذه الصفات مدركا بالبصر بل ليس الحسن والجمال مقصورا على مدركات
الحواس بل اكثر من خمسة اضعافها مدركات البصيرة الباطنة وآية ذلك ان
الطباع السليمة مجبولة على حب الانبياء والائمة عليهم السلام مع انهم لم
يشاهدوهم حتى ان الرجل قد يحب رجلا صاحب مذهب العشق فيحمله
ذلك على ان ينفق جميع امواله في نصرة مذهبه والذب عنه ويحاطر
بمهجته فيقال من يطمئن بي امامه ويشرع وجاء فلان الخير ترجع الى العلم
والقدرة وهما محبوبان بالطبع وغيرهما محبوب لسبب الحواس اذ الماء وصف الناس حاتما
بالجود وعليا عليه السلام بالشجاعة احبهما القلوب بجبلتها وليس ذلك
عن نظر الى صورة محسوسة ولا لحظ حظ ما اله المحب منه ومن كانت البصيرة
الباطنة اغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة اكثر من حبه
للمعاني الظاهرة فتكل حب اما ان يحب نفسه او يحب غيره ومحبة الغير

فائدة في الشهوة

لما لحسنه وجماله او لاحسانه وكماله او لمجانسة بينه وبين المحب او لمجانسة
التشريفي اشد واقوى لان المحبة انما تكون بقدر الملائمة والمعرفة
لاشئ اشد ملائمة لاحد من نفسه ولا هو الذي اقوى معرفة منه بنفسه
ولهذا اصل معرفة كل نفس نفسها لمعرفته بربه وبوجود كل بعد فرع لوجود
ربه وظل له فمحبة نفسه ترجع الى محبة ربه وان لم يشعر المحب بربه
واما محبة الغير لحسنه وجماله او لقربه من احد وكماله فذلك لان الجمال
محبوب لذاته سواء الجمال الظاهر الصوري او الباطن المعنوي وكذا
الكمال والمراد هو الجميل لذاته والكامل بذاته كل ما يلتذ بحسنه من جمال او كمال
كجمال وكمال الفرع كالولد فانه احب شئ غير خالقه ولكنه احتجب عنه تحت حجب
الاسباب واستار الاسباب وكذا الكلام في محبة الغير للاحسان فان
الاحسان ايضا محبوب لذاته سواء كان مسديا الى المحب او لا والاحسان
الامن الله ولا محسن سوى الله جل شانه فان خالق الاحسان وهو به
وجاعل اسبابه ومواده كل محسن فهو حسنة من حسنات قدرته
وحسن فعاله وقطرة من بحار كماله وانما محبة الغير لمجانسة
فذلك لان الجنس يميل الى الجنس سواء كانت المجانسة لمعنى ظاهر كالاب
الصوفي يميل الى الصبي لصباه او لمعنى خفي كما تقول بين شخصين من غير ملاحظة
جمال ولا طمع في جاه او مال فان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها
ائتلف وما تناكر منها اختلف ومعنى المحبة فرع لمحبة النفس فترجع
الى محبة الله كما عرفت فضل كل وجه ما تعلق المحبة الا الله والا ما
لا يعرف ذلك الا اولياؤه واحباؤه كما اشار اليه سيد الشهداء عليه السلام
في دعاء عرفة بقوله وانت الذي ازلت الاغيار عن قلوب احبائك حتى لم

يحبوا سواك ولم يلتجأوا الى غيرك فسبحان من احتجب عن ابصار العيان
غيرة على جماله وجلاله ان يطلع عليه الا من سبقت له منه الحسنى الا ترى
عن نار الحجاب سعدون وزلال الخاسرين في ظلمات الغرة يغمهون وفي
مسارح العبوسات وشهوات البهائم يترددون يعلمون ظاهرا من
الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون
فصل اعلم ان اجل اللذات واعلاها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه
الكريم وانه لا يتصور ان يوثر عليها اللذة اخرى الا من حرم هذه اللذة
ذلك لان اللذات تابعة للادراكات والانسان جامع لجملة من القوى و
الغرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها مقتضى طبعها التي خلقت له
فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلذتها في الغلبة و
الانتقام وغريزة شهوة الطعام خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام
فلذتها في نيل الغذاء وهكذا سائر الغرائز وفي القلب غريزة تسمى
البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين يعلم بها حقايق
الامور كلها فقد سمي طبعها المعرفة والعلم والعلم من اخص صفات الربوبية
وهو منتهى الكمال ولذلك يرتاح الطبع اذا اثني عليه بالذكاء وغزارة
العلم لا ترى شعرا عند سماع الثناء كذكاء ذاته وجمال علمه فيجد نفسه واجدا
به ثم ليس لذة العلم بالجراءة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك ولا
لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله وصفاته وملائكته وملكوت السموات
والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلوم وشرف العلم بقدر شرف المعلوم
فان كانت العلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم
بها لذاتها علوم لا محالة واشرفها واطيبها ولست اعني بقولي هذا ان

اجل ما علم واشرف ما كمل من نحل الاشياء كلها ومكملها ومبرها
ومسديها ومعيدها ومبديها ومرتبها فينبغي ان نعلم ان لذة المعرفة
بالله اقوى من سائر اللذات لان لذة المعرفة لمن عرف الله عرف
ان اللذات المقرونة بالشهوات التي تشاركها تسلب بحدة هذه اللذة
كما قيل كانت افعالها اهواء مفرقة فاستجمعت اذ نالت العين اهوائي فصار
يسعدني من تركت اسعده فصرت شغلي الوري اذ صرت مولاي فتركت الناس جميعا
وصيرهم شغلا بذكري ايادي وصنايعي يشغل اعلم انه لا فرق في
الرؤية بين الدنيا والاخرة فكما انه لا يجوز رؤيته الله سبحانه في الدنيا
بالعين والبصر كذلك لا يجوز رؤيته في الاخرة بالعين والبصر وكما انه يجوز
رؤيته في الاخرة بالقلب والبصيرة لاهل البصائر اعني غاية الانكشاف في
الوضوح بحيث يتأدى الى المشاهدة والقاء كذلك يجوز رؤيته في الدنيا بهذا
المعنى والحجاب بينه وبين خلقه ليس الا الجهل وغلبة المعرفة عن القلب
فان اولياء الله يشاهدونه في الدنيا في جميع احوالهم ومعرفتهم ليلا ونهارهم كما قال
امير المؤمنين عليه السلام صنديدهم رؤية اي مشاهدة لا الرؤية
هو والملائكة اولوا العلم وقال لا كمن يمشي بالجوى وعمر يعلو في قمم
مشهد المشاهدة لهم في جميع احوالهم كما ذكر يقوله عز وجل وايما
تولوا فثم وجه الله وقال هو الاول والاخر والظاهر والباطن فوصف الكل
وقال ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى
من ذلك ولا اكثر الا هو معهم فلما تحقق اولياء الله بمعاني هذه الايات
شاهدوه باعين قلوبهم سئل امير المؤمنين عليه السلام هل رأيت ربك
حين عبدته فقال ويلك ما كنت اعبد ربا لم اره قيل وكيف رأيته قال

ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الابصار ولكن رأته القلوب بحقايق
الايمان وقال لابنه الحسين سيد الشهداء كيف يستدل عليك يا ابه
في وجوده ومتى فقد الباب ليكون اعيد لمن الظهور وما ليس لك متى يكون هو
المظهر لك متى غبت حتى تحتاج الدليل يدل عليك ومتى بعدت حتى يكون
الاثار هي التي توصل اليك عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيبا وخسرت
صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا وقال ايضا عرفت كل شيء
فاجبهالك شيء وقال عرفت الاشياء بك في كل شيء مراياك ظاهر لي في كل شيء فانت
الظاهر لكل شيء الى غير ذلك مما ورد عنهم عليهم السلام في هذا المعنى نعم
يكون بين رؤية الانكشاف في الاخرة بقدر زيادة صفاء القلوب وكما انها
تتغير بها عن العلائق الدنيوية وروي شيخنا الصدوق طاب ثراه باسناده
عن ابي بصير عن الصادق عليه السلام قال قلت له اخبرني عن ابي عبد
الله هل رأى ربه المؤمنون يوم القيمة قال نعم وقد رأوه قبل يوم القيمة قلت
متى قال حين قال لهم الست بربكم قالوا بلى ثم سكت ساعة ثم قال وان
المؤمنين لفي رؤيته في الدنيا قبل يوم القيمة الست تراه في وقتك هذا قال
ابو بصير فقلت له جعلت فداك فاحدث بهذا عنك فقال لا فانك اذا
حدثت به فانكر وسكر جاهل يغتر بما نقول ثم فقدان ذلك تشبيه كفر
والبات الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين تعالى الله عما يصفه المشبهون والملحدون
اراد عليه السلام بالمشبهين والملحدين اصحاب البتة والعدوي فانه عرف
ان الله سبحانه يجوز رؤيته بهذه العين في الاخرة وان لم تجز في الدنيا
وان المؤمنين يرونه يوم القيمة بالبصر كما يرون القمر ليلة البدر وقد
سئل الصادق عليه السلام عما ورد عن الرؤية فقال الاشعر جزء من سبعين

من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزءا من نور العرش والعرش جزء
من سبعين جزء من نور الحجاب والحجاب جزء من سبعين جزء من نور الستر
فان كانوا صادقين فما يمنعهم من النظر اليه دون هذه الحجب

فصل

اعلم ان النظر هو اتصال المحبة وتقويتها ثم استعداد الرؤية واللقاء
تحصيل العزة وتقويتها وذلك بتطهير القلب من شواغل الدنيا وعلائقها
والتبتل الى الله بالذكر والفكر ثم اعلم ان حب غير الله منشأه فان القلب مثل
الاناء الذي لا يسع الماء مثلا فاذا ملئ بالماء المجرد منه الماء وما جعل الله لرجل
قلبين في جوفه وكمال المحبة ان يحب الله بكل قلبه بحيث لا يبقى في غيره
فراغة من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه
حب الله الا ان يكون الثناء الى الغير من حيث انه صنع الله وفعل الله
ومظهر من مظاهر اسماء الله والى هذا التفريد والتجريد الاشارة بقوله تعالى
قل الله ثم ذرهم وذلك انما يكون بغلبة الشوق وهو استكمال الوصف فيما
اتضح اتضاحا ما والتشوف الى ما بقي من المطلوب بما لم يحصل فان الشوق انما
يتعلق بما ادرك من وجه ولم يدرك من وجه وهو انما يكون بعد الامر بترك
لانهاية له لان الانسان مهما حصل لا نهاية لدرجاته وكذا الازدياد فيما يقرب
من جمال الله وجلاله لا سيما حال له بل مع حصول اصل الوصال يجد ايضا شوقا
لذيذا لا يظهر فيه الم الشوق لانه كيف يتعذب لاسباب من يرقى من درجات
كثيرة فيسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا وفي الصحاح
الشريعة قال الصادق عليه السلام الشتاق لا يشتهي طعاما ولا يلتذ شرابا
ولا يستطيب رقادا ولا يأنس بها ولا يأوي دارا ولا يسكن عمرانا ولا يلبس ثوبا
ولا يقر قرارا ويعبد الله ليلا ونهارا راجيا ان يصل الى ما اشتاق اليه وتاق

بلسان شوقه معبرا عما في سريرته كما اخبر الله عن موسى بن عمران في مناجاة
ربه بقوله وعجلت اليك رب لترضى وقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم
انه ما اكل ولا شرب ولا نام ولا اشتهى شيئا من ذلك منذ ذهابه ومجيئه
اربعين يوما شوقا الى ربه فاذا غلب سيد ان الشوق فكر على نفسه
مرآة من الدنيا وجمع المالوفات والمحرم عن سوى مشوقه ولب بين جوانحه
ومثل له السبيل الذي هو اعظم الله تعالى الجزء ومثل الشتات مثل الذي
لبرله منه الاخلاص وقد نفى كل شيء دونه والاخبار الواردة في شوق لقاء
الله تعالى اكثر من ان تحصى وقد مرت الاشارة الى بعضها في اوائل المحبة والانس

فصل

اعلم ان الانسان اذا غلب عليه التظلم من ورطة الغيب الى
منشإ هي الجهال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب الى
الطلب حتى يرجع لجعاجه اليه فسميت هذه الحالة والانزعاج شوقا وهو
بالاضافة الى الرغائب والشوق الى ما بقي من المطلوب بعد الوصال فان الشوق انما
يتعلق بما ادرك من وجه ولم يدرك من وجه وهو انما يكون بعد الامر بترك
لانهاية له لان الانسان مهما حصل لا نهاية لدرجاته وكذا الازدياد فيما يقرب
من جمال الله وجلاله لا سيما حال له بل مع حصول اصل الوصال يجد ايضا شوقا
لذيذا لا يظهر فيه الم الشوق لانه كيف يتعذب لاسباب من يرقى من درجات
كثيرة فيسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا وفي الصحاح
الشريعة قال الصادق عليه السلام الشتاق لا يشتهي طعاما ولا يلتذ شرابا
ولا يستطيب رقادا ولا يأنس بها ولا يأوي دارا ولا يسكن عمرانا ولا يلبس ثوبا
ولا يقر قرارا ويعبد الله ليلا ونهارا راجيا ان يصل الى ما اشتاق اليه وتاق

الفلن الاخذ الغيان لان الحب يوجب تقديمه كلام المحبوب وعدم به
ذكره فيخرج من القلوب عند به ماسواه وان خالطها نادر كان كسفر في
جماعة وبحجة في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة و
غائب في حضور وهذا لصاحب مستغرق القلب مستغرق بعبوديته الله
قال امير المؤمنين عليه السلام في وصف من هو دونه ممن هجم بهم العلم على
حقيقته الامر فباشر وا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون
وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة
بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه
اعلم ان الانس اذا دام وغلب واستحكم ولم يشبه قلق الشوق ولم
ينغصه خوف البعد والحجاب فانه يثمر نوعا من الانبساط في الاقوال و
الافعال والمناجاة مع الله سبحانه وقد يكون منكرا يجب العقوبة عليه
من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن اقيم مقام الانس ومن لم يقم في
ذلك المقام وتشبه بهم في الفعل والكلام هلك واشرف على الكفر
مثاله ما حكي ان رجلا من الاسود الذي امر الله تعالى كليمه موسى ان يسافر
لبني اسرائيل بعد ان قطعوا سبع سنين وخرج موسى في سبعين من العلماء
الله عز وجل اليه كيف استجاب لهم وقد ظلمت عليهم ذنوبهم سرا يهم
خبيثة يدعوني على غير يقين ويأسون مكري ارجع الى عبدي رجاء وقد
لم يرخ خياله بخروج حتى استجاب له فسأل عنه موسى فلم يعرفه فبينما موسى
ذات يوم يمشي في طريق اذا بعبد اسود قد استقبله بين عينيه تراب
اثر السجود في سهلة قد عقد ما على عنقه فعرفه موسى بنور الله تعالى فسلم
عليه فقال ما حاجتك الي فقال مات طفلنا مستجين واستولى

فخرج فقال في كلامه ما هذا من ضلالك ولا هذا من حلمك وما الذي
بدا لك انعصت عليك عيونك ام عائدتك الرياح عن طاعتك ام فقد
ما عندك اراشد عقلك على المذنبين استكبرت غفار اقبل على
الخطائين خلقتهم الزلة وامرت بالعطف عليهم انك ممتنع ام تخشى الفوت
فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى اخضلت بواسر اليأس بالعطر وابت اليه
عز وجل العذر في مقصده حتى بلغ الركب قال فرجع يرخ فاستقبله
موسى فقال كم مدة لبثت حين خاصمت ربك كيف انصفك وفهمك من حيث
فاوحى الله عز وجل اليه ان ربك يضحك كل يوم ثلثمائة مرة واعلم ان
الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون البعض فرب انبساط الا من
قول موسى ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقوله
الفعال والاستذلال ما قيل له اذهب الى فرعون انه طغى فقال وطمعي ان
يتذكر او يخشى وقوله اني اخاف ان يقتلون وقوله رب اشرح لي صدري وقوله انا نخاف ان يفرط علينا
او ان يطغى وهذا من غير موسى من سوء الادب لان الذي اقيم مقام الانس
بالطف وعتاب ولم يحتمل لبوخر ملوت هذا لما ان اقيم مقام الغضب والهيبة
فعرقب بالحبن في بطن الحرث في ظلمات ثلث فغوري عليه الى يوم الحشر الا
ان تأديبه من تبدل بالعراء وهو مذموم ومرمي بينما اصل الله عليه
والدان يقتدي به فقيل له واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ
نادى وهو مكظوم وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الاحوال و
المقامات وبعضها لما سبق في الازل من التفاضل والتفاوت في الرتبة
بين العباد قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعض النبيين على بعض وقال منهم من
كلم الله ورفع بعضهم درجات وكان محمد صلى الله عليه وآله وسلم افضل النبيين

ولا دلالة سلم على نفسه فقال والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت
ويوم ابعث حيا وهذا الساطع منه لمن شاهد من اللطف في مقام
الانس واما يحيى بن زكريا فانه اقيم مقام الصبية والحياء فلم ينطق حتى
سلم عليه خالقه فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم
يبعث حيا وانتزكيا احتمال الاخوة يوسف ما فعلتم بيوسف وقد قال
بعض العلماء قد عدت شعر اولاد يعقوب انهم الوا ليوسف واخوه واحب
الى ابينا منا الى باخر العشرين آية من اخبار الله تعالى عن هذا الامر في بضعة
اربعين خطيئة بعضها اكبر من بعض وقد يجيء في الكلمة الواحدة البيت
والاربع فنعفيكم وعفا عنهم ولو تحتمل العزيز مسئلة واحدة سال عنها
في الف سنة حتى قيل ان عادي ابن عاد حي ابنه عن ديوان النوة وهذا التحص
اورد ت في القرآن ليعرف بها سنا من في عباده الذين خلوا من قبل انا في
القرآن شيء الا وهو هدى ونور وعرف من الله تعالى الى خلقه فصل
ولما محبة الله سبحانه لعبده فهي جميع معناه الى كشف الحجاب عن قلبه حتى
يراه بقلبه على التمكن منه اياه من القرب اليه والى ازالة ذلك بتولي الاول
والى تطهير باطنه من حلول الغير به وتخليته عن غير الله حتى تحول بينه وبين
مولاه حتى لا يسمع الا بالحق ومن الحق ولا يبصر الا به ولا يطق الا بذكره وفي
الحديث القدسي ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احببته فاذا احببت
كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به فيكون
تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله
في درجة القرب من ربه وكل ذلك من فضل الله ولطفه به قال الله
تعالى يحبهم ويحبونه وقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا

وقال ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال رسول الله
صلى الله عليه وآله ان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي
الايمان الا من يحب وقال اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه و
ان سخط اصطفاه وقال اذا احب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه
وزاجرا من قلبه يامره وينهاه واخبر علامة انه احبه الله فان ذلك يدل
على حسبانه عز وجل واما الفعل الدال على كونه محبوبا وهو ان يحب الله
تعالى امر ظاهر وباطن سر وجهر فيكون هو المشير عليه والمدبر
لامره والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والسد لظاهره وباطنه فيما
يسره عاجلا وآجلا والمبغض للدنيا في قلبه والوحش من غيره والانس له
بدله المناجاة في خلواته والمكاشفة له عن الحجب بينه وبين معرفته فصل
اعلم ان اظهر الموجودات اجلاها هو الله سبحانه وتعالى هو الموجود
بذاته وباسره موجود به قال الله سبحانه الله نور السموات والارض و
النور هو الظاهر لنفسه المظهر لغيره وسبيل الادراك هو الذي به المدرك
انما هو الوجود فكل ادركته فانما تدرك وجوده وان لم تشعر بذلك واما
ضلال طائفة ذلك لغاية وضوحه ولا تحجب من اختفاء شيء بسبب ظهوره وقال
الاشياء انما قسمان باطن بذاتها وباسم وجوده حتى لا يعلم له سر ادراك
ولو اختلفت الاشياء دل بعضها على الله سبحانه وتعالى دون بعض ادرك التفرقة
على قرب ولما اشتركت في الدلالة على شيء واحد اشكل الامر مثاله الشمس
الشرق على الارض فانا نعلم انه عرض من الاعراض يحدث في الارض ويزول عنه
غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراق لاعتقد بها الكافة ان لا
هيئة في الاجسام الا الوانها فاما الضوء فلا يدرك وحده ولكن لما غابت

الشيء واظلت الموضع ادرك تفرقة بين الحالتين فعلمنا ان الاجسام
قد استضاءت بضوء قارنها عند الغروب فتعرفنا وجود النور بعدمه وما
كنا نظلم عليه لولا عدمه الا بعد رشد يدرك ذلك المشاهد بنا الاجسام
متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور وبعد مع ان النور اظهر المحسوسات
اذ هو بدليل سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره فكيف
كيف استتر امره بسبب ظهوره لولا الاعراض عنه فاذن الحق سبحانه هو
اظهر الاشياء وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم او غيبة او
تغير لانتهت الموجودات الا عن وبطل الملك والملكوت ولادرك
التفرقة بين الحالتين ولو كان بعض الاشياء موجودا به وبعضها ولا
بغيره لادرك التفرقة بين الشيئين في الدلالة ولكن كل شيء عاصفة
الاشياء على نسق واحد وعجز دائرة الاحوال بسبب خلافه ظاهر
او بدت شدة الظهور بخفاء خفي لاضراب الظهور وتعرجت
قوم لفاقتهم وحظ عين الزيغ من نور وجهه لسوء تحظ العين الحوراء
قال امير المؤمنين عليه السلام لو تحظ به الانعام لاخذ كل واحد منها
منها ما قدر له على ظاهر غيب وغائب ظهور وقال لا تجد العلوم على الظهور
ولا يقطعه الظهور عن البطون قرب فنائي وعلا فدنى وظهر فبطن
بطن فعلن ودان فاملى ظهر وغلب ولد وغلب وبرز فتاليا عرفت
امة بحجبه بين الاضداد الملك الظاهر في اليقين والتوكل قال الله تعالى
وبالاخرة هم يوقنون وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما اقل ما
اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اوتي حظه منهما لم يبال ما فاته من
صيام النهار وقيام الليل وقال ما قيل ليعمل حسن اليقين كثير الدعة

ويعمل مجتهدا لعادة قليل اليقين فقال ما ادعى الايمان ذنوب
ولكن بركان غزيرة العقل وصحيحة اليقين فمثال ما ادعى الايمان ذنوب لانه
كلما اذنب اذنبا تاب واستغفر منه فكفر ذنوبه بيقينه فضل بدخل
به الجنة وقال البقين الايمان كله وفي وصيته لهمام لابنه ما يخلط
العمل الا اليقين ولا يعمل الرياء الا بنقصه يقينه ولا ينقص عامل حتى ينقص
يقينه وقال الصادق عليه السلام قال لبس شيء شيء الا وله حد قيل فما حد اليقين
قال البقين قبل واحد القرون قال ان لا تخاف مع الله شيئا وقال عليه السلام
من صحت نيته قبل المسلمين لا يرضى الناس بسخط الله ولا يلومهم بما لم يؤتهم
الله فان الرزق لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره ولو ان احدكم
فر من رزقه كما يفر من الموت لادركه رزقه كما يدركه الموت ثم قال ان الله
تعالى بعدله وقسطه جعل الروح والراحة في اليقين والرضا وجعل الهم
والحزن في الشك والسخط وقال عليه السلام يقوله ولا يلومهم على ما لم يؤتهم الله
ان لا تكرهوا على ترك معاصيهم اياه بالمال وتخوفوا ان ذلك شيء لم يعطه الله
ولم يرزقه اياه ومن كان من اهل اليقين عرف ان ذلك كذلك فلا يلوم
احدا على الدنيا وعرف ان خلاص ما افترضه فانه يجب استيفاؤه وصار وجهه
حكمه في امره وقال عليه السلام ان العمل الدائم القليل على اليقين افضل
عند الله من اكثار من العمل الكثير على غير يقين وقال عليه السلام قال لكان امير
المؤمنين صلوات الله عليه ما قبل لا يجد عبد طعم الايمان حتى يعلم ان ما
اصابه لم يكن ليخطئه وان ما اخطأه لم يكن ليصيبه وان الصانع الثابت هو
تعالى وقال عليه السلام جلس الى حائط مائل يقتضي ان الناس فقال
بعضهم لا تقعد تحت هذا الحائط فانه مائل فقال امير المؤمنين عليه السلام

من امر ما احبابه فاما ما سقط العايط قال وكان امير المؤمنين صلوات
الله عليه مما يفعل هذا واشباهه وهذا اليقين وعنه عليه السلام
قال كان قنبر غلام علي يحب عليا حبا شديدا فاذا خرج علي صلوات الله
عليه خرج على اثره بالسيف فراته ليلة وقال يا قنبر ما لك قال
جئت لامشي خلفك يا امير المؤمنين قال ويحك امن اهل السماء تحرسني
او من اهل الارض قال لا بل من اهل الارض فقال ان اهل الارض لا يقدرون
ان يقتلوني الا باذن الله من السماء فانصرف قنبر ورجع وقبل الله عليه السلام ان
تكلم بهذا الكلام والسيف بقطر بها فقال ان الله تعالى وادبا من
حماه باضعف خلقه الفعل فلو ورد الخلق لم يصل اليه يعني بالسيف
سيف السلطان وعنه عليه السلام كان في الكنز الذي قال الله تعالى
وكان تحته كنز لهما كان فيه لوحا من ذهب عجبت لمن ايقن بالرزق
كيف يتعب وعجبت لمن ايقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها
باهلها كيف يركن اليها فصل اليقين ان يرى الاشياء كلها من الله
ولا يلتفت الى الوسايط بل يرى الوسايط كلها مسخرة لامر الله الثقة
بضمان الله سبحانه للرزق وان ما قدره سيصل اليه فاجمل في
طلبه فان من جهل شيئا قال قد غيره ومن جهل شيئا قال قد تغير ومن لم يعلم
بان الله مطلع عليه وفي كل حال وشاهد لسره يعلن ضميره ويحفظ باطن الحكم
فيكون مستاديا وتوجيع احواله واعماله مع انفسهم بانه فيكون مسالفته
في عيان باطنه وتطهيره وتزيينه لعين الله كالذي ابدى من مسالفته
في تزيين ظاهره لساير الناس وفي مصباح الشريعة قال الصادق
عليه السلام اليقين بوصل العبد الى كل حال سني ومقام عجيب كذلك

لخبر رسول الله صلى الله عليه واله عن عظم شان اليقين حين ذكر
عنده ان عيسى بن مريم كان يمشي على الماء فقال لو زاد يقينه لمشى في الهواء
فدل بهذا ان الانبياء مع جلالة محلهم منزلة كانت بتفاضل على حسب
اليقين لاغير ولانهاية لازدياد اليقين على الابدال والمؤمنون ايضا متفاوتون
في قوة اليقين وضعفه فمن هنا نهم يقينه فعلامته التبري من الحول
والقوة الا بالله والاستدلال على امر الله وصفاته ظاهرا وباطنا قال الصادق
عليه السلام العلم والوجود والزيادة والنقصان والمدح والذم والعز
والذل لله تبارك وتعالى من عين واحدة ومن ضعف يقينه تعلق الانسان
وتصرفه بعلل الخلق واتباع العادات وتأويل الناس بغير حقيقة والسعي
في امور الدنيا وجمعها واسكانها مقرا للسان انه لا مانع ولا معطي الا الله
وان العبد لا يسبب الا ما رزق وعتم له والجهد لا يزيد في الرزق و
ينكر ذلك بفعله وقوله قال الله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم
والله اعلم بما يكتمون وانما عطف الله العلم بالكتمان حيث اذن لهم في الكذب
والحركات في باب العيش والمعيشة واحدة ولا يتركوا من فرايضه
سننه شيئا في جميع حركاتهم ولا بعده ولا بعض محجة التوكل ولا يتقدموا في سبل
الخير بين يدي اذا ذلك وان تجلوا خلاف ما عندهم كانوا من الهالكين
الذين ليس معهم في الحاصل الا الدعاوي الكاذبة وكل مكتسب لا يكون متوكلا
فلا يستطيب من كسبه الى نفسه الا حراما وشبهة وعلامته ان يوثر ما
يحصل من كسبه ويجمع ويمنع في سبيل الدين ولا يبذل والمأذون بالكسب
مركان زينه مكتسبا وقلبه متوكلا وان كثر المال عنده فهو بمنزلة الامين على المال
بان يكون خلقه فوته سواء وان اسلم له مسلقه وان انفق انفق فيما امره الله تعالى

ويكون منعه وعطاؤه في الله **فصل** التوكل منزل من منازل الدين وهو مقام من مقامات الموقنين ولا يكون ولا يتم حال من احوال المقربين وهو فرض ناهض من حيث العلم ثم هو رسالي من حيث العمل وهو عزيز منه من حيث العلم لان حقيقة الاسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد والشاهد منها بالكلية طعن في العلم وقدح في الشرع والاعتماد على الاسباب نقصان في الفهم والجهل قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال ايضا فهو حسبه وقال ان الله يحب المتوكلين فاحظهم بمقام من هو يحبه الله حسابه وحسبهم بكفاية الله لانه فان المحبوب لا يعذب ولا يعذبه ولا يحبه قد قال الله لابراهيم عليه السلام وحبيبه وكان صدقه مطالب الكفاية من غير مزاحم التوكل وهو المكذب بهذه الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وترجع بطانا وقال من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها قال من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق منه بما في يده وعن الصادق عليه السلام اوحى الله تعالى الى الدنيا اخدمي من خدمني واتعبي من يخدمك دون احد من خلقي عرفت ذلك من نيته ثم تكيده السموات والارض ومن فيهن الا جعلت له المخرج من بينهن ومن اعتصم بعبد من عبادي دون خلقي قطعت اسباب السموات من يديه واسخت الارض من تحته ولو اتاك بأي واد هلك وعنه عليه السلام ان الغنى والعز يجولان فاذا ظفرا بموضع التوكل اوطنا وعنه عليه السلام انزع واتعب الكسلان افتقا تقول معرفتي بعجلتي ومحبتي وارتفاعي على عرشي لا تقطعن امل كل مؤمل غيري

باليأس ولا كسوته ثوب المذلة عند الناس ولا تخيبه من قربي ولا تعدنه من وصلي ايؤمل غيري في الشدايد والشدايد بيدي ويرجو غيري ويقرع الفكر باب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني فرزقي الذي تكفلت لعبادي قد قطعته دعاء مني حجبت امل عبادي عني فجعلوه فلم يرضوا بحفظي وملأت سمواتي ممن لا يمل من تسبيحي واسترتهم ان لا يغلقوا الابواب بيني وبين عبادي فلم يغلقوا ابوابهم ولم يرتجوا بي فاقته نائبة من نوائبي الا بملك كشفها احد غيري فما بالي اعطي السئلة ثم اسأل فلا اجيب سائلي ابخيل انا فيتخايل اليك عبدك او ليس الجود والكرم لي او ليس العفو والرحمة بيدي او ليس انا محل الامال فمن يقطعها دوني افلا يخشى الموملون ان يؤملوا غيري فلاوزن اهل سمواتي وارضي اهل ارضي املت جميعا فاعطيت كل واحد منهم مسئلة ما انتقص من ملكي مثل عضروفة وكيف ينقص ملك انا قيمه فيا موسى للقانطين من رحمتي ويا موسى المزعصاني ولم يراقبني **فصل** اعلم ان من اعتقاد ان جاه ما ينال الا بعمل او مال او شفاعة احد او قوة نفسه او حيلته فقد اشرك في توحيده ان الامر كله لله وان لا حول ولا قوة الا بالله وان لله تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد والانفراد وانه ليس دونه منتهى قدرة ولا وراء منتهى علم ولا وراء منتهى عنايته عناية اتكل لانحاله قلبه على الله وحده ولم يلتفت الى غيره برجوعه ولا الى نفسه ومن لم يجد ذلك من نفسه فبه احد امرين اما ضعف اليقين واما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانما جاء بسبب الارهام الغالبة عليه فان القلب قد يزعج تبعا للوهم وطاعته له من غير رضا واليقين كان زعجان بيت مع ميت في قبر او عرش مع عدمه تفرقه عن ميت

الجماد اما التوكل لا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما يحصل
سكون القلب وطمانينته فالسكون في القلب شيئ واليقين شيئ اخر فكم
من يقين لا طمانينة معه كما قال تعالى لخليله اولم تؤمن قال بلى ولكن
ليطمئن قلبي وكم من طمانين لا يقين له كاكثر ارباب الملل والمذاهب
فان اليهودي مطمئن القلب الى عوده وكذا النصراني والمبتدع بما اعتقده
وانما يشعر بالظن بما تهوى الانفس وما تهواه من بديع المذهب وحسن
اليقين الا نادر ممن عصمه الله تعالى وهذا كله كلام عليه السلام في قوله اعقلها
ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال التوكل على الله درجات منها ان يتوكل
على الله في امور لم يتكلها فما فعل بل تكفل عنه بما اقتضاه انه لا اله الا هو
وفضله وعلم ان الحكم في ذلك له فتوكل على الله بمعنى وضع الحال عليه في
يديها وفي غيرها وفعل سائر درجات التوكل الذي يتوكل على الله في بعض اموره
دون بعض وتعدد ها بحسب كثرة الامور المتوكل فيها وقلتها فصل
اعلم ان الناس من يظن ان معنى التوكل ترك الكسب باليدين وترك العمل
بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة والرمل على الوجه وهذا ظن
الجهال فان ذلك حرام في الشرع فان الانسان مكلف بطلب الرزق الا ترى
الى هذا الذي اشار اليها من زراعة او تجارة او صناعة او غير ذلك مما اعلمنا الله
وكما ان الصلوة والحج عبادات كلف الله عباده بها عبادة يتقربون بها اليه كذلك
طلب الرزق الحلال عبادة كلفهم الله به ليتقربوا بها اليه واعلم ان افضل
العبادات كما بيانه في الباب الاول من المقالة الثالثة ولكنه سبحانه
كلفهم ايضا بان لا يشقوا الا بجلب خير او بشقوا بالاسباب كما انه سبحانه
كلفهم بان لا يتكلوا على اعمالهم الحسنة بل بفضل الله تعالى فمعنى التوكل انما

والسلام

بسنة الشرع الاقدس هو اعتماد القلب على الله تعالى في الامور كلها وهو
انقطاعه عما سواه ولا ينافيه تحصيل الاسباب اذا لم يكن بها تكن
سكونه الى الله تعالى ودونها مع ان يوقنه الله مطلوبه من حيث لا يحتسب
دون هذه الاسباب التي حصلها وان يقطع الله هذه الاسباب عن
مسبباتها سواء كانت اسباب نفع متوقع او لدفع ضرر منتظر او لازالة
اذى واقعة وسواء كانت منقطعة بها كما في اسباب الطعام ليصل الى الفم او
منوطة كحمل الزاد للسفر واتخاذ السلاح للعدو واتخاذ الصناعة للتجارة
والانصار لنصرة الاصطبار والتداوي لازالة المرض والتحرز عن النوم في
مكمن السباع وعمر السبل وتحت الحائط المائل وعلق الباب وعقل البعير و
نحو ذلك مما الرسوم بها كالرقية والطيرة والاستقصاء في قعايق التدبير
فيبطل بها التوكل لان امثال ذلك ليست باسباب عند العقلاء الا بالنسبة
مما امر الله بها مأمور بها ونهى عنها منهي عنها لان المأمور به الاتيان في الطلب غاية
الاستقصاء وترك الاستقصاء قال النبي صلى الله عليه وآله الا ان روح
الامين نفث في روعي انه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله
واجملوا في الطلب وقال عليه السلام في الطلب من تركه اجحف وقال الصادق
عليه السلام ليكن طلبك لمعيشتك فوق كسب المضيع ودون طلب الحريص
الراضي بدنياه المطمئن اليها ولكن ارفع نفسك عن ذلك تنزل المنصف الشريف
ترفع نفسك عن مزالق الواهن الضعيف وكتب ما الى بعض اصحابه ان الذي
اعطاك المال قد لم يكرها على الامال لهم وقال اذا اخذت مالك وضيعت
باطلك فقد قضيت ما عليك وانما لا يبطل التوكل بالاسباب المقطوعة
والمظنونة مع ان الله تعالى قادر على اعطاء المطلوب بدون ذلك لان الله

سبحانه او ان يجري الاشياء الا بالاسباب كما قال الصادق عليه السلام
واصحابه لعباد ان يطلبوا منه مقاصدهم بالاسباب التي سببها لذلك
وامرهم بذلك قال فقطعا اخذ لعدة كرونة ان يتركه فيه مساوة الخوف
ولما اخذوا عدتهم واسلحتهم وقال واحد منهم ما استطعتم من قوة و
من رباط الخيل ترهبون فاسرعوا في اعداد التحصن بالليل اخفا
من اعين الاعداء فعلم الله سبحانه وقال النبي صلى الله عليه وآله للاعرابي
لما اهمل البعير وقال توكلت على الله اعقلها وتوكل الى غير ذلك وهكذا لابد
من الزهاد فارق الامصار واقام في بعض جبل وقال الا استأنس باحد اشتاق
يأتيني رزقي من رزقني فتعبد سبعا فكان يؤتى برزقه وكان يقال يا رب
اجيئني فاتني برزقي الذي قسمت لي وانا في بعض الجبال فاوحى الله اليه و
عزتي وجلالي لا انقطع حتى تنقطع الاسباب وتتعبد بين الناس فعل
واقام فجاء هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب واوجس في نفسه من ذلك
فاوحى الله اليه اردت ان تذهب حتى ترى هل سنة الدنيا اما علمت اني
ان ادنى عبدي بابدي عبادي احب الي من ادنى ملك مقرب وفي الاثر ايضا
ان موسى عليه السلام اعتل بعلة فاخرج عليه بنو اسرائيل يعرجون عليه
فقالوا لو قد اويت بكذا المرات فقال لا اماذون حتى يجاءني الله من غير دواء
فطالت علته فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي لا ابرأتك حتى تداوي بذكري
للدقال الحسن داود وفي بما ذكرتم داوه فبرأ فاوجس في نفسه من ذلك
فاوحى الله اليه اردت ان تبطل حكمتي توكلك على من اودع العقاقير في
الاشياء غيري قيل ومن الناس من يزعم ان حق التوكل ان
يكشف الاسباب الخفية عن الاسباب الجلية كان جياعا بانوادي التي لا

يطرقها الناس يقيم بها بعد ان يفرض نفسه على الجوع الاسبوع فما فوقه
بحيث يصبر عليه من غير تشوش قلب وتشويش خاطر وتعذر في ذكر الله و
ان يكون بحيث يقوى على القوت بالحشيش وما يتفق له وان يوطن نفسه
على انه ان مات جوعا كان خير له في الاخرة او يتعبد في بيته او في مسجد
ويتفرغ فرغا لما لك لفكر او ذكر او خلوة ونسمع ان وقت بالعباد بحيث
لا يتشوش نفسه الى الناس حتى لا يخطر من يدخل اليه شيئا بل يكون
قوة القلب في الصبر والاتكال على الله وهذا معطا الان من جاهد نفسه وسواها
بحيث يصبر على الجوع الاسبوع ويمكنه القوت بالحشيش صارت الاسباب
الجلية كان عدم الحاجة احد القسمين بعد ان كان اعتماده حينئذ على صبره
وتمكنه من القوت بالحشيش فاين التوكل وان كان انما يتم الله وهذا ليتم
في بلده مع الاسباب الجلية ويتشوش باحد دون الاسباب كالزاهد به الزاهد
الذي مرت قصته واما توطين نفسه باختياره على الموت جوعا فمنوع
شرعا قال الله عز وجل ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واما القاعد في بيت بعيد
ربه من غير كسب فهو ايضا قد ترك اتباع امر الله تعالى بالطلب قال الصادق
عليه السلام ان من تعوده اشد عباده منه وربما يكون مثله كلا على الناس
فان حاله يسأ وذي البؤس والباس بل هو ضرب على بواطن الناس وتعرض للذل
الا اذا خرج من بين الناس فرجع الى الاول من تعريره بالتشويش وتعرضه للملال
وليت شعري اي فرق بين هذا الاسباب وبين ما في التوكل بعده اتم ربما
معناه الثقة بالله وحده لا بالاسباب فاوجد الاسباب وفقدها حالة واحدة
وخفاوها نعم تفاوت درجات الناس فيه بحسب تفاوت مراتبهم في قوة اليقين
وضعفه وفي قصر الامل وطوله وبحسب مقدار الاضطرار بحسب الاهل والمنفق

والعيال انهم من عرض المقربين ومنهم من اصحاب اليمين ومنهم
من لا توكل له اصلا وذلك بحسب عدم الوثوق بالاسباب لضعف وقلة يقين
ومن كمال ايمانه سقط توقد بالاسباب بالكلية فيرزقه الله من حيث لا يحتسب
كما لم يكتب الا له لا يترك الكسل مع امر الله فيه مع يقين بقوله الا على الله
وحده دون كسبه قال الصادق عليه السلام اني لاسأل الله العافية في امر دنياي
المؤمنين لامن حيث لا يحتسبون واما خصه بالمؤمنين لان كمال الايمان
يقتضي ان لا يثق صاحبه بالاسباب وان يتوكل على الله مع ربط وحد كمال
الايمان انما يكون لصاحب العلم المكون من الانبياء والاولياء قال الصادق
الله بقوته من شاء قال السجاد عليه السلام رأيت الخير كله في قطع الطمع
عما في ايدي الناس ومن اراد بسط النامس في خير ورد امره الى الله تعالى يسع
امره واستعمل التقوى في كل شيء قال الباقر عليه السلام بئس العبد
عبد له طمع يقوده وبئس العبد عبد له رغبة تذله وقال الصادق عليه السلام
شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس [illegible]
الصدق واداء الامانة وادى الصدق الصدق حتى المقول في كل حال وكذا
يدل العار بعض من غير ضرورة حذارا عن تفهيم الخلاف وكسب الخلاص بصورة
كاذبة ورعايته مع الله تعالى امن قال صحت سجيته وصفى قلبه سواء لوالده
لعبده هو لعبد الدنيا فهو كاذب ثم النية تجيء منه تعالى فالشرط
بقوله صادق الحلق اي محضها فالعامل في النية لابد ان يكون مخلصا
ثم في العزم وهو الجزم والقوى على الخير فان الاحسان قد يقدم العزم على العمل
فقول نيتي ان وفقني الله ما لا تصدقت بجميعه او شطره واذا التقت
طعامي في سبيل الله فاتته ولعيالي وان فضلت وقد يكون في عزيمة توجيل

وتردد وضعف بعضها الصادق في العزيمة ثم في الوفاء بالعزم فالعزم قد
ينحو بالعزيمة الى المال فلا اشقه في الوعد فلا اخلف المحامد بحصل السكن
وهابت الشهوات تحت العزيمة وهذا ايضا دال الصدق فيه ولذلك قال
الله سبحانه رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم في الاعمال وهو ان
يجتهد حتى لا تدل اعماله الظاهرة على امر في باطنه لا يتصف هو به لانا
نريد العمل ولكن ان تصير الباطن الى مقتضى الظاهر وهذا غير الرياء لان
الرائي هو الذي يقصد ذلك لاجل الخلق ويحب واقف على هيئة الخشوع في
صلوته ليس يقصد به مشاهدة غير بل لكن قلبه غافل عن الصلوة فمن
نظر اليه قال ما تمام بين يدي الله عز وجل وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي
شهوته من شهواته وكذلك قد يبقى على هيئة السكون والوقار والباطن
موصوف بالتلهف غير صادق في حلوات لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا مرائيا
بافعاله ولا يجوز من هذا الا بسبب السريرة والعلانية بان يكون باطنه
شاهدا ظاهره او حمل امر ظاهره وهذا كقول امير المؤمنين عليه السلام اني والله
ما احثكم على طاعة الا واسبقكم اليها ولا انهاكم عن معصية الا واتناهى
قبلكم عنها ثم في مقامات الدين وهو اعلى الدرجات واعزها كالصدق في
الزهد والرجاء والتعظيم والزهد والحب والتوكل وسلم المكاره وغير هذه الامور
لها اسباب ينطلق الامر بظهورها ثم لها غايات وحقايق والصادقون المحققون
من نال حقيقتها قال الله تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
الى قوله اولئك هم الصادقون وقال عز وجل ولكن البر من امن بالله واليوم
الاخر ثم قال والصابرين في البأساء والضراء الى قوله اولئك الذين صدقوا
وسئل ابو بكر رضي الله عنه عن الايمان فقرأ هذه الآية فقيل لعمر انك عن

الايمان فقال سالت رسول الله صلى الله عليه والمعنى الايمان فقرا
هذه الاية والمضروب بالخوف مثلا فامن صديق من باسه الا وهو عاب
من الله خوفا يطلق عليه الاسم ولكنه مخوف غير صادق اي غير بالغ
الحقيقة اما ترى اذا اخاف سلطانا او قاطع طريق شخصا بسوء ليكتب مسوء
لوند ويريد تعذيبه ويتغيض عليه عيشه ويتعذر عليه اكله وشربه
ويشتم عليه فكره حتى لا ينتفع باهله وولده وقد يتزعج عن الوطن وتضيق
بالانس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتحزن الاضطرار كل ذلك
خوفا من زوال المحذور فانه لا يخاف النار فلا يظهر عليه شيء من ذلك
عند جريان معصية عليه ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
مثل الناس امام عاصيها ولو ادرك مثل الجنة نام طالبها والمتحقق لهذا الامر
نزر جدا ولكن لكل صديق منها حظ بحسب حاله اما سمعت واما توخى ثم ويتبين
الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد حد صدق في بعض الامور دون
بعض فان كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا فصل في معنى الصدق
قال الصادق عليه السلام اذا اردت ان تعلم اصادق انت ام كاذب فانظر
في مضمار المسوغ دعوى العبد غيرها حتى تطالبه من الله عز وجل كما يطالبه
قال الله عز وجل والوفاء بوعدي اوف بعهدكم فاذا اعتبرت معنى ان يدعي الربوبية
لله الصدق وادعى عبد الصدق ان لا يخالف اللسان القلب ولا القلب
اللسان ومثال الصادق الموصوف بما ذكرنا كمثل الناذع وهو الذي ينزع
فاذا ابصره وعند عليه السلام ان الصادق اول من يصيبه الله تعالى
يعلم انه صادق فقيل له بم يعلم انه صادق وعند عليه السلام
قال ان العبد ليصدق حتى يكتب عند الله من الصادقين ويكذب حتى يكتب

عند الله من الكاذبين فاذا صدق قال الله تعالى صدق ومر واذا كذب
قال الله تعالى كذب وفي رواية اخرى ليصدق حتى يكتب الله صديقا وعنه
عليه السلام قال كفى بالمرء اثما ان يحدث الناس بالخير بغير الذي كر له وعنه
الاجتهاد والصدق قال الورع وقال لبعض اصحابه انظر ما بلغ علي عليه
السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله فالزمه فانا لم نبلغ عند
رسول الله بصدق الحديث واداء الامانة وقال عليه السلام لا تنظروا
الى طول ركوع الرجل وسجوده فان ذلك شيء اعتاده ولو تركه استوحش
لذلك ولكن انظروا الى صدق حديثه واداء امانته وقال عليه السلام
ان الله تعالى لم يبعث نبيا الا بصدق الحديث واداء الامانة الى البر والفاجر
وعن النبي صلى الله عليه وآله الداء الامانة يجلب الرزق والخيانة تجلب
الفقر وعن امير المؤمنين عليه السلام ادوا الامانات الى قاتل ولد الانبياء
وعن الصادق عليه السلام من ائتمنك بامانة فاد اليه ومن خانك فلا تخنه

المقالة الخامسة في العبادات وفيها سبعة ابواب الباب الاول
في النية والاخلاص قال النبي صلى الله عليه وآله انما الاعمال بالنيات وانما
لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله
ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه وانما قال ذلك حين قال له
بعض الصحابة ان بعض المهاجرين الى الجهاد ليست نيته من ذلك الهجرة
الا اخذ الغنايم من الاموال والسبايا او نيل الصيت عند الناس فقال
صلى الله عليه وآله ان لكل احد ما نوى فعلى ما يعتمده ويعمل النية يزيد ما كانا
ما كان نوعا واحدا وهذا الخبر وامثاله اصحاب الحديث من التواريخ وهو
اول ما يعلم ذا ولادهم ويقولون ان نصف العلم واعلم ان لا يحب من عباد الله

٥

صحيحه الزاد
في رسوله

ولا بعده وطلاقه بحيث يترتب عليه الاخرة الا ما اريد به التقرب
الى الله تعالى والدار الاخرة اعني به وجه الله او التوصل الى ما يراد به ذلك
من عقاب وجلالة استدلال لما ذهب اليه بقوله وانما يثيبهم على حسب
مقاديرهم في ذلك اي على حسب مقادير نياتهم في ذلك وقدرها
وعظمها لله وخلوصها له وصحتها وقوتها وضعفها وكمالها ونقصانها
وعد عليه النار الايات التي لا تحصى فرغب ورهب وعد ووعد
وانما يثيبهم على حسب مقادير نياتهم في ذلك وقدرها
وعظمها لله وخلوصها له وصحتها وقوتها وضعفها وكمالها ونقصانها
وان لله عندنا الرفيع وحسن مآب قال امير المؤمنين وسيد الموحدين
صلوات الله عليه الهي ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك لكن
وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك ومن لم يعرفه من الله سوى كونه المالك
للعالم قادرا قاهرا عالما وان لا جنة يتنعم بها المطيعين ولا نارا يعذب بها
العاصين فعبده ليفوز بجنته او يكون له النجاة من ناره ادخله الله الجنة
وطاعته الجنة والنجاة من النار لانها لذكرا اخبر عنه في غير موضع من كتابه
فانما اكمل العرى ما توى فلا نصغ الى قول من ذهب الى بطلان العبادة اذا
قصد بفعلها تحصيل الثواب او الخلاص من العقاب نعم اسوء ان هذا
القصد مناف للاخلاص الذي هو ارادة وجه الله سبحانه وحده وان من
قصد ذلك فانما قصد جلب النفع الى نفسه ودفع الضر عنها لا وجه الله
سبحانه فان هذا قول من لا معرفة له بحقائق الكلام ومراتب الناس فيها
بل ولا معرفة له بمعنى الية وحقيقتها وانما عبارة عن انبعاث النفس

مبلها وتوجهها الى ما فيه غرضها ومطلبها اما عاجلا واما جلا لا
محيد عن هذا في عبادة اصلا كيف ما قدرت الى الله وتصور معنى هذا
القول بخاطر وملاحظة بقلب وان لم يكن لفظه انبعاث الى التقرب بها
انما هذا تحريك لسان وحديث نفس وعادة لسان لا كقول الشعبان اشتهي
هذا الطعام قاصدا حصول الاشتهاء وهذا الانبعاث اذا لم يكن حاصلا
لها لا يمكنها اختراعه واكثر ما به مجرد القول والتصور واكثر الناس تعبدهم
منهم عبادة ابتغاء وجه الله والتقرب اليه لانهم لا يعرفون من
الله سبحانه الا المرجو والمخوف فغايتهم ان يتذكروا النار ويحدثوا
انفسهم بعقابها ويتذكروا الجنة ويرغبوا انفسهم بثوابها وخصوصا
كان الغالب على جبلته الميل الى الدنيا فانه قلما ينبعث له داعية الى فعل
الخير لسؤال بها ثواب الاخرة فضلا عن عبادة على نية اجلال الله عز
جل لاستحقاقه الطاعة والعبودية فانه قل من يفهم ما فضلا عمن يقاطعا
فلو كلف بها كان تكليفا بما لا يطاق فلم يسع الاخلاص في العبادة الا
ان لا تكون مشوبة بثواب الدنيا والحظوظ العاجلة للنفس كدفع الناس
والخلاص من النفقة بعتق العبد ونحو ذلك كما ياتي بيانه وظاهر انه لا
ينافيه ارادة الجنة والخلاص من النار مما وعد في الاخرة وان كان من حلف
المالوف في الدنيا ولو كان مثل هذه النيات مفسدا للعبادات لكانت
الترغيب والترهيب والوعد والوعيد عبثا بل مخلا بالمقصود ثم ليت شعري
كيف يمكن العبد الضعيف المهين الذليل الذي لا يملك لنفسه نفعا
ولا ضرا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا ان يستغني عن جلب النفع من مولاه
لنفسه ودفع الضر عنها ومن اعظم حق الانعام فلا يجد اكثر القابلين

بطلان العبادة باحدى النيتين الاثنتين الصحيحتين عبادات ترجع
الى احدهما وهم لا يخرجون وعن الصادق عليه السلام العبادات ثلاثة اقوام
عبدوا الله عز وجل خوفا فتلك عبادة العبيد وقوم عبدوا الله عز وجل
طلب الثواب فتلك عبادة الاجراء وقوم عبدوا الله عز وجل حبا له فتلك
عبادة الاحرار وهو افضل العبادة وهي افضل العبادة قوله عليه السلام
وهي افضل العبادة يعطي ان العبادة على الوجهين الاولين لا يخلوان من
فضل ايضا فضلا عن ان تكون صحيحة مسئلة قد ورد في الحديث
المشهور عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال نية المؤمن خير من عمله
ونية الكافر شر من عمله وكل عامل يعمل على نيته وقد اختلف الفقهاء
في معنى الحديث على اقوال مشتى وما الذي ظهر لي ان ذلك لان المؤمن ينوي
خيرات كثيرة لا يساعده الوقت على عملها فكان الثواب المترتب على نياته
اكثر من الثواب المترتب على اعماله وايضا ان المؤمن ينوي ان ينفع عباد الله
على احسن الوجوه لان ايمانه يقتضي ذلك شرا ذا كان يشتغل بها لا
يتعير له ذلك ولا يأتي كما يريد فلا يأتي بها كما ينبغي والذي ينوي ما تمنى
من الذي يعمل به في كل عبادة وفي هذا اشارة الباقر عليه السلام حيث كان
يعتزل نيته المؤمن خير من عمله وذلك لانه ينوي من الخير ما لا يدركه
الكافر بشر من عمله وذلك لان الكافر ينوي الشر ويأمل من الشر ما لا يدركه
وعن الصادق عليه السلام انه قيل له سمعتك تقول نية المؤمن خير من عمله
فكيف تكون النية خيرا من العمل فقال لان العمل انما كان من اجل النية
خالصة لرب العالمين فيعطي عز وجل على النية ما لا يعطي على العمل ثم قال ان
العبد لينوي من نهاره ان يصلي بالليل فيغلبه عينه فينام فيثبت الله

له صلوته ويكتب نفسه تسبيحا بجميل نومه صدقة وعنه عليه السلام
ان العبد المؤمن الفقير ليقول يا رب ارزقني حتى افعل كذا وكذا من البر
وجوه الخير فاذا علم الله عز وجل ذلك منه بصدق نية كتب الله له الاجر
مثل ما يكتب له لو عمله ان الله واسع كريم وعنه عليه السلام انه سئل عن
حد العبادة التي اذا فعلها فاعلها كان مؤديا فقال حسن النية بالطاعة
يعني ان يكون لنيته طاعته نية حسنة فان تيسر الاتيان بما وافق
نيته والا فالاقتداء بما عليه من العبادة بحسن نيته وعنه عليه السلام
انما خلد اهل النار في النار لان نياتهم كانت في الدنيا ان لو خلدوا فيها
ان يعصوا الله فيها ابدا وانما خلد اهل الجنة في الجنة لان نياتهم كانت
في الدنيا ان لو بقوا فيها ان يطيعوا الله ابدا فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء
ثم تلا قوله تعالى كل يعمل على شاكلته قال على نيته وعنه عليه السلام من
سمع شيئا من الثواب على شيء فصنعه كان له اجر وان لم يكن على ما بلغه
وقد قيل في معنى الحديث المشهور ان النية انما تكون خيرا من العمل لتوقف
نفع العمل عليها دون العكس ولكون الغرض الاصلي من العمل باعث القلب
الميل الى الله تعالى عن الغير كما قال الله عز وجل لن ينال الله لحومها ولا
دماؤها ولكن ينال التقوى منكم الاترى الى اثر الجماع اذا نزع على قصدنا
غيبها بخلاف الجماع غيرها على انها العمدة والناشئة صفة القلب وتهذيبه
يعني قوله عليه السلام من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة لان
هم القلب هو ميله الى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهو غاية
الحسنات وانما الاتمام بالعمل بزيدها تأكيدا فليس المقصود من ايراده الا
الدعوة الى تحصيل القلب عن حب الدنيا وبذلها ايثارا لوجه الله عز وجل

وهذه الصفة قد حصلت عند جزء النية والمسجد اذا علق عن العمل اعاين فمن
ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى في القلب
لذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحج في عرفة يعني ان الحاج
قوما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا
اصابتنا مخمصة الا كتب لنا في الحسنات فمن المدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول
الله ونحن بيننا وبينهم العدو فشركنا بالجهاد النية مثل النية
اما واحدة كالقيام للذكر ام واما متعددة كالصلاة للفرض والقرابة فانها لا
يستقل شيء فيها دون الاستيناف عند الانفراد او يستقل به اما وتتفاوت
ويتعدد الجزاء بتعددها خيرا كان كالدخول في المسجد لزيارة فصلاة وجلوسا ان
المسجد بيت كل تقي وقد ثبت في الحديث النبوي ان وصل المسجد فقد زار الله وحق على المزور اكرام زايره والاستظهار بالصلوة والاستكثار من الانزواء و
التجرد للذكر وترك الذنوب اذ شركا تصور فيه للحديث الباطل وصادفت
النساء والمناظرة للباعلة والمرايا وتصير هي المباح عبادة كالطيب
يوم الجمعة للاقامة السنة وتعظيم المسجد واليوم ودفع الاذى بالنتن و
ادخال السرور بالعرف وسبابة النية وربما يفضل على بعضها فالترتيب
بنوفلة ودعاية مباحة لذر فضائل الصلوة افضل منها في المنازل وشرها
بجعلها معصية كالتغليب للتفاخر باظهار الثروة والتزين للزنا والتمرين
في الحرام فلا يبلغ شرب الخمر لمواضعة الاخوان مثل النية غير اعلى تحل الاخبار
وذلك لما عرفتها انبعاث النفس وتوجهها الى ما يوفر لها ان فرضها
اما عاجلا واجلا وما لو بعث عند الانسان عرضه سقوط بعض من الاضعاف فلا
يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يفيد على اعتقاده في كل حين ولذا اعتمدنا انا

يتوجه القلب اذا كان فارغا غير مصروف عنه بعرض شاغل اقوى منه
وذلك لا يمكن في كل وقت والذواعي والصوارف لها اسباب كثيرة
بها يجتمع ويختلف ذلك بالاشخاص والاحوال والاحوال فاذا غلبت شهوة
الكلام ولو بعلم شرعا صحيحا في الولائم يمكنه ان يزوج على نية الولاء
بل الاكمل الاصلي نية قضاء الشهوة الثانية وهي اجابة الباعث لا باعث الا
الشهوة فكيف ينوي الولائم فهم طريق اكتساب هذه النية مثلا ان يقرن
اولا بما يعلم الشرع وقوعه ايمانه بعظم ثواب من سعى في تكثير امة محمد صلى
عليه وآله ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤنة وطلع
الشعر وغيره واذا فعل ذلك سهل عليه رغبة الى تحصيل الولد
للثواب فتحركه الملك الراغبة وتحرك اعضاء وملابسة العقد واذا تهيأ القدرة
المحركة للسان يقبل العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان
ناويا وان لم يكن كذلك فما يعتقده في نفسه ويريده في قلبه من قصد
الولد سواء وهذا ان لهذا الشغل جماعة من جملة من الطاعات اذا تحضر
النية وكانوا يقولون ليس تحضرني نية وذلك لعلمهم بان النية روح الاعمال
وان العمل بغير نية صادقة كالجسد بلا روح وهو سبب مغفلة حسبة قرب عن
الصادق عليه السلام انه اتاه رجل فسلم عليه وجلس فلما انصرف عليه السلام
انصرف معه الرجل فلما انتهى الى الباب دار دخل فقال الرجل فقال له
اسمعيل يا ابه الا كنت عرضت عليه الدخول فقال له لكن مرشاني ابي قال
فهو لعمري كذلك قال يا بني اني اكره ان يكتب الله عز اسمه وانا في معصية الشرعية
قال الصادق عليه السلام صاحب النية الصادقة صاحب القلب الخالي لان
سلامة القلب من حب الجاه في الدنيا تخلص النية فعند ذلك الامر كما هو الا فلا

يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وقال النبي صلى الله عليه
والدنيا لمن حسن نيته عليه وقال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما
نوى فلا يقبل العمل بغير الصالح النية في كل حركة وسكون لا بد اذا لم يكن بهذا
القصد كان غافلا والغافلون قد وصفهم الله تعالى فقال انهم الا كالانعام بل هم
اضل سبيلا فكل ما يسلم الغافلون اليه تبدو من القلب على ظاهر الجوارح
العبد وتختلف على حسب اختلاف الاوقات في عبد وصفه وصاحب
النية الخالصة نفسه وهواه معه متهور ان تحت سلطان عظيم الله
والحياء منه وهو من طبعه وشهوته وبيته نفسه منه في نعيم الناس
منه في مأخذ فصل واما الاخلاص فهو تجريد القصد الى الله عز وجل
ارادة وجهه تعالى ويعرف بالتفكر في صفاته وافعاله والشاهد قوله تعالى
ندع الاخرة فهو حظ النفس ومدد في حقيقته ان تقول لبيك الله ثم تستقيم
كما امرت تعالى الله لا تخيلان تخلط عليه قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين وقال الا لله الدين الخالص وقال الا الذين تابوا
واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله وعن امير المؤمنين علي عليه السلام
قال الاخلاص الخلاص من الشوائب والدغل وقد يطلق الاخلاص ويراد به جزاء على عمل
ينشر ذكر الله عبادته مع اداءه والاخلاص حسده بما اعطى خرج وعن الباقر عليه
السلام قال ما اخلص عبد الايمان اربعين يوما او قال ما اخلص عبد
ذكر الله اربعين يوما الا فقه الله في الدين وبصره داءها ودواءها
اثبت الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وعن الصادق عليه السلام في قول
الله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا ليس يعني اكثر كم عملا ولكن اصوبكم
عملا وانما الاصابة خشية الله والنية الصادقة ثم قال الابقاء على العمل

حتى يخلص اشاقه من العمل والعمل الخالص الذي لا تريد ان يحمدك عليه
احد الا الله عز وجل والنية افضل من العمل الا وان النية هو العمل ثم
تلا قوله عز وجل قل كل يعمل على شاكلته يعني على نيته والطريق الى الاخلاص
كثير حفظ اللسان وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للاخرة بحيث يغلب ذلك
على القلب وكل من اعمال يتعب الانسان فيها ويفوز انما هي الصدق لوجه الله
تعالى ليكون فيها مغرورا لانه لا يدري وجه الاذن فيه كما حكي عن بعضهم
انه قال بقيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد جماعة في الصف
الاول الا اني فاتت يوما العامة فصليت في الصف الثاني فاغتممت بي جملة
من الناس حيث راوني في الصف الثاني فعرفت ان نظر الناس الى في
الصف الاول كان يسرني وكان ذلك سببا لغلوي في ذلك من حيث لا اشعر
وهذا دقيق غامض وقل من سلم الاعمال عن امثاله وعلامة من يبتليه الله والغافلون
عنه يرون حسناتهم في الاخرة كالها سيئات وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون وبدا لهم سيئات ما عملوا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد
مضت الاشارة الى امثال ذلك في باب ذم الغرور فصل اعلم انه قد ثبت
اجماع الامة على ان من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه واثيب عليه مع
ان سفره ليس خالصا للحج والوجه فيه ان التجارة تعرض للربح وهو ايضا
عبادة كما مضى بيانه وقد عرفت ان نية الخيرات المتعددة موجبة لتضاعف
الثواب بحسبها وليس الامر كما ظن ان التاجر انما يثاب على اعمال الحج عند انتهائه
الى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خال عنه وانما الشقة ان طول المسافة ولا
ثواب فيه وما قصد تجارة ولا كما ظن انه بمكان الحج هو الحج الاصلي وكان
غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينقص نفس السفر عن ثوابه نعم اذا كان

الخارة للبيع والادخار من غير حاجة فلا بعد ان يقال ذلك وكذا اذا لم
الى قصد الحج قصدا التفرج والتوحش عن الاهل او غيرهما مما غير مستقل و
نحوه اذا انضم الى نية الصوم قصد الحمية والى نية الوضوء التبرد والى نية
العتق سوء الخلق والخلاص عن المؤنة الى غير ذلك اذا لم تكن المنضمات
مستقلة واما ما لا يضر بالاخلاص من انواع الرياء وغيره فقد مر الكلام
فيه في باب الرياء والكبر فلا وجه لاعادته **فصل** في نصاب الشريعة
قال الصادق عليه السلام الاخلاص يجمع مراصل الاعمال وهو معنى قولنا
القبول وتوقيعه الرضا من يقبل العمل منه وقد يخفى عنه فهو الخالص وان قل
عمله ومن لا يقبل العمل منه فليس بمخلص وان كثر عمله اعتبارا بابادم عليه السلام
والميس وعلامة القبول وجود الاستدامة بعد كل المحاب مع اصابة علم
كل حركة وسكون والخالص لا تريد وجوده بانا يعتقد في تقويم مادة العلم
والاعمال والعامل والمعمول به العالم انه اذا ادرك ذلك عند اول ادراك الكمال فانما
فاته ذلك خاتمة الكمال وهو تصفية معاني التوحيد كما قال الاول
هلك العاملون الا العالمون وهلك العالمون الا العاملون وهلك العابدون الا العالمون وهلك
العالمون الا الصادقون وهلك الصادقون الا المخلصون وهلك المخلصون
الا المتقون وهلك المتقون الا الموقنون وان الموقنين لعلى خطر عظيم
قال الله تعالى لنبيه واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وادنى حد هذا الاخلاص
بذل العبد طاقته ثم لا يجعل لعمله عند الله قدرا فيوجب به على ربه مكافاة
بعمله لعمله انه لو طالبه بوفاء حق العبودية لعجز وادنى مقام المخلصين في
الدنيا السلامة من جميع الآثام وفي الآخرة النجاة من النار والفوز بالجنة
الباب الثاني في الطهارة والنظافة قال الله سبحانه فيه رجال يحبون

ان يتطهروا والله يحب المطهرين وقال تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم
من حرج ولكن يريد ليطهركم وقال النبي صلى الله عليه وآله الطهور
نصف الايمان وقال يفلح الصائم الطهور وقال نبي الدين على النظافة
وقال عيسى عليه السلام للحواريين اعبدوا الله نقيا وقال من اتخذ ثوبا فليطهره
وقال امير المؤمنين عليه السلام النظيف من الثياب يذهب الهم والحزن
هو طهور للصلاة نية تطرق نورها البصائر بهذه الظواهر الايمان انما تتم
بعمارة القلوب والسرائر وان الرابطة صلى الله عليه وآله الطهور
نصف الايمان والنصف الآخر عمارة الباطن بالاعمال الصالحة والاخلاق
الحسنة فالطهارة لها اربع مراتب الاولى تطهير الظاهر من الاحداث و
الاخباث والفضلات والثانية تطهير الجوارح من الجرائم والآثام والثالثة
تطهير القلب من رسائل الاخلاق وردائلها والرابعة تطهير
السر عما سوى الله جل وعلا وهي طهارة الانبياء والصديقين والطهارة
في كل مرتبة نصف العمل الذي فيها وهذه مقامات الايمان وكل مقام
طيبة ولن ينال العبد الطبقة العالية الا ان يجاوز الطبقة السافلة
فلا يصل الى طهارة السر ما دون الله وعلائقه مع الله ما لم يكن على طهارة
وغفلته سبحانه ما دام يضرع عن طهارة القلب من الحقد المذموم وعلائقه
بالحمود ولا يصل الى ذلك ما دام يضرع عن طهارة الجوارح من المناهي وعلائقها
بالطاعات وكل اعز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثر
عقباته ولا تظن ان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا نعم رعيت
بصيرته عين تعاونت عليه الطبقات لديهم من مراتب الطهارة الا الاولى التي
هي كالقشر الاخير بالاضافة الى اللب المطلوب فصار بعض منهم

ويستفحل في جماديه الباطن من آفات مخزون نهايات الكبر والعجب
الجهل والرياء والنفاق ينبغي للعاقل ان يتذكر عقيب لقمته الحاجة فتقضي
حاجته وما اشتمل عليه من الآفات ويباشر امانة نفسه عند امر ربها و
سكون قلبه من دنسها وصلاحيته للوقوف على بساط القربة وقال
للمأمون هوان الدنيا وبصيرة نفسها انها ولدانها وغيبها وفي
مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام حق المسلم ان مسه اما الاذى
النوعين من اشغال النجاسات واستعمال الكنايات ما لقذر عنها والمؤمن
يعتبر عندها ان الحلو من طعام الدنيا كذلك يصير عاقبته فيصير مع
بالعدول عنها لتركها وينزه نفسه عن قلبه عن شغلها ويستكف عن
جمعها واخذها استنكافه عن الجاسة والغائط والقاذورات وتفكر في
نفسه المكرمة في حال كيف تصير ذليلة في حال ينبغي ان يشغل بالقذارة
والنتن حيث لعداوة الطالبين فان الراحة من هوان الدنيا والعارفون
التمتع بها ويحذرون الذائقة من الحرام والشبهة فيغلق عن نفسه باب
الكبر بعد معرفته اياها ويفتح باب التواضع والذلة لها
ويجتهد في اداء اوامره واجتناب نواهيه طالب الحلال الطيب
ويجتهد نفسه في بحر الخوف والصبر والكف عن الشهوات الى ان يتصل
بامان الله وفي الحديث ثلاثة طعم بعضها افضل من بعض فان المعول ذلك وما عداه لا يكتب
فصل عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان افواهكم طرق القرآن
فطيبوها بالسواك وقال صلى الله عليه وآله صلوة على اثر السواك افضل من
خمس وسبعين صلوة بغير سواك وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام
قال النبي صلى الله عليه وآله السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وجلاء

من سنته المؤكدة وفيها منافع للظاهر والباطن لا يعرفها الا من عقل عن
كل تنزيل ما لك تشتمل من اسنانك من طعامك حتى اكلته بالسواك فانك
تجد لثتك نزولات بالتقرح والقروح والتحجر والاستعداد بالاحجار وطهر
الحديث ظاهر لمن له ادنى ادراك فالفم مركب المناهي كلها فما اصلحه
فان النبي صلى الله عليه وآله اراد باستعماله مثال الاهل اليقظة وهو ان
السواك نبات لطيف نظيف وفي شجر هذا النبات خلق الانسان خلق منه
الله تعالى وجعله سببا لاشتهاء الطعام واصلاح المعدة
وهي بمنزة صانية يتلوث بصحبة تضييع الطعام ويتغير بها رائحة الفم
ويتولد منها الفساد في الدماغ فاذا استاك الانسان بالعطر المنبات اللطيف
وصح بها على الجوهرة الصافية انال عنها الفساد والتغير وعادت الى ما
كانت خلق الله الفم طاهرا صافيا وجعل غذاءه الذكر والفكر والهيبة
والتعظيم وان اشتغل الفم بالطعام في معدلت بالغفلة والكدر صقل بمستقل
التربة ونظف بماء الاثابة ليعود الى حالته الاولى وجوهرة الاصلية الصافية
قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وان النبي صلى الله
عليه وآله امرنا باستعمال الطاهر الانسان واراد بها المثل ومن اراد
تفكر على باب العبرة في استخراج مثل هذه الامثال من الاصل والفرع
فتح الله له ابواب الحكمة والمزيد من فضل الله والله لا يضيع اجر المحسنين
فصل قال النبي صلى الله عليه وآله من توضأ فذكر اسم الله طهر جسده
وكان الوضوء الى الوضوء كفارة لما بينهما من الذنوب ومن لم يتوضأ لم يطهر من
جسده الا ما اصابه الماء وقال الصادق عليه السلام من ذكر اسم الله على
وضوء فكما غسل وينبغي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام اذا اتى

الطهارة والوضوء فقدمه الى الماء لشرفه وعلو مرتبته الى رحمة الله تعالى
فجعل الماء سبب لرحمته وسماه رحمة وجعله كالمادة لها بواسطة خلقه وكان
رحمته تطهر بتوب العبد كذلك بخاصة الظاهر يطهرها الماء لاجزاء
قال الصادق وهو الذي ارسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وانزلنا من
السماء ماء طهورا قال عز وجل وجعلنا من الماء كل شيء حي كما احوج
كل شيء من بهيم الانعام لذلك مضافا الى رحمة حياة القلوب بالطاعة و
تنكير صفة الماء ورفعته وطهوريته وبركته ولطيف امتزاجه بكل شيء
وفي كل شيء واستعماله في تطهير الاعضاء التي امر الله بتطهيرها دون
بادابها فانه يسند وسنته فان تحت كل شعرة منها قريبة اذا استعملها
الجنابة انفجرت تلك عين من ماء يعز قريب فم عليه جبل الله مفتاحا كما مفتاح الله
بالاشياء تفتح كل شيء حقه وتضيع معناه بمعنى القول رسول الله
صلى الله عليه وآله مثل المؤمن الخاص كمثل الماء وذكر حمزة الله مع الله
تعالى في جميع طاعاته كصفة الماء حين انزله من السماء وسماه طهورا و
طهرا طيبا بالتنزي والتقدس عند طهارة حواصله بالماء فقال الرضا
عليه السلام انما امر بالوضوء ليكون العبد طاهرا اذا قام بين يدي الجبار
عند مناجاته اياه مطيعا لما امره به غير امر نقيا من الادناس والنجاسة مع ما
من ثواب الكسل ونشر النعاس وتزكية الفؤاد للقيام بين يدي الجبار فلذا
يجب على الوجه واليدين والرأس والرجلين لان العبد اذا قام بين يدي
الجبار فانما يكشف من جوارحه وينظهر ما يوجب الوضوء وذلك انه اذا
فعله يخضع ويبتهل ويرغب ويرهب ويقبل بوجهه وجميع حواسه التي
بكرمه وجوده ويوجبه بقربه ويتعبد وامر بالغسل من الجنابة دون الجنابة

لان الجنابة من نفس الانسان وهو شيء يخرج من جميع جسده والخلا ليس
هو من نفس الانسان انما هو غذاء يدخل من باب ويخرج من باب وفي رواية
اخرى عنه عليه السلام قال وعلة التخفيف في البول والغائط انه اكثر و
ادوم من الجنابة فرخص فيه بالوضوء لكثرته ومشقته ومجيئه بغير ارادة
منه ولا شهوة والجنابة لا يكون الا بالاستلذاذ منهم والاكل لا يقضم

فصل قال بعض اصحابنا ما ملخصه ان الدنيا والاخرة ضرتان كلما
قربت من احداهما بعدت عن الاخرى فلذلك امر العبد بتطهير الاعضاء
الظاهرة الدنيوية عند الاشتغال بعبادة الله تعالى والاقبال عليه فامر
في الوضوء بغسل الوجه الذي فيه اكثر الحواس الظاهرة التي جل اعظم الاسباب
الباعثة على طلب الدنيا ليتوجه ويقبل بوجه القلب على الله وهو اول
من تلقى الانسان ثم امر بغسل اليدين المباشرتين اكثر الامور الدنيوية و
الشهوات الطبيعية المانعة من الاقبال على الاخرة ثم بمسح الرجلين لان
جل ما يتوصل الى طلبه ويتوسل الى تحصيل ما يريده فيطهرها جميعا
اذا دخل فيها في العبادة والاقبال عليها وامر في الغسل بغسل جميع البشرة لان
اذى حالات الانسان واشدها تعلقا بالملكات الشهوية حالة الوقاع و
موجبات الغسل وجميع بدنه مدخل في تلك الحالة ولهذا قال رسول الله
صلى الله عليه وآله تحت كل شعرة جنابة تحت كل شعرة جميع بدنه بعيدا عن
المرتبة العلية منغمسا في اللذات الدنية كان غسله اجمع من جميع المطالب
الشرعية ليتأهل لمقابلة الجهة الشريفة والدخول في الصفات المنيفة و
امر في التيمم بمسح الاعضاء بالتراب عند تعذر غسلها بالماء بعضها الثلاث
الاعضاء الرئيسة وبعضها لبقيتها باثر التربة الحسية قال والملائكة

للقلب من تلك الخطا الاخر والنصب الاكمل كان الاشتغال بتطهيره من
الرذايل والتوجهات المانعة من دخول الفضايل اولى من تطهير الاعضا
الظاهرة عند اللبيب العاقل واما الذي يكون تطهيره من الاخلاق الرذيلة و
تحليته بالاوصاف الجميلة فليتمم مقام الحضور والاذن ويرتفع به بساط
الذل والاخضاع عن ان يطلع عليه مولاه الرحيم وسيده الكريم وهو
متكبر متواضع فيه لنخوته من نخوات غروره اللايمع فانه عند المكبرة
ملوم بهم كما ورد في الاثر مزق من هذه الاشارات الى ما يوجب المآل الاقبال
وتلافي سالف الاهمال **فصل** قال امير المؤمنين عليه السلام نعم
البيت الحمام يذكر فيه النار ويرغب الذنب وتعيد الناقة الى المرعى
للعاقل ان لا يغفل عن ذكر الاخرة في لحظاته فانها مصيره ومستقره ويكون
له في كل ما يراه موعظا او يتذكر بها عبرة وموعظة فان نظر الى طلعة
تذكر طلعة اللحد وان نظر الى جنة تذكر الجنة وجهنم وان سمع صوتا هايلا
تذكر نفخة الصور وان رأى شيئا حسنا تذكر نضرة الجنة وان سمع كلمة
او قبول تذكر ما يكشف له في اخر امره بعد الحساب من الرد او القبول الى غير
ذلك والحمام اشبه شيء بجهنم النار من تحت الظلة من فوق جدير بان
يتذكر حر النار بحرارته ويشدد نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويقيسه
الى جهنم ويستعيذ بالله منها قال الصادق عليه السلام اذا دخلت
الثالث فقل نعوذ بالله من النار وفي الجنة نريدها الى قوله عز وجل
من البيت الحار **الباب الثالث** في الصلوة والذكر الله عز وجل والتفكر
في صلوتهم خاشعون وقال في وصف المصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون
ذمهم على الغفلة عنها مع كونهم مصلين لانهم سهوا عنها وتركوها

وقال سبحانه اقم الصلوة لذكري وقال ولا تكن من الغافلين وقال
لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فنبه على سكر
الدنيا ادين فيه العلماء وقال النبي صلى الله عليه وآله من صلى ركعتين
لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وقال
انما الصلوة تشكر فتواضع وتضرع وتباؤس وتمسكن وتقنع تمد يديك
تقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج وقال اذا صليت صلوة فصل
لوقتها صلوة مودع تخاف ان لا تعود فيها وقال صلى الله عليه وآله لا
ينظر الله الى صلوة لا يحضر القلب فيها مع البدن وقال الصادق عليه السلام
من بدل الله منه صلوة واحدة لم يعذبه بعدها من قبل منه حسنة لم يعذبه
وروي ان ابراهيم الخليل كان يسمع تاوهه على جده ميل وكان في صلوته
يسمع لصدره ازيز كازيز المرجل وكان المكان يسمع من صدى صوته وقال رسول الله صلى
الله عليه وآله سئل عن ذلك وقال بعض ازواجه كان النبي صلى الله عليه وآله
يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه وكان امير
المؤمنين عليه السلام اذا اخذ في الوضوء يتغير وجهه من خيفة الله وكان
عليه السلام اذا حضر وقت الصلوة يرتعد ويتلون فقيل له ما لك يا امير
المؤمنين فيقول جاء وقت امانة عرضها الله على السموات والارض والجبال
فابين ان يحملنها واشفقن منها وكانت فاطمة عليها السلام تنتفض في الصلوة
من خيفة الله وكان الحسن عليه السلام اذا فرغ من وضوئه تتغير لونه فقيل
له في ذلك فقال حق على من اراد ان يقف بين يدي العرش ان يتغير لونه وذلك
مثل هذا عن الحسين عليه السلام وعنه عليه السلام انه كان اذا توضأ
اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يصادفك عند الوضوء فيقول انه

بين يديه من اربعين ذراعا قبل بدايته عليه السلام بصلاته فسقط ميتا
من منكبه فلم يسه حتى فرغ من صلاته فسألته عن ذلك حال وجلت
اندي بين يدي من كان هذا حال العبد لا يقبل منه صلاته الا ما اقبل منها
فقلت جعلت فداك كنا نقل كلما ان الله يتردد بالنوافل وغير الصادق
عليه السلام قال كان علي بن الحسين عليهما السلام اذا قام الى الصلوة يتغير
لونه واذا سجد لم يرفع راسه حتى يرفض عرقا وعنه عليه السلام قال كان
ابي يقول كان علي بن الحسين اذا قام الى الصلوة كانه ساق شجرة لا يحرك منه
الا ما حركت الريح منه وعنه عليه السلام انه سئل عن حالة تحدث منه في
الصلوة حتى خر مغشيا عليه فما افاق قبل انه في ذلك يقال ما زالت اردد
هذه الاية على قلبي حتى ربعتها من المتكلم بها فلم يثبت بي لهيبته
قدرته قبل وكانت لسان الامام عليه السلام في تلك الحال كشجرة يحركها
حتى قال اني انا الله وعنه عليه السلام انه لا يجتمع الرغبة والرهبة
في قلب الا وجبت له الجنة فاذا اصلت فاقبل بوجهك على الله عز وجل فانه
ليس من عبد مؤمن يقبل بقلبه على الله في صلوته ودعائه الا اقبل الله بقلوب المؤمنين واياه مع مودتهم اياه بالسنة وعن الباقر عليه السلام
قال ان العبد ليرفع له من صلوته نصفها وثلثها وربعها وخمسها فما يرفع
له الا ما اقبل عليها بقلبه وانما امروا بالنوافل ليتم لهم ما انتقص من الفرض

فصل ان قيل استفاد من هذه الايات والاخبار ان صلوة من لا يقبل
عاصون فيها ويفعل ليست مقبولة الا بقدر ما اقبل عليه منها والغفلة
لا يشترط الاحضور القلب عند التكبير بالتوجه فكيف التوفيق بينهما
قلنا المصلي في صلوته ودعائه مناج ربه كما هو معلوم وقد ورد في الخبر

ايضا ولا شك ان الكلام مع الغفلة ليس بمناجاة والكلام اعم بحسب
الضمير ولا يصح الاعراب عما في الضمير الا بحضور القلب فاي معنى في قوله
اعبدك الصراط المستقيم اذا كان القلب غافلا ولا شك ان المقصود من
القراءة والاذكار والحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله تعالى
وقلب العبد بحجاب العظمة محجوب عنه تعالى بل وعن افعاله بل عن
المخاطب بلسانه بقدر ما حكم العادة فاذا بعد هذا عن المقصود الصلوة
التي شرعت لتقبيل القلب وتجديد ذكر الله وتوسيخ عقد الايمان بها
هذا حكم القراءة والذكر واما الركوع والسجود فالمقصود التعظيم بما اتفقا
والتعظيم يمكن ان يجتمع مع الغفلة واذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق الا
مجرد حركة الظهر والرأس وليس في ذلك من المشقة ما يقصد الامتحان بترك
بعمل عادة الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ويقدم على سائر العبادات
ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص فاعلم ان بين القبول والاجزاء فرقا
فان القبول هو الصلوة ما يترتب عليه الثواب في الاخرة ويقرب الى الله
تعالى والاجزاء ما يسقط التكليف عن العبد وان لم يثب عليه والناس
مختلفون في تمام التكليف فالتكليف انما هو بقدر حصة الخالق قاصرين
في معتبرهم وقصورهم فلا يمكن ان يشترط عليهم جميعا حضور القلب
في جميع الصلوة فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلين واذا لم يكن شرطا
الا بسبب العجز والضرورة فلا معنى له الا ان يشترط منه ما يطلق عليه الاسم
ولو بدقيقة واحدة واول اللحظات به لحظة التكبير والتوجه فاقتصر
على التكليف بذلك ونخرج مع ذلك بحمد الله عن ان لا يكون حال الغافل في جميع صلوته
مثل حال التارك بالكلية فانه على الجملة اقدم على الفعل فانه امر واخطر القلب

لحظة وكيف لا والذي يصلي مع الحديث نفسا يناجي ربه فلا يناجيه عبد الا
ولكن الاجر بحسب حضور القلب وعدمه وقد ذكرنا في بيان الحقائق
في الفرق بين العلم الباطن والظاهر ان قصور الخلق اعني الاسباب الذين
عن التصريح بكل ما يمكن من اسرار الشرع وحاصل الكلام ان حضور
القلب هو روح الصلوة وان اكمل ما يبقى به الروح الحضور عند التكبير
فالنقصان منه هالك وبقدر الزيادة عليه يبسط الروح في اجزاء الصلوة
وكم من حي لا خير فيه قريب من الميت فصلوة الغافل في جميعها الا عند
التكبير جديرة لامر الله به فصل اعلم ان المعاني الباطنة التي بها تم جبرة
الصلوة بجملتها تحل في حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة
والرجاء والحياء فالاول حضور القلب فحقه ان يفرغ القلب عن غير ما هو
ملابس له ومتكلم به فيكون العلم والفعل والقول معتبرا بها ولا
يكون التفكر جاريا في غيرها وهذا انصرف التفكر عن غيرها هو فيه وكان في
قلبه ذكرا لما هو فيه ولم يكن غفلة عنه فقد حصل حضور القلب والتفهم
لمعنى كلامه وهو امر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ
لا يكون حاضرا مع معنى اللفظ فاشتغال القلب على الصلوة بمعنى اللفظ
الذي يراد بالتفهم وهذا مقام مقاومت فيه اكثر الناس اذ ليس لاكثرهم
في تفهم المعاني للقرآن والتسبيحات وكم من معان لطيفة يعدها
المصلي في اثناء الصلوة ولعله يكون قد حفظ بتلبيته قبل ذلك وهو من هذا الوجه
كانت الصلوة ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها امر وراء حالات الاشتغال
من الفحشاء والمنكر لا محالة واما التعظيم وهو امر وراء حضور القلب والتفهم
اذ الرجل قد يخاطب غيره بكلام هو حاضر القلب فيه وشغله لعناه ولا

يكون معظما له بل الهيبة وهي زيادة على التعظيم اذ هي عبارة عن حزن
منشاؤه التعظيم لان من يخاف الاسد على قدر تصوره وعلمه وقد ذكرنا في بيان
الهيبة ان حزن مصدره الاجلال واما الرجاء فالعبد ينبغي ان يكون راجيا
بصلوته ثواب الله تعالى كما انه خائف بتقصيره عقاب الله تعالى والحياء ومستنده
استشعار تقصيره وعجزه في نفسه وكذلك اسباب هذه المعاني الستة
فاعلم ان حضور القلب سببه الهمة فان تفاصيل ابواب الهمة فلا يحضر الا ما
وهبت له ومنها اهمل امر حضر القلب شيئا اما في فهم ما يجول عليه وسخر به
القلب اذا لم يحضر في الصلوة لم يكن متعطلا بل كان حاضرا فيما قصد
مصروفا اليه من امور الدنيا فالصلوة ولا علاج لاحضار القلب الا بصرف
الهمة الى الصلوة والعدة لا تصرف اليها الا بتيقن ان الغرض المطلوب
بها وذلك هو الايمان والتصديق بان الاخرة خير وابقى وان الصلوة وسيلة
اليه فاذا اضيف هذا الى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهما تها حصل
من مجموعها حضور القلب في الصلوة واما التفهم وسببه عند حضور
القلب احداث الفكر وصرف الذهن الى ادلة العالم وعلاجه ما هو علاج
احضار القلب مع الاقبال على الفكر والتحذر من الخواطر الشاغلة وعلاج
دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها اعني الرفع عن تلك الاسباب التي تجذب الخاطر
اليها وما لم يقطع ملك المواد لا ينصرف عنها الخواطر فرب لعب شيئا اكثر من
فكر المحبوب بحسب حال القلب الفارغ ولذلك ترى من احب غيره لا يفتر
لذكره عن الخواطر واما التعظيم فهي حالة للقلب تولد من معرفتين احداهما
معرفة جلال الله وعظمته وهي من اصول الايمان فان من لا يعتقد عظمة الله
تعالى لم يتصور تعظيمه الثانية معرفة حقارة النفس وخستها وكونها اصلا

سمعه بورك في قوله من المعرفة بين الاستكانة والانكسار والخشوع فيه
فيعبر عنه بالتعظيم وما يمتزج معرفة حقارة النفس وعجزه جلال الله
لا تنظم حالة التعظيم والخشوع فان المستخف بغيره الآمن على نفسه
يجوز ان يعبر عن غير صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله
لان القرينة الاخرى وهي معرفة حقارة النفس وعجزها تمنعان اليه
واما المهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته
وعنف شدته فيه مع قلة المبالاة به وانه لواهلك الاولين والآخرين
لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما يجري على الانبياء والاولياء من
المصائب وانواع البلاء مع القدرة على الدفع والجملة كلما زاد العلم بالله
زادت الخشية والهيبة ولما الرجاء فسببه معرفة لطف الله وكرمه وعمم
انعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلوة فاذا
حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة
واما الحياء فباستحقاق التقصير في عبادته وعجزه بالعذر عن القيام بعظيم
حق الله وتقوى ذلك المعرفة بعيوب النفس وافاتها وتعذر اخلاصها وسلامة
نيتها وميلها الى الحظ العاجل في جميع افعالها مع العلم بعظيم ما يفوت
جلال الله والعلم بانه مطلع على السر وخطرات القلب وان تفويت
وهذه المعارف اذا حصلت بقينا انبعث منها الضرورة حالة في القلب

فصل اعلم ان المؤمن لا ينبغي ان يكون معظم اوده وهمه انقاذ نفسه من
ومستحييا من تقصيره فلا يغفل من هذه الاحوال بعد ان زوال كل واحد منها
تهابه قوة نفسه فانفكاكه عنها في الصلوة لاجل له الا لتقرب الى الله
وتقتسم الخواطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلوة والخجل

عن الصلوة الا الخواطر الدنيوية الشاغلة فالدواء في احضار القلب هو
وقد علمت الخواطر لا ينفع الشيء الا بقطع سببه وسبب توارد الخواطر اما
ان يكون امرا خارجيا او امرا في ذاته اما الخارج فما يقرع السمع او
يظهر للبصر فان قلت فاذا لم يخطر لهم شيء وتعذر قطع شيء منه
جرت به الفكر الردي ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافكار ثم
يصير بعض تلك الافكار سببا للبعض وغرست بنيته وعلت همته لم
يلهمه ما جرى على جواسه ولكن الفصد ان لا يدوم ان يتفرق به فكره فلا
قطع هذه الاسباب بان يغض بصره ويختار بعد الصلوة على الشوارع وفي
المواضع المنقوشة المصبوغة والمساكن المتعددة بل يتعبد في
بيت صغير مظلم بعيد عن الجيران ليكون جامع الهم والاولى ان لا
يصلي في بيت مزين بل في الصحراء او في موضع الجرد كما كان
كمال الصلوة في ان لا يعبر ما من على عينيه وشمالهم واما الاسباب
الباطنة فهي اشد فان من تغلب الهموم به في امور الدنيا لم يحضر فكره
في غير احوال تلك الامور بين جانب الجنان وغض البصر لا ينفعه فان ما في
القلب من حب كان للشغل فيها طريقة ان يرد النفس قهرا الى فهم
يقرؤه ويتعلمها من غيره ويعينه على ذلك ان يستعد له قبل التحريمة ان
يجلد على نفسه ذكر الاخرة وهو وقت المناجاة وحفظ المقام بين يدي الله
تعالى وهل المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريمة بالصلوة عما يهمه فلا يترك النفس
تشغل بما شئت اليه خاطره فهذا طريق تسكين الافكار فان كان لا تسكن
افكاره بهذا الدواء فلا دواء فيه الا المسهل الذي يقمع مادة الداء من اصلها
العروق وهو ان ينظر في الامور الشاغلة الصارفة له عن احضار القلب

المساجد

لا شك انها تعود الى عهدها وانها انما صارت عبدة بشهواته فليجاهد
نفسه بالتزهيد عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكما يشغله عن
صلوته فهو ضده يعينه ويصدّه ليس عدوه الذي أمر عليه من آخر
فيخلص عنه باحراز ولا يخفى ذلك فان ما ذكرناه من التباطن بالتسكين
والرد الى فهم الذكر انما ينفع في الشهوات المعينة والهم الموالاة
الاخرى القلب فاما الشهوة القوية الراسخة فلا ينفع معها التسكين
بل التزيد بجهاد نفسه وجهاد ربك تقرّبا اليه يعني جميع صلوتك وتشغل
الجارية بدورها له مثال وجد رجل شجرة اراد ان يصنع لها سكرجة وكانت اصول
العصافير تؤذيه عليه فاوى يطيرها بخشب في يده ويعود الى فكره
فيعود العصافير فيعود الى التقرير بالخشب فقيل له ان هذا يشغلك عن الصلوة
ولا يقطع فان اردت الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة اذا اشتغلت
وتمزعت اعضاءها انجذبت اليها الاوهام والاخذاب العصافير الى الاشجار
والاخذاب الذباب الى الاقذار والشغل يطول بعدّها فان الدنيا بكاملها
اب ولاجله سميت دنيا فكذلك الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقلما يطلع
العبد عليها ويجمعها الفصل واحد وهو حب الدنيا وذلك راس كل خطيئة
واساس كل نقصان ومنبع كل فساد ومن الخطوات باطنة على حب الدنيا حتى
مال الى تحري منها الا لتزود منها وتستعين بها على الاخرة فلا يطمع في
ان يصفو لذة المناجاة في الصلوة فان من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله وبالمناجاة
وهذا الرجل مع قرة عينه فان كانت قرة عينه في الدنيا انصرفت لاجلها الا
محالة ولكن مع هذا فلا ينبغي ان يترك المجاهدة ورد القلب الى الصلوة
بتقليد الاسباب الشاغلة فهذا هو الدواء وقد ذكرنا ان عند الطباع وآفات

العلة مزمنة وصار الداء عضالا حتى ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا فلم
يجدوا ثمرة نفسه فيها فاموا الدنيا فجروا عنه فانك لا تطمع فيه
لانسان ان يصلي مرة من الصلوة وسطرها او ملئها عن الوساوس لتكون
من خلوص عمل الصلوة اخرى وعلى الجملة فمحبة الدنيا وهذه الاخرى في
القلب مثل الماء الذي يصب في قدح فيه خل فبعد ما يدخل فيه من الماء
يخرج الخل الا محالة ولا يجتمعان فصل اذا سمعت نداء المؤذن فاحضر
في قلبك هول النداء يوم القيمة وقشر بظاهرك باطنك للاجابة
المسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين يدعون باللطف يوم
العرض الاكبر فناداهم على لسان هذا النداء فان دعيت مسارعا بالفرح
الاستبشار مشمرا بالرغبة الى الابتداء فاعلم انه يأتيك النداء بالبشرى
الفوز يوم القضاء ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله ارحنا يا بلال
ارحنا بها وبالنداء اليها اذ كانت قرة عينه فيها واعتبر بفصول الاذان و
كلماته كيف افتتحه بالله واختتمه بالله واعتبر بذلك ان الله جل جلاله هو
الاول والاخر والظاهر والباطن وعظم جلالك بتعظيمه عند سماع التكبير و
استحقر الدنيا وما فيها للذة تكون كاذبة في تكبيرك وانعت عن خاطرك كل
معبود سواه عند سماع التهليل واحضر النبي صلى الله عليه وآله وقد جاء
يدعوك الى شهادة ان لا اله الا الله فخاصا وصل عليه وآله وحرك بقضاء اسمع بلال
وقالت هذا الدعاء الى الصلوة وما اوجب الفلاح وما هو خير الاعمال فحي
عليك عند ذلك بتكبيره وتعظيمه واختم بذلك كما افتتحت به واجعل
مسألتك منه وعودك اليه وتوكلك عليه واعتمادك على حوله وقوته فانه لا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم فصل اذا اتيت بالطهارة وهيأت

وهو ظلوم الاعضاء خؤون ثيابك وهو غلاف الاديب فتوبي بشرياتك
تمزيقه الادنى فانه تفضل عن لباس التقوى ذاك وهو قلبك فاجتهد له
تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرط وتصميم العزم على الفرائض في المستقبل
فطهرها بالطهارة فانه موضع نظر ربك وبيته ال الصادق عليه السلام
وطهر قلبك بالتقوى والتقوى منه طهارة جوارحك بالماء وقد مضى تمام
الخبر في باب الطهارة ثم اذا شرعت بتطهير بدنك عن ابصار الخلق والتباس
فاخطر ببالك فضايح سرك التي لا يطلع عليها الا الرب وطالب نفسك فيها
وتحقق انك لا تساوي شيئا عند الله ان اهلكك الله والحياء والخوف
فتشتغل بما عساك ان تفعل لانجاتك من الخوف والحياء من ربك فعند
ذلك يرحمك ويستكبر تحت الجملة وتقوم بين يدي الله تعالى ذليلا
العبد الحر بالمسي الابق الذي تدم ورجع الى مولاه اكمل لباسه من الحياء
والخوف وبيض مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام بين اللباس الذي
لباس التقوى وبين لباس الجمال والمروة والمباهاة للناس فرق وانما عبر ربنا
اللباس الظاهر وهو من الله فيه زينة بما مر ذكره في هذه السورة كما اكرم الله بها
عباده فذكرها ليذكرهم بها غيرهم وهي الدين بان الله لا يراه الا الذي
الله عليهم وخير لباس لا يخفى على الله بل يقربك من شكره و
ذكره وطاعته ولا يميلك الى العجب والرياء والمفاخرة والمباهاة فاما
من آفات الدين وجوه وسرقة التقوى في القلب واذا لبست ثوب التقوى فاذكر نعمة الله
عليك فتوبك بره وبسترك بطنك بالصدق كما البست ظاهرك ثوبك
وليكن باطنك في ستر الربوبية وظاهرك في ستر الطاعة واعتبر بفضل الله
عز وجل حيث خلق لباس الباس لستر العورات الظاهرة وفتح ابواب التوبة

والاناية لستر بها عورات الباطن من الذنوب واخلاق السوء ولا
تفتح احداهما حيث ستر الله عليك اعظم منه واشتغل بتحصيل
فان قبائح الذنوب من اعظم عقوبة الله تعالى في العاجل وادق اسباب
العقوبة في الاجل وما دام العبد مشتغلا بطاعة الله ومعرفة عيوب
نفسه مقبلا بسائر شراشره على الله منهوما من الآفات خائفا من تبعة الله
يفر بحراه العزيز من الهلكة والبوار وما دام ناسيا الذنوب جاهلا بعيوبه
راجيا الى حوله وقوته لا يفلح ابدا ﴿فصل﴾ وفي مصباح الشريعة
قال الصادق عليه السلام اذا بلغت باب المسجد فاعلم انك قصدت ملكا
عظيما لا يطهر باطنه الا المطهرون ولا يرى محاسنه الا الصديقون وجب
القدوم الى باطن خدمته هيبة الملك فاما على حظ عظيم ان غفلت وعلم
انه فاذا دخل عليه اشتغل بالفضل والفضل معلق بربك فان عطف عليك بفضله
وحسن قبول بما يشاء من اهل الطاعة وفضل لك عليها ثوابا كثيرا واذا نظر اليك بعين
الصدق والاخلاص عد لك الاقل جميلا وقد طاعتك وان كثرت وهو غالب
لما يريد واعترف بعجزك وتقصيرك وفقرك بين يديه فانك متى وجدت للقيام
بحقوق الله فانسه به واعترض بسرك اليه عليه واعلم انه لا يخفى عليه اسرار الخلائق
اجمعين وعلانيتهم وكن كافقر عباده بين يديه واخل قلبك من كل شاغل يحجبك
عن ربك فانه لا يقبل الا الاطهر والاخلص فانظر من اي ديوان يخرج اسمك
وتحت اي علامة من علامات الطيبين والخبيثين يثبت فكان ربحه وكرامته من
حسن اجابة الله عليه واجابته وقد صلحت لخدمته فادخل قلبك الاغنى والاقنى
والاخف وقوت مضطر قد انقطع عنه الحيل وقصر عنا الامل وقضى الاجل
واذا علم الله من قلبك صدق الالتجاء اليه نظر اليك بعين الرافة والرحمة

وليصح عالا يحضره بالله
العزيز وعن شر نفسي وشر
سيئات اعمالنا ومن يتق شر
نفسه ويقه شر الاثم
الصيانة

والعطف وقفل لما يجد ويرضى فانه كريم يحب الكرامة لعباده المضطرين اليه المحتاجين اليه ولا يرد طالبه رضاه قال الله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه
فصل واما الاستقبال فهو صرف ظاهره وجعله عن سائر الجهات الى جهة بيت الله فقرى ان صرف القلب عن سائر الامور الى امر الله يدل على ما سألت عنه فهو مطلوب سواء واما هذه الظواهر فحركات للجوارح وضبط الجوارح وتسكين لها بالاثبات في جهة واحدة حتى لا تتبع حركة القلب فانها اذا بقيت ظاهرة بحركاتها الى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله فطيكن وجه قلبك مع وجه بدنك واعلم انك كما لا تتوجه الوجه الى جهة البيت الا بصرف عن غيرها فكذلك لا يصرف القلب الى الله تعالى الا بقرع عما سوى الله تعالى وقد قال النبي صلى الله عليه وآله اذا قام العبد الى الصلوة وكان هواه وقلبه الى الله انصرف كيوم ولدته امه وقال صلى الله عليه وآله اما يخاف الذي يحول وجهه في الصلوة ان يحول الله وجهه وجه حمار وهذا عن الالتفات عن الله وملاحظة نظرته في حال الصلوة فان الملتفت يمينا وشمالا ملتفت عن الله وقال عن بعض الفقراء اذكر بالله من كان كل التفاته ان يلتفت عن الله العفاة عليه فيحول وجه قلبه كوجه قلب الحمار في تلقفه للاوساخ العلوية وجعله وجهه للعلوم الظاهرة وهي مصالح الشريعة قال الامام عليه السلام اذا استقبلت القبلة فاعزب عن الدنيا وما فيها والخلق وما هم فيه واستفرغ قلبك من كل شاغل يشغلك عن الله تعالى وعاين بقلبك عظمة الله وذكر وقوفك بين يديه يوم تبلى كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وقف على قدم الخوف والرجاء فصل واما الصلاة فهي التحضر والتقلب بين يدي الله عليكن واسأل الذي هو راعي اعمالك ان

متطاطا مستكينا وليكن وضع الراس عن ارتفاعه تنبها على الزام القلب التواضع والتذلل والتري عن التراس والتكبر وليكن على ذكر الله ههنا حاضر المقام بين يدي الله وهو اول المطلع عند التعرض للسؤال واعلم ان المال انما قام بين يديك وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيام مسكين بين يدي بعض ملوك الزمان ان اركنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قف في مقام قيام مسكين ذليل ملهوف مرعوب بعين كالبه من هو اعلى منه من اهل او غرض غلب ان يعرف الصالح ذلك منه فاعتمد الملك اطراقه وتخشع هوارحه وتذكر جميع احواله فحينئذ ان جبل ذلك العاجز المسكين الى الله التخشع واذا آنست من نفسك القاسية عند ما تعظ قلبه مسكين مهانة نفسك وقل لها انك تدعين معرفة الله وحبه افلا تستحيين من ان يعتزل عليه مع قربه من عبده من يخشى من الناس ولا تخشى من الله حيث سئل الخشية منه والبكاء من الله من اعظم القربات فحري بك ان تستحي كما يستحي الرجل الصالح من اهل الله فصل اذا توجهت الى التكبيرات فاستحضر عظمة الله وجلاله وصغر نفسك وحقارتها في جنب عظمته وانحطاطها بمثل هذا عن القيام بوظايف خدمته واستقباح جفاين عبادته وتفكر عند قولك الله اكبر الحق في عظيم ملكه وعز سلطانه واستيلائه على جميع العوالم ثم ارجع الى نفسك بالملك والانكسار والاعتراف بالذنوب والاستغفار عند قولك سبحانك وتطلب نفسك فاغفر لي انك لا يغفر الذنوب الا انت واحضر عند قولك الصلوة بين يدي الله وسل نفسك بين يديه وانه قريب يجيب دعوة الداعي اذا دعاه وجميع ما دان سواه يضيع الدنيا والاخرة لا يجيب عند قولك السلام وسعديك والخير في يديك وفقرهم من الظفر والشواهد لديها محضر الهداية والارشاد عند قولك والشر ليس

اليك الحاجة من هلمت واعزم له بالعبودية وان توامر وجودك لانه
ومعاده سبحانه يقول له عبدك وابن عبدك انا عبدك والك والبك اني
سائل تجود وبك توامر والك معادة وهو الذي ما الخلق
ثم بعيده فاحضر في فهمك هذا المعنى ايقوى منها الى ما يفتح عليك من
الامر الله الذي وفاق الفيض من العالم الاعلى فصل واما اليه فاعزم
على اجابة المتكلم في اثناء الصلوة والمناجاة واما مهاوا لكف عن مواقعتها و
مقدماتها والخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه لتوابه ويخوفا من عقابه و
طلبا للقربة منه متقللا الكلفة ما ذكرناه من المناجاة مع سوء ادبك وكثرة
عصيانك وغفلتك ومنك قد سمعت مناجاته وانظر من شاجى وكيف ساجى
وعند هذا ينبغي ان تعرف جميع ذلك من الجملة وتردده بعينك من الجملة
وبصيرة وجهات من الخوف واما التكبير فمعناه ان الله سبحانه اكبر من كل من
او اكبر من ان يوصف او ان يعبد نفسا لحديث او بقياس او الناس فاذا نطق به لسانك
فينبغي ان لا يكذبه قلبك وان كان في قلبك وهو اكبر من الله تعالى فانه يتبين
انك كاذب وان كان الكلام صدقا كما اشهد على انك انت في قولك الله اكبر
صلى الله عليه وآله رسول الله فان كان هوى الشاغل عليك من امر الدنيا
اطوع لك من ذكر الله وكبرته الهلك وكبرته فيوشك ان يكون الله اكبر كلمة
باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما اعظم الخطر في ذلك لولا
التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله وعفوه فيه مسلم الشريعة
مال الفساق على السلام اذا كبرت خاشعا فاياك ان تلتفت فان الصلوة التي
فان افتتحت اذا اطلع على قلب العبد وهو يكبر يقول له عارض غرضه
كبيرة قال بل اذهب الحق عني وغرقني وجلالي لاخرنك حلاوة ذكري ومناجاتك

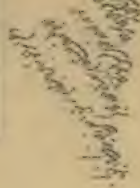

عن قربي والمسارة بمناجاتي فاختبرت قلبك حين صلوتك فان كنت تجد حلاوة
في نفسك وسرورها وتحبها فاعلم ان قلبك مسرور بمناجاته ملتذا بانجاحه فاعلم
انه قد حصل لك في تكبيرك الاولى فقد عرفت من حاله في المناجاة وحرمان حلاوة
العبادة انه دليل على تكذيب الله لك وعلى جلالة خزيه فصل واما دعاء
الاستفتاح فاول كلماته وجهت وجهي الذي فطر السموات والارض
حنيفا مسلما وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر بل ما توجهت وجهته الى جهة
القبلة والله سبحانه منزه عن ان تحده الجهات حتى تقابل وجهك
عليه وانما وجه القلب هو الذي يتوجه به الى فاطر السموات والارض فاحفظ
اليه اسوجه هو الى امانيه وهمه في البيت والسوق ويتبع الشهوات لهم
مقبل على فاطر السموات والارض واياك ان تقول يكون اول مفتتح الخاطر
بالكتب والاخلاق ولمن يتصرف الوجه الى الله الا بانصراف الهمة عما سواه فما
في الحال اليه صرف اليه وان عجزت عنه على الدوام لكن عن الحال حد ما
واذا قلت منها مسلما فينبغي ان يحفظها اللسان المسلم هو الذي سلم المسلمون
من لسانه ويده فان لم تكن كذلك كنت كاذبا فاحتملها ان نعزم عليه في الاشياء
وتشده على ما سبق من الاهوال واذا قلت وما انا من المشركين فاحذر ان تكون
الشرك الخفي فان تعالى في كل ركن ربما لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك
بعبادة ربه احدا ان الذين قصد بعبادته وجه الله وحده الناس وكرسيا من
هذا الشرك واستقم المحالة في قلبك ان وصفت نفسك بانك لست من
المشركين من جزيرة من هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير
منه واذا قلت صلاتي ومحياي فقد فاعلم ان هذا حال عبد مقهور لنفسه موجود
فيه وانه ان صدق من بصناه وغضبه وقيامه وقعوده وبقية الحيوة

ومنعته من الموت لامور الدنيا المركن بها الضال **فصل** واذا فرغت
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم باعلم انه عدو لدود متربص قاصد لقلبك
عزازه عبد الله على بنا جاك مع الله ويجهد له مع انه لعين مسجاة
واحدة تركها ولم يوفق لها وان استعانك بالله سبحانه وتعالى
بما يجب الله لا يجرد قوله ان من تضرع سبع او عدو فيفترسه او يقتله
فقال اعوذ بسبحانك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على ذلك ان ذلك لا
ينفعل لانه يعيده الا تبديل المكان فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محل
الشيطان ومكانه الحرص فاذا يضيفه مجرد القول بل يقترن قوله بالعزيمة على
التحرز بحصن الله الذي جعل من شر الشيطان وحصنه لا اله الا الله فقال تعالى
لا اله الا الله حصني والمتحصن به من لا معبود له سوى الله فما اتخذ اله
هواه فهو في ميدان الشيطان لا يحصن الا من كان بالله ان من يكابد ان
يشغلك بنفسه الصلوة يمكنه الا تقرة وتشغيل الخيالات تمنع عن فهم ما تقرأ فاعلم
ان كل ما يشغلك عن معاني القرآن فهو وسوسة ان حركة اللسان غير مقصودة
بل المقصود المعاني واما القراءة فانما تراد ليحضر بها قلبه رجل يحرك لسانه وقلبه
ساه فلا يحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيسمع نفسه حركة كانه يسمعه
من غيره وهو درجة اصحاب اليمين ورجل يبقى قلبه الى المعاني ولا يحدث
اللسان قلبه فيتحرك بان يكون اللسان ترجمان القلب او يكون لا يعلم
القلب والمقربون الستة تم ترجمان تتبع القلب **فصل** واذا قلت بسم الله
الرحمن الرحيم فانويها البلهة لابتداء القراءة بكلام الله وافهم ان معناه
ان الامور كلها بالله دون الهوى والاسم ههنا هو المسمى واذا كانت الامور
بالله ظاهرة كان الحمد لله ومعناه ان الشكر لله والنعم من الله ومن يرى

من غير الله نعمة او يقصد غير الله بشكره لا من حيث انه مسخر من الله فهو
قصير من تحقيقه نقصان بقدر التفاته الى غير الله فاذا قلت الرحمن الرحيم
فاحضر بقلبك انواع لطفه ليستغرق للشكر فيبعث به رجاءك ثم
استشعر من طريق الخوف بقولك مالك يوم الدين اما العظمة
فلا تملك الا الله واما الخوف فظاهر في يوم الجزاء والحساب الذي هو الملك
وحده فالاخلاص يجتمع من طريقين اياك نعبد وحده الخوف والرجاء والتبرئ من
الحول والقوة بقولك اياك نستعين وتحقق انه ما تيسرت طاعتك الا
باعانته وان له المنة اذ وفقك لطاعته وضمنك لعبادته وحملك العباد
لما جاءك على رجاء التوفيق لكثير من المطرودين مع الشيطان اللعين فاذا
فرغت عن التفويض بقولك اياك نستعين وحل الحجب عن بطنها الحاجة الى الامداد
مطلقا فاسئل من الله ولا تطلب الا اهم حاجاتك وقل اهدنا الصراط المستقيم
الذي يوصلنا الى جوارك ويفضي بنا الى رضاك فتخلص شرها وتفصيلا فاكتفيا
واستشهادا بالذين انعم عليهم بنعم الهداية من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود
والضالين من النصارى فاذا قلت ولا الضالين فاحضر كذلك نفسك ان تكون ممن قال
الله فيهم ما انعم عليهم الذي صلى الله عليه وآله فصل الصلوة بيني
وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي فاذا قال العبد الحمد لله رب
العالمين قال الله حمدني عبدي واثنى علي وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده فاذا جاء الحمد الى
آخره فان لم يكن من صلوته حظ سوى ذكر العبد في جلاله وعظمته فاصبت
غنيمة يمكنك ما يرجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي ان تفهم ما تقرأ من السورة
كما بيني في باب تلاوة القرآن فاذا فرغت من قراءة امر ونهيه ووعد ووعيده

مراعاته واخبار بيانه وذكر بينته واحسانه فكل واحد من هذا الرجاء من
الوعد والخوف من الوعيد والعزم على الامر والنهي والاتعاظ من الموعظة
والتذكر من ذكر المنة والاعتبار من اخبار الانبياء ويكون هذه المعاني بحسب
درجات الفهم ويكون الفهم بحسب نور العلم وصفاء القلب وبحسب
ذلك الاحضر والصلوة مفتاح القلوب فيها ينكشف اسرار الكلام فعلى هذا
حق القراءة وهو حق الاذكار والتسبيحات ايضا تراعى المتانة في القراءة
تمهل ولا تعجل ولا تهذ هذ الشعر ولا تنثره نثر الرمل ولا تفرق بين نغمة آية
الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتعجيد والتعظيم كان بعضهم اذا مر
بمثل قوله تعالى اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله بخفض صوته
كالمستحي عن ان يذكر بكل شيء ويقال لصاحب القرآن اقرأ واترق فكل اقرأ
اية صعد درجة فصل واما دوام القيام وهو تتمة على اقامة القلب
مع الله على نعت واحد من الحضور قال النبي صلى الله عليه والدان افضل
على الصلوات ما لم يلتفت وكما يجب حراسة الراس والعين عن الالتفات الى
الجهات فكذلك يجب حراسة السر عن الالتفات الى غير الصلوة فان التفت
الى غيرها فذكره باطلاع الله عليه فيجب التهاون بالمناجي عند مقابلة المناجي
ليعود اليه والزام الخشوع القلب فان الحاضر عن الالتفات ظاهرا وباطنا
ثمرة الخشوع وهو خشوع الباطن يشهد الظاهر قال صلى الله عليه واله وقد
راى مصليا يعبث بلحيته اما هذا الوضع قلبه لخشع جوارحه قال الراوي
محكما الراوي ولهذا ورد في الدعاء اللهم اصلح الراعي والرعية وهو القلب
الجوارح وكذلك مقتضيه الطبع بين يدي من يعظمه من ابناء الدنيا فكيف
لاشتغاله بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك ومن يطلع

يدي خبر الله خاشعا وينضرب اطرافه بين يدي الله فخذ للمقصود
معرفته عز جلاله وعن اطلاعه على سره وضميره وتدبر قوله تعالى الذي
يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين فصل واما الركوع فينبغي
تجد فيه ذكر كبرياء الله وترفع يديك مستحضرا بعفو الله من عقابه
متبعا سنة نبيه ثم قل سبحان ربي العظيم وبحمده ثلاثا فاذا تواضعت بركوعك وتجنبت بين
يديه طلبا لرفعه بخشوعك واستشعرت ذلك بحضور قلبك واستعنت على تحقيق ذلك
عاونك وقسمت بين يدي ربوبيته ذلك بقلب ملتمس فتسبح ربك وتنزهه
به العظمته وانه اعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك الى ان تكاد التكرار
ثم ترفع من ركوعك راجيا انه راحم ذلك وتوكل الرجاء في تقبل ذلك
سمع الله لمن حمده اي اجاب الله لمن شكره ثم تزيد من ذلك بالشكر التقاضي
المزيد فتقول الحمد لله رب العالمين ثم تزيد في الخضوع والتذلل فتقول اهل
الكبرياء والعظمة والجود والجبروت وعن امير المؤمنين عليه السلام انه سئل
عن معنى قد الصق في الركوع فقال تاويله امنت بك ولو ضربت عنقي وفي
مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام لا تركع عبدا حتى تخشع
الارض التي انت بين يديها وظلك وظل كل شيء وكما كثرة اصغائه في الركوع
اذل والسجود ان تمرغ انفك بعد الاذن الصلح الثاني وفي الركوع ادب في السجود
قريب من الاحسن الادب لا تصلح للقرب فاركع ركوع خاضع قد بقيت ذليل
وعلى بحث مسلطا به خائفا لهجوم بغتة خضوع خائف حزين على ما يفوته من فوائد
الراكعين وعلى ان ربيع بن خثيم كان يمضي الليل الى الفجر في ركعة واحدة قال
عاصم بن ضمرة قال امير المؤمنين وقطع بنا واستوى وذكر عاد استوا
ظهره ولم تخطأ عيناه شيئا من اشياء نجدته الا جعزه وغر القلب من وساوس

الشيطان وخداعه ومكايده فان الله تعالى يرفع عباده بقدر تواضعهم له
وبهدهم الى الوصول التواضع والخشوع والخضوع بتمادى الايام عظمته
على ما يرصده فصل ثم توفى الى السجود وهو اعلى درجات الاستكانة
فكل اذا اعضائك وهو الوجه من اذل الاشياء وهو التراب وان امكنك
لا تحمل بنهاك على الارض فاضع ما تحمل عليه المصنوع واول على
الذل واذا وضعت نفسك وضع الله فاعلم انك وضعتها موضعها
وردتها الى اصلها فانك من التراب خلقت والى التراب تعود فضع هذا
جاه على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربى الاعلى وانكد بالتكرار فان المرة
الواحدة ضعيفة الاثار فان رفع قلبك وطرفك بعد ذلك فاعلم انه بقدر ما
رجاء ربك فان رحمته تتسارع الى الضعف والذل لا الى التكبر والبطر
فارفع راسك مكبرا وسائلا في حاجتك ومستغفرا من ذنوبك مؤاكدا
التواضع بالتكرار وعد الى السجود ثانيا كذلك وتحرا مبدا الوزن على الساذ
انسلا ما معنى السجدة الاولى قال تاويلها اللهم انك منها خلقتنا
من الارض وتاويل رفع راسك ومنها اخرجتنا والسجدة الثانية واليها تعيدنا
ورفع راسك ومنها تخرجنا تارة اخرى وفي مصباح الشريعة قال الصادق
عليه السلام ما اخبر الله من اسرائ بحقيقة السجود لو كان في العبد روح الا
وما اقام من خلل بين في مثال ذلك الهال شيها اجتاد بنفسه فاول الاجتهاد
الله للساجدين من اذل العاجل وراحة الاجل ولا بعد عن الله ابدا ما لم يحن قلبه
في السجود ولا قرب اليه ابدا من اساء ادبه وضيع حرمته بتعلق قلبه بسواه
في حال السجود فاسجد سجود متواضع معذليل علم ان ربك من تلب نظاء الخالق
انه ذكر من نطفة فيستفده ها كل احمد فتجعل الله معنى السجود سبب التقرب

اليه بالقلب والسر والروح فمن قرب منه بعده من غيره الاترى ان الطائف
الله لا يستوفي حال السجود الا بالتواري من جميع الاشياء والاحتجاب عن
كل ما زان العيون كذلك امر الباطن فمن كان قلبه متعلقا في صلوته بشيء دون
الله فهو قريب من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما اراد الله منه في صلوته
قال الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وقال رسول الله صلى
الله عليه وآله قال الله تعالى الا اطلع على قلب عبد فاعلم فيه حب الانفراد
لطاعتي وحبي وابتغاء مرضاتي الا توليت تقويمه وسياسته وصار اشغاله في
صلوته بعيدا عنه فهو من المستهزئين بنفسه مكتوب اسمه في ديوان الخائنين
فصل واذا جلست للتشهد بعد هذه الافعال الدقيقة والاسرار العميقة
المشتملة على الاخطار الجسيمة فاستقبل الخوف الثائر والرهبة والحياء
والوجل ان يكون جميع ما سلف منك غير واقع على وجهه فاجعل بالك
صاعدا من هوايها الا ان تدارك الله برحمته وتقبل عملك الناقص فيه
وارجع الى اصل الامر واصل الدين واستمسك بكلمة التوحيد وحصن الله
الذي من دخله كان امنا ان لم يكن حصل في يديك غيره واشهد له بالوحدانية
واحضر رسوله الكريم ونبيه العظيم صلى الله عليه وآله بالله واشهد
له بالعبودية والرسالة وصل عليه وصل الله محمد واعهد الله باعادة كلمتي
الشهادة شعارها التاسيس اساس العبادة فانها اول الوسايل واساس
الفواضل مرقاة الاجابة صلى الله عليه وآله صلوات عشرا من صلوته
لتحقيقه صلوات عليه التي لو وصل اليك منها واحدة افلحت بها
وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام التشهد شاهد على الله فكن
عبد الله في السر كما تعامله في العلن كما انك له عبد في القول والدعوى

وصل صدق لسانك بصفاء سر لسانه خلقك عبدا وامرك لسان عبده
بقلبك ولسانك وجوارحك وان تحقق بعبوديتك لله بريوبيته لك بعلم
ان نواصي الخلق بيده فلم يحمد نفسه ولا محمدة الا بتقديره ومشيته
هو عاجز دون عجز اتيان اقل شيء في مملكته الا باذنه واراده فاعمل
العون به في الدنيا بحكمته وفي العبادة في اداء اوامره وقد امرك بالصلاة على
نبيه محمد صلى الله عليه واله فاوصل صلوته بصلوته وطاعته بطاعته
وشهادته بشهادته وانظر ان لا تعوك ركاب معرفته عن عرفان
صلوته فصل واذا فرغت من التشهد فاحضر نفسك بحضرة نبيك بين
والملائكة المقربين وبقية انبياء الله واشعته عليهم السلام والحفظة فانك
من الملائكة المحصين لانها الملك واحضر روحك في الدنيا وقل السلام عليكم
ورحمة الله وبركاته ولا تطلق لسانك بصيغة الخطاب من غير حضور المخاطب
في ذهنك متكونا من العابدين والملائكين وكيف تسمع الخطاب ليلا تقصد
لولا فضل الله تعالى ورحمته الشاملة وافدته الكاملة في اجتنابه ذلك
عن اصل الواجب ولا كان يصدر عن درجات القبول منحطا عن اعلى القرب
والوصول ولذلك كنت لساما القوم فاقصدهم بالسلام مع من بعدهم من المقصرين
وليقصد بها هم الرد عليك ايضا ثم يقصد بها من قصدك بسلام فاذا
فعلت ذلك فعتاد ان تستحضر وظيفة السلام واستعفت من الله من زيادة الاكرام
وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام في تعريف صلوة
الامان من اذى امر الله وسنة نبيه حال الصلاة خاشعا قلبه الامان من
بلاء الدنيا وبراءة من عذاب الاخرة والسلام من اسماء الله تعالى اودعه خلقه
ليستعملوا معناه في المعاملات والامانات والانصافات وقصد في مصالحهم

بينا بينهم وصحة معاشرتهم وان اردت ان تضع السلام موضعه
تؤدي معناه فاذن الله وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك ان لا تنسبها
بظلمة المعاصي وليسلم حفظتك ان لا تتعبهم في نقلها وتوحشهم
منك خوف معاملتك معهم شر صديق شر معلوك فان لم يسلم منه
من هو الاقرب اليه فالابعد اولى ومن لا يضع السلام مواضعه هذه فلا
سلام ولا اسلام ولا تسليم وكان كافا في سلامه وان اضاء في الخلق
فصل اعلم ان تخليص الصلوة عن الآفات واخلاصها لوجه الله واداءها
بالشروط الباطنة التي ذكرنا لها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول
انوار في القلب تكون تلك الانوار مفاتيح للعلوم الباطنة قال الله تعالى قد
افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون فنعتهم بعد الايمان بصلوة
مخصوصة وهي المقرونة بالخشوع ثم ختم اوصاف المفلحين بالصلوة فقال
في اخرها والذين هم على صلوتهم يحافظون ثم قال في خاتمة تلك الصفات
اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فوصفهم
بالفلاح اولا وبوراثة الفردوس اخرا وقال النبي صلى الله عليه واله اذا قام
العبد المؤمن في صلوته نظر الله اليه او قال اقبل الله عليه حتى يصرف
انفته الرحمة من فوقه راسه الى افق السماء ووكل الله به ملكا قائما على رأسه
يقول ايها المصلي لو تعلم من ينظر اليك ومن تناجي ما التفت ولا انت من
موضعك ابدا فصل وتختص صلوة الجمعة باستحضار انها يوم عظيم
وعيد شريف خص الله به هذه الامة وجعله فاتحا شريفا للعبادة ليتزينوا
فيه من جزاره ومعدهم من طرده وناره وحشهم فيه على الاعمال الصالحة
الاعمال وقاضيه ما فرط منهم في بقية الاسبوع من الاهمال وجعل لهم

ما يقع فيه من طاعته وما يوجب الزلفى لديه صلوة الجمعة وعبر عنها
في محكم كتابه الكريم بذكر الله وخصها من بين سائر الصلوات التي هي افضل
القربات بالذكر وقال سبحانه يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة من يوم
الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون في
هذه الايات الشريفة من التنبيهات ما لا تكاد تبلغ غايته لذوي الحظ من
المعاني ومن اهمها عبر عنها التعبير عن الصلوة بذكر الله فانه يدل على ان
الغرض الاقصى من الصلوة ذكر الله في القلب واحضار عظمته بالبال فان هذا
واشباهه هو السر في كون الصلوة ناهية عن الفحشاء والمنكر وهذا لا
يتم مع التوجه التام الى الله وملاحظة جلاله الذي هو الذكر الاكبر والذكر
على ما ورد في بعض التفاسير فضلا عن ان يكون ذكرا مطلقا فلا جرم وجب
الاهتمام به زيادة على غيرها من الصلوات والتهيؤ والاستعداد للقاء
الله والوقوف بين يديه والسؤال في حضرته والفوز بمخاطبته بعد الاذان
بمقدمات الصلوة من وظايف اليوم من التنظيف والتطيب والتعمم
وحلق الراس وقص الشارب والاظفار وغير ذلك من السنن بقلب مقبل الى الله
وعمل مخلص ونية خالصة كما تقول في الدعاء ما اقبل الدنيا ولا يقصد به
الوظايف خلاف الرغائب فخص صفة الله وطهره بعد ذلك سرا بالك وكلما
امكنك تكثير الخطاب التي يترتب عليه الثواب بجعلك ما تقصد به ايضا من
ثواب عملك ان يقصد بها ان امكنك ذلك فصل واما صلوة العيدين
فالحضر في غالب البلاد في يوم قسمة الجوايز تفرقة الرحمة وافاضة المواهب
على من قبل صومه وقربانه وقام بوظايفهما فاكثر من الخشوع في صلوتك
الابتهال الى الله تعالى فيها وقبلها وبعدها في قبول اعمالك والعفو عن

تقصيرك واستشعر الحياء والخجلة من جريرة الرد وخلان النظر فليس في ذلك
اليوم بعيد من ليس بعيد وانما هو وعيد من امن من الوعيد وسلم من التقاش
والتهديد واستحق بصالح اعماله المزيد فاستقبله بما استقبلت به يوم
الجمعة من الوظايف واسباب التهيؤ للاقبال بالقلب على رب الارض
والسموات عسى ان تصلح للشفاعة والخضوع لديه ولا تحصل فرجل عنه بالم
تعالى لاحد من متاع الدنيا بل بكثرة عوايد الله عليه على مر عامله بتلك الخيرة
فصل واما الايات فاستحق عندها اهوال الاخرة وزلازلها كثرة
الشر والغرر وظلمة القيامة وحبط الحسنات وغيرهم من الاخذ والكلال
والعقوبة والاستيصال فاكثر من الدعاء والابتهال اليه بالخضوع والخشوع
للعورات والرجاء والنجاة من تلك الشدايد والهوء بعد الظلمة والسلامة
على الحضوة والزلفة وسل الله من فتوباته واحسن التوبة عسى ان ينظر
اليك وانت منكسر النفس مطرق الراس مستحي من التقصير فيقبل توبتك
ويضاعف مثوبتك قال النبي عليه السلام لا يفرغ المايتان ولا يرهب الاسد كان
من شيعتنا فاذا كان ذلك منهما فزعوا الى الصلوة واجمعوه وقال الرضا عليه السلام
انما جعلت للكسوف صلوة لانه من ايات الله تعالى لا يدرى الرحمة ظهرت ام
لعذاب فاحب النبي صلى الله عليه وآله ان يفزع امته الى الخالق فيهما وداعيا
عند ذلك ليصرف عنهم شرها ويقيهم مكروهها كما صرف وخوف قوم يونس حتى
تضرعوا الى الله عز وجل فصل ينبغي للمصلي ان يعقب فريضته بالذكر الوارد
فقد ورد في فضائل الاعمال ما لا سبيل عقيب الصلوات ما لا يحصى اما الذكر فالذي
سنه هو الذكر على الدوام او في اكثر الاوقات مع حضور القلب وهو غاية ثمرة
العبادات والذكر اول واخرها وله يوجب الاثر والخير واخر يوجبه الاصل في الجنة

والمطلوب منه ذلك الامر فان العبد في بداية الامر يكون متكلفا بحضور
قلبه ولسانه عن الوسوسة الى ذكر الله تعالى فان وفق للمداومة على هذا
الغرض في طلب المذكور ومن احب شيئا اكثر ذكره ومن اكثر ذكر شيئ و
ان كان متكلفا احبه فاذا حصل الامر بذكر الله انقطع عن غير الله و
ما سوى الله فيفارقه عند الموت ولا يبقى الا ذكر الله فان كان قد انس به
به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه اذ ضرورات الحاجات في الجنة
تصد عن ذكر الله ولا يبقى بعد الموت عائق فكأنه خلي بينه وبين محبوبه فيطيب
غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعا عنه عائدا اليه وهذا الامر
يتلذذ به العبد بعد موته الى ان ينزل الى جوار الله وموته في من الذكر الى القاء
واما الدعاء فهو مخ العبادة كما ورد في الحديث النبوي وعن الباقر عليه السلام
في قوله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين قال
هو الدعاء وافضل العبادة الدعاء وقال في قوله سبحانه ان ابراهيم لاواه
حليم قال الاواه هو الدعاء وسئل عليه السلام اي العبادة افضل فقال
ما من شئ افضل عند الله من ان يسأل ويطلب ما عنده وما من احد ابغض
الى الله ممن يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده وقال امير المؤمنين عليه السلام
احب الاعمال الى الله تعالى في الارض الدعاء وكان عليه السلام يعلم دعاء و
قال عليه السلام الدعاء مفاتيح النجاح ومقاليد الفلاح وخير الدعاء ما صدر
عن صدق وقلب تقي ومن المناجات سبب النجاة والاخلاص يكون الخلاص
فاذا اشتد الفزع فالى الله المفزع وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام
احفظ ادب الدعاء وانظر من تدعو وكيف تدعو ولماذا تدعو وحقق عظمة الله
وكبرياءه وعاين بقلبك عظمة ما فوقك ليدعوه اطلاعه على سرك وما يكن في

الحق والباطل واعرف طريق نجاتك وهلاكك كيلا تدعو الله بشئ فتقول
وانت تظن انه من نجاتك قال الله تعالى ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان
الانسان عجولا وتفكر ماذا تسأل وبماذا تسأل والدعاء استجابة لكل بسأل
الحق وتدعو به الحجة في مشاهدة الرب وقبول الاختيار جميعا وتسليم الامور
كلها لما هو رجاؤها اطنها الى الله فان لم تمتنع شرط الدعاء فلا تستعجل الاجابة فان
يعلم السر واخفى فلعلك تدعوه بشئ قد علم من غيبك بخلاف ذلك واعلم
انه لو لم يكن امرنا الا بالدعاء لكفى اذا اخلصنا الدعاء تفضل علينا بالاجابة
ولكنه وعد بعض ذلك لمن راعى شرائط الدعاء قال فاذا اتيت بما ذكرت لك من
شرائط الدعاء واخلصت سرك لوجهه فاسئله حاجتك اما ان يعجل لك بما
سألتاه فيما هو اعظم منه واما ان يصرف عنك من البلاء ما هو اعظم منه
ارسل عليك لهلكت وروي عن الصادق عليه السلام انه قال اسرع الصالحات
اجابة دعاء فسل ما بدا لك ولا يستجيبن لك فقال لا تكونن ممن لا تعرفونه و
تسألون ما لا تفهمونه فالاصطبار بين الدين وكثرة الدعاء مع العصمة من الله
من جملة الخلال التي لا بد منها عند ذلك نفسه وقلبه وسره تحت قدرة الله
حكم على الله السؤال وظن ان سؤاله دعاه والحكم على الله من الجرأة على الله

الباب الرابع في خلق القرآن

الذي صلى الله عليه وآله القرآن هدى من الضلالة وتبيان من العمى واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء
من الاجداث وعصمة من الهلكة ورشد من الغواية وبيان من الفتن وشفاء
من التردي الى الآخرة وهو كلام الله ووحيه وتنزيله احدث القرآن الا الى الناس
وقال صلى الله عليه وآله انا اول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة وكتابه
اهل بيتي ثم امتي ثم قال لهم ما فعلتم بكتاب الله واهل بيتي وقال امير المؤمنين

صلوات الله عليه في وصاياه لابنه محمد بن الحنفية وعليك بتلاوة
القرآن والعمل به ولزوم فرايضه وشرايعه وحلاله وحرامه وامره ونهيه
والتهجد به وتلاوته في ليلك ونهارك الخ وعنه عليه السلام قال الله تعالى الى
خلقه وهو واجب على كل مسلم ان ينظر كل يوم في تعهده ولو خمسين اية
واعلم ان درجات الجنة على قدر ايات القرآن فاذا كان يوم القيمة يقال
لقارئ القرآن اقرأ وارق فلا يكون في الجنة بعد النبيين والصديقين ابلغ
درجة منه وعن الباقر عليه السلام من قرأ القرآن وهو احسن ظنا بالله
فرأى انه ليس من المسلمين فيقولون هذا رجل صالح وهو الى الملائكة المقربين فيقولون
هو صالح حتى ينتهي الى رب العزة جل وعز فيقول يا رب فلان بن فلان انك
هو اجره واسهرت ليله وظمأ نهاره وفلان بن فلان لم أظنك هو اجره ولم
اسهر ليله فيقول الله تعالى ادخلوه الجنة على سماء لهم فيقولون فيقول
فيقول الله من اقرأ وارقى قال فيقرأ او يرقى بكل اية درجة فمنهم من يأتيه
الذي له فيزينها ومن ينتهي الى حيث شاء الله عليه وآله ما يقرب منه مع نبي او صديق
وعن الصادق عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله اقرأوا القرآن
بالحان العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق واهل الكبائر فانه سيجيء بعدي
اقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانية لا يجوز تراقيهم قلوبهم
مفتونة وقلوب من يعجبه شانهم وعنه عليه السلام انه سئل عن قول الله
عز وجل ورتل القرآن ترتيلا قال امير المؤمنين عليه السلام بينه تبيانا ولا
تهذه هذا الشعر ولا تنثره نثر الرمل ولكن اقرعوا قلوبكم القاسية ولا يكن هم احدكم
اخر السورة وفي رواية اخرى قال الترتيل هو حفظ الوقوف وبيان الحروف وعن
عن الصادق عليه السلام هو ان تمكث به صوتك وعنه عليه السلام

قال القرآن نزل بالحزن فاقرؤه بالحزن وعن النبي صلى الله عليه وآله اتلوا
القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن الصادق عليه السلام قال النبي
صلى الله عليه وآله لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن وعنه
عليه السلام قال كان علي بن الحسين عليه السلام احسن الناس صوتا بالقرآن
وكان السقائون يمرون فيقفون ببابه يسمعون قراءته **فصل** في مصباح
الشريعة قال الصادق عليه السلام من قرأ القرآن ولم يخضع له ولم يرق قلبه
ولم يشتق حزنا وجلا فقد استهان بعظم شان الله وخرجها
سيما قارئ القرآن يحتاج الى ثلثة اشياء قلب خاشع وبدن فارغ وموضع
خال فاذا خشع قلبه ومنه الشيطان الرجيم قال الله تعالى فاذا قرأت
القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم واذا تفرغ نفسه من الاسباب
تخرق قلبه للقراءة فلا يعترضه عارض فيجريه على نور القرآن وعزايبه واذا تخلى
محلا خاليا فاعزل من الخلق بعدان يكون الجلساء ثلثة الاولى استماع
وسره بالله وعبد حادق بمخاطبات الله عباده الصالحين وعلم لطفه بهم
ومقام اخصاصه لهم بقبول كراماته وبدايع اشاراته فاذا شرب كاسا
من هذا المشرب حينئذ لا يختار على ذلك الحال حالا ولا على ذلك الوقت وقتا
بل يؤثره على كل حالة وعبادة لان فيه المناجاة مع الرب بلا واسطة فانظر
كيف تعزاكتاب ربك ومنشور ولايتك وكيف تجب اوامره ونواهيه وكيف
تمتثل حدوده فانه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد عز فلا ترتيلا وقت عند وعده ووعيده وتفكر في امثاله
ومواعظه واخذ ان يقع من اوامره ونواهيه اضاعة حدوده **فصل**
ينبغي لقارئ القرآن ان يعرف باطنه منها فهم عظم الكلام وعلوه وفضل

تعالى ولطفه تجلى لخلقه في كلامه لعبده على قدر ما يطيقون بما ركبه في قلوبهم من قوة افهامهم فانظر
كيف لطف تجليه في ايصال معاني كلامه الذي هو صفة ذاته الى افهام خلقه وكيف شبهت له صفات الصفة وملحوظ وصف واصوات محدثة
صفات البشر لان عجز البشر عن الوصول الى فهم صفات الله الا بوسيلة
صفات نفسه ولولا استئثاره بكنه جلال كلامه بكثرة الوجوه لما تشابهت
الكلام عشر ولا اثرى ولتلاشى ما بينها من عظمة سلطانه وسطوات
نوره ولولا ثبيت الله نبيه موسى عليه السلام لما اطاق سماع كلامه كما
يطيق الجبال صلابة تحليله حيث صار دكا وصعقا كما ان الناس لما اراد الله ان
يفهموا بعض الدقائق الطير مأمورين من قديمها وتاجيرها واقاصي
انحائها وادانيها للتقصير تعبيرها عن فهم كلامهم الصادر عن انواع
عملهم مع حسنه وترتيبه وبديع نظمه منزلوا الى درجة تميز انواعها
واصواتها فاصدرهم الى بواطن انهاء باصوات يصنعونها الاقرب من التفهم
والصفير والاصوات القريبة من اصواتهم التي يطيقون حملها وكان الجسام
البشرية اكثر وهم لكان الرفع فلذلك اصوات الكلام وشئون الحكمة الرفيعة
والكلام على المنزلة ورفيع الدرجة قاهرة السلطان نافذ الحكمة الوزن بالعدل
وهو القاضي العادل والشاهد المرتضى يأمر وينهى ولا طاقة للباطل ان
يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل ان يقوم قدام شعاع الشمس ولا
طاقة للبشر ان ينفذوا عن الحكمة كالطاقة لهم ان يسدوا بأكفهم ضوء
عين الشمس ولكنهم بنالون من عين الشمس ما تحيى به ابصارهم ويستدلون
به على جواهرهم فقط **فصل** ومنها التعظيم للكلام فالقارئ عند
البداية بتلاوة القرآن ينبغي ان يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم ان ما

يقرأه ليس من كلام البشر وان تحت ظاهره كلامه غاية الخطر فانه تعالى قال
لا يمسه الا المطهرون وكما ان ظاهر جلد المصحف وورقه محرم بحدث
ظاهر بشرة اللامس الا اذا كان متطهرا فباطن معناه ايضا محكم عزيز وجلال
محجوب عن باطن القلب الا اذا كان منقطعا عن كل بحر وسنية الى بحر التعظيم
والتوقير وكما لا يصح لمس جلد المصحف كله فلا يصح لتلاوة حروفه كل
لسان ولا لسماع معانيه كل قلب ومنها حضور القلب وترك حديث النفس
وهما يتولدان من التعظيم فان المعظم لكلام الذي يناجيه يستشرف ويتأنق
ولا يغفل عنه فتوالي القرآن ما يستأنس به القلب ان كان من اهل الانس
بطالب الانس بالذكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج والذي يتفرج في المتنزهات
لا يتذكر في غيرها ومنها التدبر وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتذكر في
غير القرآن ولكنه يقتصر على جمع القرآن من غير تدبر وهو لا يتدبر والمقصود
من القراءة التدبر قال الله تعالى افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها او
لذلك سمي به الترتيل الآتي الظاهر يتمكن من التدبر في الباطن قال
امير المؤمنين عليه السلام لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر
فيها واذا لم يتمكن من التدبر الا الترديد فليرددها وعن ابي ذر رضي الله عنه
قال قام بنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقام ليلة بآية يرددها الى
تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم **فصل**
ومنها التفهم وهو ان يستوضح من كل آية ما يليق بها فان القرآن يشتمل
على ذكر صفات الله تعالى وذكر افعاله وذكر احوال اعدائه وذكر احوال المخلصين
له وانه كيف اهلكهم وذكر اوامره ونواهيه وذكر الجنة والنار وما اعد
الله فكقوله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وكقوله الملك القدوس السلام

المؤمنين العزيز الجبار المتكبر فلما تامل بعض هذه الصفات ولا
ليكشف له اسرارها فحجبتها معان مدققة لا يكشف الا للموقنين اليه
اشار امير المؤمنين عليه السلام بقوله ما سر الى رسول الله صلى الله
عليه واله شيأ اكتمه عن الناس الا ان يوفق الله تعالى عبدا فهما في كتابه
فليكن جريصا على طلب ذلك الفهم واما اضافته فكذكره خلق السموات
والارض وغيرها فانها مما الى بعضها صفات افعاله وجلاله اذ الفعل يدل على
الفاعل فمبدع عظمته على عظمته ومنبئ ان يشهد ان الفعل العالم يدل
الفعل لم يزل والحي الذي اوجد كل شيء اكمل شيء منه واليه وجه وله وملاك امره
في كل ما يأتيه فكانه سار عز وجل عز ان كل شيء ما خلا الله باطل
ان كل شيء هالك الا وجهه واما احوال الانبياء فاذا سمع منها كيف كذبوا
وضربوا وقتلوا فليفهم منه صفة الاستغناء عنه تعالى عن ارسال من ارسل
اليهم لانه اعلم بجميعهم لم يؤثر في ملكه واذا سمع نصرته لبعض الانبياء
عليهم فقدرة الله واراداته لنصرة الحق واهله الموالي للمكذبين كما جاء وشوهد ما
جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار العزة من سطوته ونفسه ويكمل
حظه منه الاجتناب في نفسه وانه ان يفعل ما اصابهم او يأتي بما اتوا به
يدكه النقمة ويفنديه القضية وكذلك اذا سمع وصف الجنة والنار
وسائر معاني القرآن فلا يمكن استقصاء ما فيهم منه لان ذلك لانهاية له
انما الكمال عبد منه بقدر وفقه فلا تطلب حقائق الاشياء بعين فاضل
ومنها التحفظ عن موانع الفهم فان اكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن لاسباب
وجب اسدلها الشيطان على قلوبهم فحيت عليهم عجائب اسرار القرآن الذي
النبي صلى الله عليه واله لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم

نظروا الى الملكوت وسعاني القرآن من جملة الملكوت لانها امانة بيد
بنور البصيرة دون الحواس وحجب الفهم اربعة اولها ان يكون الفهم
منصرفا الى تحسين العبارة وتجويد الفاظها دون التدبر في معانيها وهذا يتولى حفظه شيطان
وكل القرآن ليصرف الناس عن فهم معاني كلام الله ولا يزال يحملهم
على تجويد الحروف تخيل اليهم انه لم يخرج عن مخرجه فيكون تاملهم
مقصورا على مخارج الحروف فاني ينكشف له المعاني واعظم حجب الشيطان
متركان مطيعا له بمثل هذا التلبيس فانبهان يكون مقلدا للمفهم بمعه
بالتقليد وجدا عليه وثقته فيه فالتعصب له يجر الاتباع للمسموع من غير
وصول اليها ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيد معتقده عن التجاوز
فلا يكاد ان يخطر بباله غير معتقده فان لم يرق طبعه بالله عن من
المعاني التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التعليم بحملة وقال كيف تخطر
هذا بالك مع خلاف معتقدنا بل عساك ان تظنها ان يكون مصرا على فساد
متصفا بكبيرة ويتلى على الجملة بعض ما في الدنيا مطاع فان ذلك سبب لحب المال
وصفاته وهو كالحشف على المرأة ولذلك قال النبي صلى الله عليه واله ما تركت
امتي للدنيا والدرهم نزع منها صبية الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر الوحي وفقد شرط اهلية الاجابة في الفهم والتذكر قال تعالى تبصرة وتذكرة لكل
عبد منيب وقال وما يتذكر الا من ينيب وقال انما يتذكر اولوا الالباب والذي
اشغرف الدنيا على نعيم الاخرة فليس من ذوي الالباب فذلك لا يتذكر الحرام
الكتاب رابعها ان يكون مقرا تفسيرا ظاهرا واعتقد انه لا معنى لكلمات
القرآن الا ما تناوله النقل فان ما وراء ذلك تفسير بالرأي فان من فسر القرآن
برأيه فقد تبوء مقعده من النار هذا لا يدنى ما معنى التفسير بالرأي

لا يفهم معنى قول امير المؤمنين عليه السلام الا ان يوفق احد العبد فيها
في القرآن وانه لو كان هو الظاهر المتداول لما اختلف الناس فيه وفصل
رسمها الخصوص وهو ان يقال ان المقصود بكل خطاب في القرآن فان سمع
امرا او نهيا فانه هو المأمور والمنهي وان سمع وعدا او وعيدا فكذلك
وان سمع قصص الاولين علم ان العبر غير مقصورة وانما المقصود الانتفاع
واخذ ما يحتاج اليه فمن قصة في القرآن لا سيما انها اضافها في حق النبي
امته ولذلك قال لكي نثبت به فؤادك فليقدر العبد ان الله يخاطبه
فؤاده بما يقصه عليه من احوال الانبياء وصبرهم على الاذى وثباتهم في الليالي
لانتظار نصر الله وكيف لا يعتبر هذا والقرآن ما انزل على رسول الله صلى الله عليه
بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك امر الله الكافة بتدبر
الكتاب فقال ولتذكر وا نعمة الله عليكم وما انزل اليكم من الكتاب والحكمة
وقال ولقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وانزلنا اليكم الكتاب تبيانا
للناس وانزل اليهم لكي يتفكروا فيه للناس ايضا فهو هذا بصائر للناس
وهدى ورحمة لقوم يوقنون هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين
واذا قصد بالخطاب جميع الناس قصد الاحاد فهذا الواحد القارئ مخصوص
شأنه ولسائر الناس فليقدر انه المقصود قال بعض الحكماء هذا القرآن كتاب
انتاس ضل بنا بعهوده فتدبرها في الصلوات ونفذ عليها في الطلوات
ونفذها في الطاعات بالسر المتقاضا فصل ومنها الثاني وهو ان يتأثر
قلبه بما يتلفظ به بحسب اختلاف الايات فيكون لكل فهم حال
وجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيرها وبيان
ثمرته فكانت الخشية اغلب الاحوال على قلبه فان التصديق غالب على آيات

القرآن فلا ترى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العبد عن
نيلها كقوله تعالى وانى لغفار ثم اتباعه ذلك باربعة شروط الى ما بعده
امن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين
اسوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ذكر اربع شرائط
وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين
فالاحسان يجمع الكل وهكذا من يتصفح القرآن من اوله الى اخره يرى
فهمه ذلك يجب ان يكون حاله الخشية والحزن ولذلك قيل ما اصيب
عبد بشيء من هذا القرآن بمنزلة الاكثر حزنا وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه
وكثر نصبه وشغله وفلت راحته وبطالته فتأثر العبد بالتلاوة ان
يصير صفة الاية المتلوة فعند الوعيد وتشديد المغفرة بالشروط يضاف
من خيفته كانه يكاد يموت وعند التوسيع ووعد المغفرة يستبشر كانه
يطير من الفرح وعند ذكر صفات الله واسمائه ينطاط خضوعا لجلاله
استشعارا لعظمته وعند ذكر الكفار يستحيل على الله تعالى ان كذبهم
الله ولدا وصاحبة يغيض صوته ويتكسر في باطنه حياء من قبح مقالهم
عند وصف الجنة ينبعث باطنه شوقا اليها وعند وصف النار ترتعد
فرائصه خوفا منها فالقرآن انما يراد لاستجلاب هذه الاحوال الى القلب
للعمل به والا فالمونة بجر بالسان بحروف خفيفة السائل واللسان المعرض
عن العمل جدير بان يكون هو المراد بقوله ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة
ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى بقوله تعالى كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اي تركها ولم تنظر اليها ولم تعبأ بها فان المقصر في الامر جدا
انه في الامر فتلاوة القرآن حق تلاوته ان يشترك فيها اللسان والعقل

والقلب لحفظ اللسان تصير الحروف بالترتيل وحفظ العقل تصير العلوم بحفظ القلب الالحاظ والمناظر بالاذكار والاعتبار والاعتبار فالسان واعظ العقل مترجم والقلب متعظ **فصل** ومنها الترقي واعني ببيان يترقى الى ان يسمع الكلام من الله تعالى لا من نفسه وقد جاءت الروايات انا ما ان يقدر العبد كانه يرى الله تعالى فان لم يكن يراه فان الله يراه وهو ناظر اليه وهو يسمع منه فيكون حاله في هذا المقام بعد التطهير بالسوال والتملق والتضرع والابتهال ثم ان يشهد بقلبه كان ربه يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه فيقامه الحيا والتعظيم والاصغاء والفهم ثم ان يرفع الكلام المتكلم به الى الكلمات الصفات فلا ينظر الى نفسه ولا الى قدرته ولا الى تعلق الانعام به من حيث انه منعم عليه بل يكون مقصوره على المتكلم مستوفيا الفكر عليه كانه مستغرق عن شاهد المتكلم عن جميع ما هو دون هذه الدرجة المقربين وما قبله من درجات اصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو من درجات الغافلين عن الدرجة العليا. اخبر الصادق عليه السلام عن الله تعالى واعده انه يتجلى الله لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون وقال ايضا وقد سالوه عن رجل اطال قراءة هذه الاية على طريق حتى سمعها من المتكلم بها فلما سئلت حسبت لعاية تلك وفي تحصيل هذه الدرجة تعظم الغلاظة والذلة للحياة وذلك لا يحصل الحكماء كنت اقرا القرآن فلا اجد له حلاوة حتى تلوته كانى اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله يتلوه على اصحابه ثم دخلت المقام فوجدت فكنت اتلوه كانى اسمعه من جبرئيل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم جاء الله تعالى بمنزلة اخرى فانا الان اسمعه من المتكلم به فضلا عن حديث الذي رضيا لا يحبه

فصل ومنها التبري واعني به ان يتبرى عن حوله وقوته والالتفات الى نفسه بعين الرضا والتزكية فاذا تلا ايات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد المؤمنين والمصدقين فيها ويتشوق ان يلحقه الله بهم واذا تلا ايات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد نفسه هناك وقد دانه الخطاب خوفا وشفاقا وفي هذا اشار امير المؤمنين عليه السلام في الخطبة التي يصف فيها المتقين بقوله واذا مروا بآية فيها تخويف اصغوا اليها مسامع قلوبهم وظنوا ان زفير جهنم وشهيقها في اصول اذانهم فاذا راى نفسه موصوفة بالتقصير في القراءة كان ذلك سبب قربه فان من شاهد البعد من القرب لطف له بالخوف حتى يسوقه الى درجة لمزي في القرب وراءها ومن شاهد القرب في البعد مكروه الامر الذي يفضيه الى درجة الاخرين في البعد اسفل مما فيه وهكذا كان شاهد نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه واذا جاوز حد الاثنينية الى نفسه ولم يشاهد الا الله في قراءته انكشف له الملكوت وجب له الدهش حيث تتلو ايات الرحمة ويغلب على حاله الاستبشار ينكشف له صورة الجنة حتى شاهدها كانه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى تلك الاهوال عيانا وذلك لان كلام الله يشتمل على اللطيف والشديد والعسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب اوصافه اذ منها الرحمة واللطف والانعام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القارئ في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للكاشفة بامر يناسب تلك الحالة فيقدر بها اذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا فان المسموع مختلف اذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يمل

الباب الخامس

في الزكوة والمعروف قال الله تعالى واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وقال
النبي صلى الله عليه وآله اذا منعت الزكوة منعت الارض بركاتها وقال
الباقر عليه السلام ان الله تعالى قرن الزكوة بالصلوة قال واقيموا الصلوة و
اتوا الزكوة فمن اقام الصلوة ولم يؤت الزكوة فلم يقم الصلوة وقال
الصادق عليه السلام ما فرض الله على هذه الامة شيئا اشد عليهم من
الزكوة وفيها تهلك جماعتهم وقال من منع قيراطا من الزكوة فليس هو من
المسلمين وهو قوله تعالى ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين وقال
عليه السلام من زكى ماله نمى ماله ومن لم يزك ماله لا يحسب الله
يوم القيمة بقاع قرقر وسلط عليه ثعبانا اقرع ينهش وهو يحيد عنه فاذا
رآه انه لا يخلص منه امكنه من يده فضمها كما يقضم الفحل ثم يصير
طوقا في عنقه وذلك قول الله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة وما
من ذي مال ابل او غنم او بقر يمنع زكوة ماله الا حبسه الله يوم القيمة بقاع
قرقر بطاح كل ذات ظلف ظلفها وينهشه كل ذات ناب نابا وما من ذي مال
نخل او كرم او زرع يمنع زكوتها الا طوقه الله يوم القيمة من سبع ارضين
الى يوم القيمة وقال عليه السلام انما وضعت الزكوة اختبارا للاغنياء و
معونة للفقراء ولو ان الناس ادوا زكوة اموالهم ما بقي مسلم فقيرا محتاجا
ولاستغنى بما فرض الله له وان الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا
عروا الا بذنوب الاغنياء وحقيق على الله ان يمنع رحمته ممن منع حق الله في
ماله واعظمه الذي خلق الخلق وبسط الرزق وانما مناع مال في برولا
الا بتضييع الزكوة وما صيد صيد في بر ولا بحر الا بترك التسبيح في ذلك اليوم
ولان نصب الناس الى الله تعالى اسخاهم كفا واسخى الناس من اخرج زكوة ماله ولم

يجعل على المؤمنين ما افترض الله لهم في ماله وقد روي انه قال ان الله حبب
الاموال الى المساكين فرضيها بكيلهم من كل اربعين شاة شاة وعشرين دينارا دينارا
بكيلهم لرأفته بهم وقال عليه السلام ان الزكوة ليس تحمد بها صاحبها و
انما هو شيء ظاهر انما حقن بها دمه وسمي مسلما ولولم يؤدها لم تقبل
له صلوة وان عليكم في اموالكم غير الزكوة سبيل صلات الله وما عليكم في
اموال الناس غير الزكوة فقال سبحان الله اما تسمع الله تعالى يقول في كتابه وفي
اموالهم حق معلوم للسايل والمحروم قيل فاذا الحق المعلوم الذي علينا في اموالنا
هو ما نعطيه الشيء بعد الشيء فيما له بعطيه في اليوم او في الجمعة او في
الشهر وان اكثر فليس عليه في هذا وقوله تعالى ويمنعون الماعون قال هو الفأس
يستعيرها والمعروف يصنعه ومتاع البيت يعيره ومنه الزكوة فقيل ان انا
عيرانا اذا اعزلهم متاعا كسروه وافسدوه فعلينا جناح ان منعهم فقال لا
ليس عليكم جناح ان تمنعهم لانكم انما تؤكلونهم قيل يطعمون الطعام على حبه
مسكينا ويتيما واسيرا قال ليس من الزكوة قيل قوله تعالى ينفقون اموالهم
بالليل والنهار سرا وعلانية قال ليس من الزكوة قيل ان تبدوا الصدقات فنعما
هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم قال ليس من الزكوة وقال عليه السلام
انما اعطاكم الله هذا الفضل من الاموال لتوجهوها حيث وجهها الله
عز وجل ولم يعطكموها لتكنزوها وسئل عليه السلام في كم يجب الزكوة من
المال فقال اما الظاهرة ففي كل اربعين درهما درهم واما الباطنة فلا شيء
عليك فيها حتى يحول عليه الحول وسئل عليه السلام عن المعروف هو الانفاق على العشيرة و
العيال ثم صلة من يجب صلته ثم الحق المعلوم الذي يجب في ماله ثم كل
صلة على قرابة او من قرابة له الى نحو الضيافة والهدية والاعانة ونحوها

جلب الخير ودفع الشر دنيا وبين ما تعين شرعا او اتصال نفع عاجل بنا مستحب ونحوه او ظاهر كاكرام الصالح والتعليم وقد بان المراد للتعفف والعيال وقضاء حاجة المؤمن وانظار المعسر والتفضل على الفقير والحمل على الدابة وطيب الكلام والخطوة الى الصلوة والتوسيع على العيال والتبسم في وجه اخيه واعارة الدلو واطراق النعل وقد تسمى الكل الصدقة سوى الزوجات وورد تكفل عشرة صدقة والسؤال الجميع وورد يحضر ما يسر الصدقة وورد الوالصدقة مطفئة ان الغضب وبين ان الفقير يبان في العسر وورد ما من صباحها سبعين ستة سبعون وورد ما من يوم الا وفيه صدقة تقي مصارع السوء وشرط الانفاق القوام على الاسر وصل والدين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وعن الصادق عليه السلام انه تلا هذه الآية فقبض من حصى وقبض بها وقال هذا الاقتصاد الذي ذكره الله في كتابه ثم اخذ قبضة اخرى فارخى كفه كلها ثم قال هذا الاسراف ثم اعاد يده قبضة اخرى فارخى بعضها وامسك بعضها وقال هذا القوام ولا بأس بالرجل ان يسأل حاله مراعيا الواقعات الحاجات ومواسم الخيرات بحيث يكون قصده في الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه البر بما ظهر بوجوهه قال النبي صلى الله عليه وآله افضل الصدقة جهد من مقل عن ظهر غنى بين ما يكون بعد الغنى والمرء لن لا يكون القلب تعلقا ما يعطى وقال افضل الصدقة صدقة تكون عن فضل الكف يعني عما يفضل عن الكفاف يعني على امثال ما يكف به نفسه اعلم ان السخاء ايجاب الكرم وانفاق المال استحقاق العبد بعفو ثلثة معان الاول ان الحفظ كالية الهلاك اللزام للتوحيد شهادة ان لا اله الا الله المعبود وشرطها الوفاء بالملك ان لا يعبد

المحبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان طيلسان الجهود واما يتحقق درجة الحب بمفارقة المحبوب والاموال محبوبة عند الخلق لانها الله تمتعهم بالدنيا وبسببها ما ذنون مهذا الفقر ويفرون عن الموت مع ان فيه لقاء المحبوب فما تحقق ان يصدق دعوى المحبوب واسترزاق المال الذي هو موردهم ومعشوقهم ومالهم قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والمعنى الثاني التطهير من صفة البخل فانه من المهلكات قال النبي صلى الله عليه وآله ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال الله عز وجل ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون واما ازالة صفة البخل بان يعود بذل المال عليه اسهل شيء لانقطع الانقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا فالانفاق مهذا المعنى يطهر صاحبه من خبث البخل المهلك واما اظهاره بتجديد بناء ونقد مفرط في اخراجه واستبشاره عند الانفاق فهو المعنى الثالث شكر النعمة قال الله تعالى على عباده نعمة في نفسه ومال له فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال وهو ان ينظر الى الفقير وقد ضيق الرزق عليه واخرج اليه ما لا فسح به نفسه بان يرى شكر الله تعالى في اغنائه عن السؤال فعل ينبغي للمنفق ان يهتم لهذه النعمة بما ظهر من داعية الخير من الباطن فان ذلك لمة الملك وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فاسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر ولمة الملك اقبل لان لا يعود الفقير الى السؤال فوعده انه مكافأة لوجهه المبذول وثمن لما اخذ منه وليس بمعروف وتعين لغير الوقت وقتا فاضلا كشهر رمضان وسبعا عشر

وفي الحج وسبعا عطاء اوله والغدير وغيره والمستحب بحيث لا يبدي
شماله ما يعطي يمينه قال الصادق الصدقة في السر واحد افضل من الف
في العلانية وكان عليه السلام اذا اعتم وذهب من الليل شطره اخذ
جرابا فيه خبز ولحم والدنانير وحمله على عنقه ثم ذهب به الى اهل الحاجة
من اهل المدينة فقسمه فيهم ولا يعرفونه فلما مضى عليه السلام فقدوا
ذلك فعلموا انه كان ابا جعفر عليه السلام ومعنى اعتم صلى العتمة وعن
النبي صلى الله عليه واله صدقة السر تطفئ غضب الرب وقال عليه السلام
كل ما فرض الله عليك فاعلانه افضل من اسراره وكل ما كان تطوعا فاسراره
افضل من اعلانه فلو ان رجلا حمل زكوة ماله على عاتقه علانية كان ذلك
حسنا جميلا وقال ينبغي للحر ان يجعل ان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير
لكم قال في سوى الزكوة وسئل النبي صلى الله عليه واله اي الصدقة افضل
قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى
اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وينبغي ان يبتدئ الرجل
لعظم صدقاته تعالى وهو بذكر التوفيق والثواب قال الصادق عليه السلام
رأيت المعروف لا يصلح الا لثلاث خصال تصغيره وستره وتعجيله فانك اذا
صغرته عظمته عند من تصنعه اليه واذا سترته تممته واذا عجلته هنأته
وان كان عزيزا لك عجلته وذكره وتعطي الاخوف والاحب الاعم بعين الشهية
قال الله تعالى ويجعلون لله ما يكرهون وقالوا لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
وقال انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث
منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه اي لا اخذه الا مع كراهة
وحياء وهو معنى الاغماض فلا تؤثر وابه بكم وان يعينه ان خذ فوه اذا

والاقتداء به حتى يومكم وان يقتسم السايل سيما ايا ما قد العلم فيه
علامة صدق السايل وهي الظن بنفسه عند فقده ولا يجتمع بها عند فقده
لا يستحيوا من اعطاء القليل فان الحرمان اقل منه وورد افضل الصدقة
جهد المقل وان لا يمل ما تصدق به اختيارا ان يتم صدقة الغير فورد
انه احد المعطيين ويجتنب المن والاذى قال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والمن ان يرى
نفسه محسنا ويعرف بقوة استعباد جناية القابض بعد العطاء والمحسن
هو القابض لا يصاله الى الثواب والاجل من العقاب وفرق نايا عنه تعالى
وهو حق عند وجل اجل عليه الفقير اتخاذا لما وعده من الرزق والاذى
التعيير والتوبيخ والقول السيء والتعاريض والاستخفاف وعدم الاكتراث
الاستخفاف وسببه استكثار العطاء والتكبر على القابض الناشيان
من الجهل برحمان رضاه او تتخاذل خسيس فان دنيان فضل الله قليل
وعن الصادق عليه السلام قال كان اميرالمؤمنين عليه السلام يقول
علم ان ما صنع انما صنع الى نفسه لم يستبطا الناس بشكرهم ولم يجزهم
في مودتهم فلم يلتمس من غيرك شكرها انت الى نفسك وعقبت بجودك
واعلم ان الطالب الياك الحاجة لم يكرم وجهه عن وجهك اكرم وجهك عن
رده وعن الباقر عليه السلام انه قيل له الرجل من اصحابنا من يستحيان يأخذ
من الزكوة فاعطيه من الزكوة فقال اعطه لا انتم له ولا اذل للمؤمن
ينبغي للانسان ان يعلم ان الله تعالى امر المعطي ان يصير ما اليه ليكون يده فيخرج
للعباد فيشكر الله ويشكر المعطي فيدعو له ويثني عليه مع ذلك النعمة من الله
سبحانه قال النبي صلى الله عليه وآله من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقال

الصادق عليه السلام لعن الله قاطعي سبيل المعروف قيل وما قاطعو
سبيل المعروف قال الرجل يصنع اليه المعروف فيكفره فيمنع صاحبه
من ان يصنع ذلك الى غيره وان كان معروفا كافاه بما يستطيع ولو بالثناء
والقول الجميل فان ضعف كان شكورا ومن شكر كان كريما ويستحب
صاحب العطاء ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع اذا منع ويخضع عنده
نفسه وعند الناس صنيعه بحيث لا يخرجه كونه واسطة لئلا يكون
مشركا فمن الصادق عليه السلام في قول الله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله
وهو مشركون قال هو قول الرجل لولا فلان لهلكت ولولا فلان لما اصبت
وكذا ولولا فلان لضاع عيالي لا ترى انه جعل فلانا شريكا في ملكه يرزقه
ويدفع عنه قيل فيقول لولا ان الله من علي بفلان لهلكت قال نعم لا
باس هذا ونحو وارتقى مواقع الريبة والشبهة في اصله ومقداره فلا
يأخذ من الاجل ما له ولا الزيادة على قدر الحاجة ولا يأخذ على نفس المأخوذ من
يستحق الرد ويقوم بما له ومن اخذ الزكوة ما له يضطر اليه تنزيها لنفسه
عن الاوساخ ولان في اخذه بتة انه ابقى لستر المروة وكف الحاجة والتعفف
واسلم لقلوب الناس واسلمهم من الحسد وسوء الظن والغيبة واعانه للمعطي على
الاشراف واصون لنفسه عن الاذلال وعن شبهة الشركاء فان للعطاء
شركاء فيها الويظهر بنية الاخلاص والصدق والسلامة عن تبعيض العمال
اسقاط الله والمنزلة بواطنها العبودية والمسكنة والتبري عن الكبر واقامة سنة
الشكر وغير ذلك فانه يختلف باختلاف النيات والاحوال والاشخاص وطرائق ذلك
فانه موضع الغرور فصل ينبغي للمؤمن ان لا يسأل الناس من غير حاجة
اضطر اليه فان تعفف عن السؤال ما استطاع فانه ذاك الدنيا وخير لها

وحساب طويل يوم القيمة قال النبي صلى الله عليه وآله يوما لاصحابه
تبايعون لخالق وله تبايعوني السياسول الله قال تبايعون على ان لا تسئلوا الناس
شيا ما كان بعد ذلك يسقط المخصرة من يد احدهم فينزلها ولا يقول لاحد ناول
وقال صلى الله عليه وآله لو ان احدكم ياخذ حبلا فياتي بحزمة حطب على
ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من ان يسئل وقال من سالنا اعطيناه
ومن استغنى اغناه الله وقال السجاد عليه السلام ختمت على وجه ان لا
يسال احدا من خير حاجة الا اضطرته حاجة المسئلة يوما الى ان يسئل
من حاجة ونظر عليه السلام يوما عرفه الى رجال يسالون فقال هو كة
شرار من خلق الله الناس مقبلون على الناس وقال الباقر عليه السلام
اقسم بالله وهو حق ما فتح رجل على نفسه باب مسئلة الا فتح الله عليه
باب فقر وقال عليه السلام طلب الحوائج الى الناس استيلاب للعز ومذلة
للحياء واليأس مما في ايدي الناس عز المؤمن والطمع هو الفقر الحاضر
قال الصادق عليه السلام شيعتنا من لا يسئل الناس شيئا ولو مات جوعا
وقال عليه السلام لو يعلم السائل ما عليه من الوزر ما سال احدا شيا ولو
يعلم المسئول ما عليه اذا منع ما منع احدا شيا وقال من سال من غير
حاجة فكانما ياكل الجمر وسال رجل النبي صلى الله عليه وآله فقال اسئلك بوجه
الله فامر النبي صلى الله عليه وآله فقضى حاجته اسولا ثم قال سل بوجه
اللئيم ولا تسال بوجه الله الكريم فصل اعلم ان الحج ركن الزكوة كالركن من
المال الزكوة وهو نقصه لمزيد الخير والبركة اما استطراد بان يصاب باغة او
اختيار بان يصرف في الطاعة ويمنع عن المعصية فمن الصادق عليه السلام
قال قال النبي صلى الله عليه وآله يوما لاصحابه سلعون كلما الا من زكى المال

كل جمعة لا يزكي ولو في كل اربعين يوما مرة قيل له يا رسول الله اما زكوة
المال فقد عرفناها فما زكوة الاجساد فقال لهم ان تصابوا باغة فما
فتغيبت جبرة الذين سمعوا ذلك منه قال فلما راهم قد تغيبت الوانهم
على ما ذكروا من ما عيبت به قولي قالوا لا يا رسول الله قال ان الرجل ليخدش من
الخدشة وينكب النكبة ويعثر العثرة ويمرض المرضة ويشاك الشوكة
وما اشبه هذا حتى ذكر في حديثه اختلاج العين وفي مصباح الشريعة
قال الصادق عليه السلام على كل جزء من اجزاء البدن زكوة واجبة فزكوة
العين على كل منبت شعر بل على كل لحظة فزكوة العين النظر بالعبر و
الغض عن الشهوات ومما يضاهيها وزكوة الاذن استماع العلم والحكمة
والقرآن وفوائد الدين من الموعظة والنصيحة وما فيه نجاتك والاعراض عما
دونه من الكذب والغيبة واشباههما وزكوة اللسان النصح للمسلمين و
التحفظ للغافلين وكثرة التسبيح والذكر وغيره وزكوة اليد البذل والسخاء
بما انعم الله به عليك وتحريكها بكتابة العلوم ومنافع يتنفع بها المسلمون
في طاعة الله تعالى والقبض عن الشر ودونه زكوة الرجل السعي في حقوق الله
من زيارة العالمين ومجالس الذكر ومصالح الناس ومصلة الرحم والجهاد
وما فيه اصلاح قلبك وسلامة دينك هذا ما يحمل القلوب والقوى
استعماله وما لا يشرف عليه الا عباد المقربون المخلصون الكرام ان
يحصره هم لبابه وهو شعارهم ودثارهم وعن النبي صلى الله عليه وآله
لكل شيء زكوة وزكوة الابدان الصيام الباب السابع في الصوم وفضائله
كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون وقال النبي
صلى الله عليه وآله الصوم جنة من النار وقال الصادم جنة عباده وان زكوة

نائما على فراشه ما لم يغتب مسلما وقال الصوم نصف الصبر وانا اجزي به
وللصابرين فرحتان حين يفطرون وحين يلقون ربهم عز وجل والذي نفس محمد بيده
لخلوف فم الصابر عند الله اطيب من ريح المسك وقال الصابر عليه السلام
بني الاسلام على خمسة اشياء على الصلوة والزكوة والحج والصوم والولاية
وقال الصادق عليه السلام من صام لله عز وجل يوما في شدة الحر فاصابه ظمأ
وكل الله به الف ملك يمسحون وجهه ويبشرونه حتى يفطر قال الله تعالى
ما اطيبك خلقا وما اطيب ريحك يا ملائكتي اشهدوا ملائكتي انه قد غفرت له وقال النبي
بالتحريك وقال ابو الصباح صيام ثلاثة وصفته تسبيح وغسله تقبل ودعاؤه
مستجاب وقال الكاظم عليه السلام اوما علمتم ان الله تعالى يطعم
الصابر ويسقيه في صيامه فيا ايها الصابرون كونوا الصوم الا الارتقاء من حضيض
حظوظ النفس البهيمية الى ذروة التشبه بالملائكة الروحانية لكي يصفا
ومنقية واما كان الصوم جنة من النار ولا يدفع حر الشهوة والغضب
اللتين بهما اصلي نار جهنم في اهل الانسان في الدنيا وبين لذات الاخرة كما ان
الجنة تدفع حر صاحبها حر الحديد وانما قال المرتضى عليه السلام الا ان الغيبة
لحم الميتة فهو نوع من الاكل متقوي بالبدن واما كان الصوم مدعاة
بالنسبة الى الغفران كانت العبادات كلها كذلك شرع البيت بالنسبة اليه
والارض كلها لمعنى من احدهما ان الصوم لكف وترك وهو في نفسه سر ليس
على رياء يشاهد بجميع الطاعات يشهد من الخلق ومرئي والصوم لا يجعل الا الله
فانه على الباطن والصبر المجرد الصرف جزاؤه من عنده وخاصة من عز شأنه
لصدقه والثاني انه قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان الشهوات فانما
تقوى الشهوات بالاكل والشرب لذلك قال النبي صلى الله عليه وآله

الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والشهوات
مرتع الشياطين ومرعاهم فادامت مخضبة لهم ينقطع تردهم ومادامت مواتية لهم
فلا يكشف على العبد بادن الله وكان مجوبا عن لقائه قال رسول الله صلى الله
عليه وآله لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت
السماء وسبب الفرحة عند الافطار اما للخواص فاستشعارهم التوفيق من
الله عز وجل على اتمام الصيام ونيل الاجر واما للعوام فانقضاء المشاق
نيل الشهوات وسبب الفرحة عند لقاء الرب اما للخواص فحصول نوال الطيب
لهم المستفاد من انكسار قوى الشهوة والغضب المظلمتين لهما بالجوع كما
لهما من حيث ان الله سبحانه وتعالى طيب لا يقبل الا طيبا وخلوف الفم تغير
وانما صار اطيب عند الله من ريح المسك لانه سبب طيب الروح الذي هو عند
الله من الانسان كالمسك عندنا وانما اضيف الى الله تعالى اضافة تشريف
بتقديم ما عند الله على ما سواه وبين طيب الروح من طيب المسك فان الاول ادرك
بعقل معنوي والثاني بحس صوري فصل اعلم ان للصوم
ثلث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص
اما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة واما صوم الخصوص
فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الاثام
قال الصادق عليه السلام اذا صمت فليصم سمعك وبصرك وشعرك و
جلدك وعد اشياء غير هذا وقال لا يكون يوم صومك كيوم فطرك وزاد في خبر
اخر ودع الغيبة وادي الخادم وليكن على ما قال وقال الصيام فان رسول الله صلى الله
عليه وآله رأى امرأة تسب جاريتها وهي صائمة فدعا بطعام فقال لها كلي فقالت اني صائمة
فقال كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك ان الصوم ليس من الطعام والشراب

فقال وعن النبي صلى الله عليه وآله انما الصوم جنة فاذا كان احدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله او شاتمه فليقل اني صائم اني صائم وقال صلى الله عليه وآله من اغتاب صائما بطل صومه ونقض وضوءه وان مات وهو كذلك مات وهو مستحل لما حرم الله وقال كم من صائم ليس من صومه الا الجوع والعطش وقال الصائم في عبادة ما لم يغتب وقال صلى الله عليه وآله الصائم في عبادة الله ما لم يغتب وقال صلى الله عليه وآله الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الائمة عليهم السلام ومعنى ذلك الصوم بالكذب الغيبة ونحوها مما لا يحصى فقها من المحظورات حرم قبول الصوم وترتب الثواب عليه دون الاجزاء والخروج عن عهدة التكليف كما تحقيقه في باب الصلوة ولذلك شرطنا في الصوم الحضور دون العبور والمراد بحضور الخصوص حضور القلب عن الهم الدنية والافكار الدنيوية وكل ما سوى الله مما لا يكفي وحصل الفطرية هذا الصوم بالنكرة بما سوى الله واليوم الاخر وبالنكرة في الدنيا لان ذم الدنيا من الدين فان ذلك زاد الاخرة وليس من الدنيا قال رباب القلوب من تحركت همته بالصوم في نهار الشهر ما يفطر عليه كتبت على خطيئة فان ذلك من علامة الوثوق بفضل الله تعالى اليقين بفرقه الموعود وصاح نشأة الانبياء والصديقين والمقربين وبيت مقابلها من يستكثر من الحلال وقت الافطار بحيث يشتغل بحوره عما هو افضل الى الله من نظر على من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة وافادة الصابر عند نظره ما فاته من حضور مكان ونحو ذلك على في الوان الطعام حتى لم تستمرت العادات بان يخرج جميع الاطعمة لشهر رمضان ويكاد من الاطعمة فيه ما لا يتوكل في عدة اشهر ومعلوم ان مقصود الصوم

الجوع وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى واذا دفعت المعدة صخرة النهار الى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم اطعمت اشهى المأكولات واشبعت نادت للذتها ونضاعفت قوتها وابتغت من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضييق القوى التي هي مسايل الشيطان في الغرور والى هذا اشار بقوله صلى الله عليه وآله ان للشيطان في الشرور والمعاصي مسلكا الا الطعام والشراب فاحبسوا الطعام وهو ان يأكل اقتصادا لو تركان يأكلها كل ليلة لو لم يصم وما الواجب ما كان يأكل صحة الى ما كان يأكل ليلا فلم يشبع بصومه ولا يجف عليه فمعدته وليلة القدر عبارة عن الليلة التي يكشف فيها شيء من الملكوت ومن يعمل بتزكية قلبه وتزيين محلاة من الطعام فهو عن محبوب ومن اخلى معدته فلا يكفيه ذلك لان فتوحات حتى يخلو همته عن غيره الله تعالى وذلك عزيز الاركله ومبدأ ذلك تقليل الطعام

فصل في مصالح الشريعة قال الصادق عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله الصوم جنة اي ستر من آفات الدنيا وحجاب من عذاب الاخرة فاذا جعت فانو بصومك كف النفس عن الشهوات وقطع الهمة عن خطوات الشيطان فانزل نفسك خزانة المرضى لا يشتهون طعاما وشرابا متوقعا لكل لحظة شفاء من مرض الذنوب وطهرا لجنابك من كل حدث وغفلة وظلمة يقطعك عن معنى الاخلاص ليجدك الله تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله عز وجل الصوم لي واني اجزي به الصوم ميت مواد النفس وشهوة الطبع وفيه صفاء القلب وطهارة الجوارح وعنان الظاهر والباطن الى الشكر على الغنم والاحسان الى الفقراء وزيادة التضرع والخشوع والبكاء وحمل الخلق الى الله وسبب انكسار الهمة وتخفيف الحساب وتضعيف الحسنات وفيه من الفوائد ما لا يحصى وكفى بالذكر ما نبه الله عز وجل وفرض لاستعداله

الباب الثالث في الحج وبيان الشاهد قال الله تعالى وله على الناس
حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين
قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بني الاسلام على خمس شهادة
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة
وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا وقال صلى الله
عليه وآله من مات ولم يحج حجة الاسلام ولم يمنعه من ذلك
حاجة تجحف بماله او مرض لا يطيق فيه الحج او سلطان يمنعه فليمت
ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا وقال الصادق عليه السلام من مات
ولم يحج حجة الاسلام لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به او مرض
لا يطيق فيه الحج او سلطان يمنعه فليمت ان شاء يهوديا وان شاء
نصرانيا والاخبار في فضل الحج اكثر من ان تحصى وهي مشهورة
مواضعها مع كيفية اعمالها واما بيان السر فيها فاعلم ان الله لا يوصل اليه
تعالى الا بالتنزه عن الشهوات والتكمل عن اللذات والاقتداء على الضرورات
فيها والتجرد بمه سبحانه في جميع الحركات والسكنات ولاجل هذا انفرد
الرهبان في الملل السالفة عن الخلق والخانقاه الى قلل الجبال والمغاور والتخلي
عن الخلق لطلب الاخس بالله فتركوا اللذات الحاضرة والزموا انفسهم المجاهدات
الشاقة طمعا في الاخرة واثنى الله تعالى عليهم وكما قال ورهبانية
ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء مرضات الله وقال في حقهم
ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك وقل العامل على
اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله فرض عليهم ما بعث الله تعالى موسى
الله عليه وآله لاحياء طريق الاخرة وتجديد سنة المرسلين يتسلكها
فساله اهل الملل من الرهبانية والسياحة في دينه فاوحى الله عليه وآله
ابدلتهم بالجهاد والتكبير على كل شرف فقيل يعني الحج وسئل عن السياحة
فقال هم الصائمون فانعم الله على هذه الامة بان جعل الحج رهبانيتهم
فشرع البيت العتيق والاضافة اليه وتعبه مقصد العالم
وجعل ما حوله حرما البيت ومعظما الامر وجعل عرفات كالميدان على فناء

حرمه والكعبة الموضع تحريم صيد وشجره ووضعه على مثال حضرة
الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل اوب سحيق شعثا غبرا
رب البيت مستكينين لله خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف
بتقصيرهم عن ان يوفوه حقه او يكنه لبلوغ ذلك الملغ في نفوسهم
صورة تهم وانتهاك اذعانهم وانقيادهم لذلك وعطف عليهم فيها
اعمالا لا يدرك بها التفويض ولا يهتدي الى معانيها العقول كرمي الجمار
بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وعد اصناف الاعمال
يظهر كمال الرق والعبودية فان الزكوة ارفاق وجهه معلوم والعقل
اليه سبيل والصوم كسر للشهوة التي هي عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن
الدواعي والصارف والركوع والسجود في الصلوة تواضع لله تعالى بافعال هي غاية التواضع
والتلفظ بالاذكار في تعظيم الله عقائد تردد السعي وهو الجمار فالاعمال للنفس
ولا اذن للطبع فيها ولا اهتداء للعقل الى معانيها فلا يكون للانقياد عليها
باعث الا الامر المجرد وقصد الامتثال للامر من حيث انه امر واجب الاتباع
فقط وفيه غزل العقل عن نصرته وصرف الطبع عن محل انسه فان
كل ما ادرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا
للامر وباعثا معه فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال النبي
صلى الله عليه وآله في الحجر على الخصوص ليبلي بحجة معنا وتعبدا ورقا لنا
يقال للمصلي في صلوته وهي اذا اقمت صلبك واطمأن بطنك فاخلق بان يكون
اعمالهم على خلاف هوى طباعهم وان يكون زمامها بيد الشرع فيرتدع
في اعمالهم على سنن الانقياد على مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدي العقل
الملغ انواع التعبدات في تكبيه النفوس وصرفها عن مقتضى الطبع والاخلاق الى

متفق الاستحقاق واذا تقطعت لهذا فحسبان تعجل الفوز بهذه الافضال
العجيبة مضمنه الفصول عن اسرار التعبدات وقد ظهر مما ذكرنا ان قاصد البيت
قاصد الى الله ومنزله فالحري ان يقول عليا الله في ميعاده المحتوم وبالله
والشوق الى لقاء الله مشوق الى اسباب اللقاء فليصل عزمه عطا الصلوة
الله بعيدا عن شوائب الرياء وغيره فصل ينبغي للحاج عند توجهه
الى الحج ان يوجب من جليته ان يرد المظالم ويتوب الى الله توبة خالصة ويقطع
علائق قلبه عن الالتفات الى ماوراءه ليكون توجهها الى الله بوجه قلبه
يقدمانه لا يعود وليكتب وصيته لاهله ولا لاده ويتهيأ لسفر الاخرة فان
ذلك بين يديه على قرب فان تأدب بادب الحج كما ذكرنا فهو اكرم في نفسه
ولاسيما توسع الزاد ونظيفه وطيب الكلام ولينه ويحفظ لسانه ما استطاع عن
مر الحق والكلام واطعام الطعام وبذل الحج البر وجزاء الا الجنة وعند الانعام
بالانفاق وبما اصيب في المال فقدم منه بعيدا سعيا في سبيل الله ان
يكون قلبه مطمئنا منصرفا الى ذكر الله وتعظيم شعائره محضا لله كما ذكرنا وكذلك
متذكرا به امر الاخرة يأيأسه ويكون اشعث اغبر غير مترين ويعرض ان يتخلل
بين الشاعر ورد ما عجز الله عنه شيء افضل من الاتي الا التقليل النفقة البيع
فان الركوب جميعا افضل كما ورد سيأتي الوعد بالشيء خلقة قبيحة
في العمل ويفكر في احلى فان في المشاورة على الدعاء والعبادة وكان الحسن
عليه السلام يشاور في ذلك معه المحامل والرحال واذا حضرت الرحلة
فليشكر الله بقلبه على التهيئة وله الدعاء لتحمل هذا الاذى ويحفظ على النفقة
فانها دخل العبادة ستوجهها الى الميقات وشاهدة تلك العتبات فليشكر فيها
ما بين الخروج من الدنيا بالموت الى ميقات يوم القيمة وما بينهما من الاهوال

والعطايات وابتدكره هو اول قطاع الطريق هول من انكره ينكر ومن
سباع الوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الهاوية والحيات ومراتع
عرياها وما قاسيه وحشة القبر وكربته وضمته ويكرر شدة الهاول في
اهاله واثقاله مشوقا الى القبر ليتذكر عند الحبر في الاخرة ليس الكفن لبسه
فيه وانما يلقى الله سلفوفا في ثياب الكفن لاهاله فانه كالا يلقى بيتا مدلا
مما فاجاده في الدنيا والحياة فالملقى الله بعد الموت الاتي زي فيها فمازي
الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب اذ ليس فيه مخيط كالا يخلط الكفن
لما الاحرام والتلبية بالميقات فليعلم انه اجابة نداء الله فليحج ان يكون
متسولا وينبغي ان يقال له لا لبيك ولا سعديك وليكن بين الرجاء والخوف
مترددا وعن حوله وقوته متبرئا وعلى فضل الله وكرمه متكلا فان قد الغاية
وبداية الاخرة هو عمل الخطر وقد كان السعاد عليه السلام لما اتوا بالثوب
راحلته اسفر لونه وانتفض وجهه وقع عليه الرعدة ولم يستطع ان يلبي خيفة
ان لا يلبي فقال الصادق ان معنى لبيك لا لبيك ولا سعديك فلما ألوى عليه
وسقط من راحلته فلم يزل يعيد ذلك حتى قضى نحبه فصل واذا دخل وقت
فليشكر عند هذا الله تعالى الى الحرم امنوا يرجو عند ان يأمن يوم الحساب
الله وينبغي ان لا يكون اهل للقرب فيكون بادخل الحرم خائبا مستحق المقت
ولكن يعاقب في جميع الاوقات خائفا لكونه عبيد وزائر البيت عظيم ومن
الزائر مرجو وقضاء المستجير الا بغير مضيع فاذا وقع بصره على البيت ينبغي
ان يحضر عنده عظمة البيت في قلبه ويقدر كانه يشاهد رب البيت بين
تعظيمه ويرجو ان يرزقه لقاءه كما رزق عند لقاء البيت وليشكر الله على تبليغه اياه
هذه الرتبة والحاقه اياه برمرة الواقفين اليه ولما الطواف فانه صلوة فليضر

قلبه فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة كما سبق في باب الصلاة
وليعلم انه في الطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش
الطائفين حوله ولا يظن ان المقصود طوافه بجدرانه بل المقصود طواف
قلبه بتذكر معاني البيت حتى لا يبعد الذهاب لا يختم الانكباب بيت عند الطواف
الطواف من البيت يختتم بالبيت ليعلم ان الطواف الشريف هو طواف
القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال الظاهر في عالم الملك المختص
بالرؤية شاهده البصر وهو في عالم الملكوت كما ان البيت مثال الظاهر في
عالم الشهادة للقلب الذي لا شاهده البصر وهو في عالم الغيب وان عالم
الملك والشهادة معدود جملة الى عالم الغيب والملكوت فمن ترك له الباب الى
هذه الموانع وقعت الاشارة بان البيت المعمور في السموات هو بازاء الكعبة
وان طواف الملائكة بها كطواف الآدميين بهذا البيت ولما قصرت رتبة اكثر
الخلق عن مشاهدة ذلك الطواف امروا بالتشبه به بحسب الامكان وهو باب
من تشبه بقوم فهو منهم واما استلام الحجر فلعلمه انه بيعة لله في الارض
رسول الله صلى الله عليه وآله استلم الركن فانه مواثيق الله في خلقه ليوفي
بها خلائق يصافحه العباد والذي يشهد لمن استلمه بالموافاة والوفاء
بالركن الحجر الاسود لا معنى موضوع في الركن وانما تشبه باليمين لانه واسطة بين
الله وبين عباده في البياعات الوصول والقبض فجعل رضا كاليمين عين الشهادة في
الدخيل المأخوذ قال الصادق عليه السلام ان الله سبحانه وتعالى اخذ ميثاق
العباد في الحجر فمن اتاه عند ذلك الميثاق وفى بما عاهد عليه يشهد له بالموافاة
وقد روي عليه السلام الركن اليماني باب من ابواب الجنة لم يغلق منذ فتح
فمنه وقال الركن اليماني ابيض الذي هو اشد بياضا من اللبن وفيه نور من الجنة يلقى

العباد اما شبهه بباب الجنة لان استلامه وسيلة الى دخولها
بالفعل لانه يغسل به الذنوب وليكن فيه في الاستلام طلب القرب منه
شوقا الى البيت وارباب البيت به كما بالحاسة ورجاء للخلاص من النار فان
الآتي البيت لم تكن نيته في التعلق باستار البيت الالتماس في طلب المغفرة ورجاء
الامان كالمذنب المتعلق بثياب من يرجو اليه المتضرع اليه في عفوه عنه
المطهر انه لا ملجأ له منه الا اليه ولا مفزع له الا عفوه وكرمه وانه لا يفارق
بابه الا بالعفو وبالامن في المستقبل فصل واما السعي بين الصفا
والمروة فرجاء البيت فيما هو بسبيله من العبودية وان الملتجأ اذا رجا من بعد
العبد اظهار الخلوص من الخدمة ورجا الملاحظة بعين الرحمة كالذي فر
على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي الملك في حقه من قبول او رد
ولما الوقوف بعرفات فليتذكر ما جرى من ازدحام الخلق وارتفاع الاصوات
واختلاف اللغات واتباع الفرق ائمتهم والورود دائما على المشاعر عرصات
القيمة واجتماع الامم مع الانبياء والائمة واقفا كل امة بنبيها وطمعهم في
شفاعتهم يجتزيهم وفي ذلك الصعيد الواسع بين الرد والقبول واذا تذكر ذلك الطالب
قلبه الضراعة والابتهال الى الله تعالى في زمرة الفائزين المرجون واجتمع رجاؤه
بالاجابة فالوقت مزين والرحمة اما تنصل من خشية الجلال الى كنائم الخلق بواطن
القلوب العزيزة من لقاك الا نفس ولا يقفل الموقف عن طبقه من الصالحين
وارباب القلوب فاذا اجتمعت همم هم وتجردت الضراعة والابتهال قلوبهم و
ارتفعت الى الله ايديهم وامتدت اليه اعناقهم وشخصت نحو السماء ابصارهم
مجتمعون بهمة واحدة على طلب الرحمة فبعيان يحسب املهم وبضيع سعيهم و
لذلك قيل من اعظم الذنوب ان يحضر عرفات ويظن ان الله لم يغفر له

واما الوقوف بالمشعر فليستحضر انه خاضع لله متذلل عليه معولا عليه بعد ان كان بائنا
عنه مطرحا له مرتبا بفاقات له في وقوفه بعرفه فان المشعر من جملة الحرم و
عرفات خارجة عنه فحقه ان يقف على باب الرحمة وهب عليه فضلات الرافة و
كمن قارع القبول بالاذلال وتخلع جرم المسألة بالجمار عليه قصد به الله
للتم اظهار الفرقة والعبودية وانتهاك الحرم بالاشتمال من غير عظم للعصاة و
النفس ثم ليقصد به التشبه بابرهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس
في هذا الموضع ليدخل على حجه شبهة او فتنه فامر ان يرميه بالجمار
طردا له وقطعا لاصله ولعلم انه الظاهر بي الحسا الى الجمار وفي الحقيقة
يرمي به وجه الشيطان ويقصر به ظهره اذ لا حصل ابغام انفه الا بامتثال
امر الله تعظيما لمجرد الامر من غير حظ العقل فيه واما فتح الخير فلعلم
انه تقرب الى الله بحكم الامتثال وليكمل الهدي بما نزله وهو جزء من بعض كل
جزء منها حزء امنه من النار كما ورد الوعد به مستقبل وفي مصباح الشريعة
قال الصادق عليه السلام اذا اردت الحج فجرد قلبك من كل شاغل وحجاب
كل حاجب وفوض امورك كلها الى خالقك وتوكل عليه في جميع ما يظهر من
حركاتك وسكناتك وسلم لقضائه وحكمه وقدره وودع الدنيا والراحة
والخلق واخرج من حقوق تلزمك من جهة المخلوقين ولا يعتمد على زادك
وراحلتك واصحابك وقوتك وشبابك ومالك فتخاف ان يصيبك لذلك عدوان
وبالاحرى من اراد حج بيت الله واعتمد على ما سواه صيره عليه والاولى ان
تعلم ان ليس لك قوة ولا حيلة ولا احد الا بعصمة الله وتوفيقه فاستعد استعداد
من لا يرجو الرجوع واحسن الصحبة وادع اوقات فرايضه لله ومن نوافله
عليه واله وما يجب عليك من الادب والاحتمال والصبر والشكر والشفقة

والسخاوة واشباه ذلك على دوام الاوقات ثم اغسل بماء التوبة الخالصة
ونوايا بلبس كسوة الصفا والخضوع والخشوع واحرم من كل
شيء يحلك من ذكر الله وحب ما شرطا عنه واب سوى اجابة صادقة صافية
خالصة زاكية متحققا وعزما منكسا بالعزم الوثيق وطف طواف
الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمين بفناء حرم البيت وهرول هرولة
من هول النشر امن حوالسوق تلك والفرج من غلتك وذلاتك بجد وجلد الى بيت
ملائكتي بالاصل لسوء استعمله واعترف بالخطايا المعرفات وجدد عهدك
عند استلامك بوصلت وتقرب اليه وانتفه بزوادة واصعد بروحك الى
الملا الاعلى بصعود على الجبل واذبح بحجرة الهوى والطمع عند الذبيحة
وارم الشهوات والخساسة والدناءة والذميمة عند رمي الجمرات واحلق الوبر
الظاهر والباطنة تعلق شعرك واخلق ثوبك امان الله وكفنه وستره وكلاءته
من بيانه مرادك بدخول الحرم ودخول البيت متحققا لتعظيم صاحبه
معرفة بجلاله وسلطانه واستلم الحجر بضا بقبته وحضوره العهد ووديع
ما سواه بطرافة الوداع واصعد وهبط ومر بالمقام بوم لقاء بوقوفك
على الصفا وكن برايي من الله نقيا اوصافك عند المروة واستقم على شرط
حجتك هذه ووفاء عهدك الذي عاهدت به ربك واوجب لله الى
يوم القيمة واعلم بان الله تعالى اوجب على الحج وحده بحجته من جميع الطاعات
بالاضافة الى نفسه بقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه
سبيلا ولا شرع نبيه سنة في جلال الناسك على ترتيب ما شرع الا للاستعانة
والاشارة الى الموت والقبر والبعث والقيمة وفصل بيان السابقة من الاخرى
في الجنة اهلها ودخول النار اهلها بمناهج مناسك الحج نابها الى الخر هنا

لاهل الاباب فاولى الشعر فصل واما زيارة المدينة فاذا وقع بصره على
حيطانها فليقف ويكبر ثلاثا ثم يقول الحمد لله الذي اختارها لنفسه
ويجعل اليها هجرته وانما دار الذي منها شرع فرايض دينه وسننه وجاهد
عدوه وظهر بها دينه الى ان توفاه الله ثم جعل تربته فيها ثم ليسئل الله
نفسه اهلا لما سئل الله صلى الله عليه واله عند زيارته فيها وليدخلها
من موضع قدم الاعرابي موضع قدمه العسير ثم لا يضع قدمه عليه الا كما يكون
ويجعل ظهر الكعبة بينه وبين القبلة ويستقبل القبر بوجهه ويستدبر القبلة
المشرفة ويستوي واقفا قليلا من عظيم ما يعرفه ويعتقده من حق من يقف
نفسه واحبط عمله من حيث لا يشعر فوق صوته فوق صوته فان توقيره
شريعته ولو في حقيقته من الدنايا من ان يحال بينه وبينه بعد وله
عن مجتدة وليعظمه بما يعظم به احياء ان لا يحول اذا بجنبه وبينه بعد ان
رفقه الايمان واشخصه من وطنه لاجل زيارته محبة له وتشوقا الى النظر
الى آثاره والى حايطته وما ناله الجهد عليه فكذلك ايضا الاشخاص الى الاحياء
في تلك العرصة عليه عظيما له في ايمانه برجعه بل وله اذا زاره فصلا
اجدر ذا لك لكان بان ليسه على الخشوع من قلبه كل موضع وله اذا زاره فصلا
عليه والغيبة في ان يقف بين يديه ويزوره حيا كما يزوره ميتا كما لا فرق
من قبره الاكما يقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وليعلم انه عالم بحضوره
وقيامه وزيارته وانه يبلغه مسالته وصلواته فليتشاغل بصورة الكريمة
وخياله موضوعا بانائه وليحضر عظيم رتبته في قلبه فعند ذلك الله تعالى
وكل يقبره ملكا يبلغه سلام من يسلم عليه من امته هذا وقد من يخصه
بكيفية مفارق الوطن وقطع البوادي شوقا الى لقائه واكتفى بما هذا منها

على كل مسلم والاشتياق في فضل زيارة الائمة المعصومين عليهم السلام و
ثوابها وان شيعة زيارة ابي عبد الله الحسين عليه السلام في فضل زيارته على
على الجهاد في العمرة والعمرة افضل من الحج وما ورد في فضل زيارته على
العبادات التي يشتمل عليها زيارة قبور الشهداء واصحابه وامير المؤمنين عليه السلام
وشيعتهم ويحيهم على سائر النبيين والمرسلين صلوات الله عليهم اجمعين
وادخال السرور عليهم واجابة دعائهم وتجديد عهد الامام عليه السلام معهم
وتبكيت الامة بتركهم في التكاسل عن عهد الله الذي اخذ عليهم من مجاورة وطلب
رضاء سبحانه الذي يرضى بزيارة ابي عبد الله وهو مع ذلك كله عبادة وسترة لله عز وجل
وسترة لله عز ذكره من جهة ادخال السرور على اوليائه وعلى ذريته وادخاله
وطرح الاثنين عبادته الماموربها ومسترة لهم من هذه الجهة ايضا
قد ثبت وتقرر بحالة قد تظافرت من عند الله ورسوله وائمة حجته وبرهانه
السرور عليه من حيث ذكرته سنون الخصب فانه من عصى الله عز وجل
وطهر من الرجس وجعلها اماما للتوبين وقدوة للمتقين وحاجزا بين السوء
والاضرين وجعله صراطه وسبيله وعينه ودليله وبابه الذي يؤتى
منه وصلة المتصل بينه وبين عباده من يسأل واليه وحجوا وليابه هذا
مع ان مقابر جميع شهداء واصحاب العلية المقدسة محال حضور اسلم
البرزخية النورية فانهم هناك يشهدون ويسمعون ويردون بالاتم
من فضله فرحون واما الجهاد والعمرة والعمرة وغير ذلك فانها وان كان بها
اموال ورجال واشخاص ابدان وعمران اوطان وتجار بساتين وتجديد بنات
وشهود شعاير وحضور مشاعر الا انها البتة بتلك الشابة في الشريعة لان
هذه انما هي عبادة لله سبحانه واجابة لامره عز ذكره وسترة لله ولاوليائه بالاتم

يا عبادة تخلب ليست فيها جميع تلك الامور التي نبهنا عليها مما ليس
انها اشاق من كل مدع للاسلام وان كان ناصبيا بخلاف تلك فانها لا اشاق
لا تركان بعرف قدامن قدمهم وطرفا من مناقبهم ولو اقتصاصا لا رضا
عليه السلام ان لكل امام عهدا في عنق اوليائه وشيعته وان من تمام
الوفاء بالعهد وحسن الاداء زيارة قبورهم فمن زارهم رغبة في زيارتهم
وتصديقا لما رغبوا فيه كان ائمتهم شفعاء يوم القيمة لاظهار الباعث في
سائر الاعمال الصالحة وفيها خمسة ابواب الباب الاول في الترغيب
على الندب والترجيع من العبادات القريبة وبعبارة اخرى ترتب الثواب على الاعمال
العبر على اتيانها في الاستقبال وبعبارة اسبق من التقصير وهي فرض على كل عامل
على الفور ومن شرطها ان تكون فعله سبحانه لا لمال او جاه او خوف من سلطان
او عدم اسباب ملائمة يشتهيها اما الندم او خوف العالم العقاب وحزنه على الذنب هو
رجع التوبة غير مقصود وهو التوبة حقيقة وانما المقصود وتحصيل اسبابه
من العمل والايمان وتحقيقها في قلبه قال النبي صلى الله عليه وآله الندم توبة
اذ الاقلاع الندم عن علم او جبه واثره وعزم عزيمته ويتلوه ويكون الندم محمودا
بطريقه اعني ثمرته وشره والفرار اليها ذكرها وفي فضلها والصلاة يقبل الاتم
وشاق العقوبة وضعف النفس عن الاحتمال وشرف الاخرة وخساسة الدنيا
قريبا لموت ولذة المعرفة والمناجاة وخوف الامان بعده الاخذ الحال والاستقامة
بالاحسان وقطع اسباب الاصرار وهي الغرور وحب الدنيا وطول الامل والاتكال
وقد دعوا الى الله جميعا ايها المؤمنون اجمعكم تفلحون وقال يا ايها الذين امنوا
توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم الاية ومعنى النصوح
الخالص فضلا عن الشوايب وقال عز وجل ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين

الشفيع الامام

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال الباقر عليه السلام الله افرح بتوبة عبده من رجل اضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها وقال الصادق عليه السلام في قوله تعالى وتوبوا الى الله توبة نصوحا قال هو الذنب الذي لا يعود فيه ابدا قيل يا بن رسول الله ما اقل ان افعل هذا من عبادك المؤمنين فقال ان الله يحب من عباده المفتن التواب يعني الكثير الذنب الكثير التوبة وقال الصادق عليه السلام ما احب الله عبدا فضر عليه قيل وكيف يذنب عليه قال يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب فمن احب الله لم يعذبه بالنار بعد التوبة والاستغفار الا ان يرجع الى ما كان عليه وليس احد يذنب ذنبا الا ساءه ذلك وندم عليه حتى يعلم الله من نيته ان لا يعود في شيء مما يكره فاذا فعل ذلك غفر له ما مضى من ذنبه وان لم يستغفر الله ولم يتب من ذنبه الا ان يذنب ذنبا فيندم عليه فيستغفر الله منه فيغفر له ما مضى من ذنبه وان لم يتب من سائر ذنوبه حتى يتوب من الذي يذنبه فاذا تاب من الذي يذنبه ثم استغفر الله من سائر ذنوبه غفر الله له ما مضى من سائر ذنوبه بتوبته من الذي تاب منه فاذا عاد فاستغفر الله من ذنوبه غفر الله له ما مضى من ذنوبه وليس يكون استغفاره من ذنوبه وهو مقيم على ما يكره من ذنوبه توبة يعني استغفارا يوجب المغفرة وقال الباقر عليه السلام ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة وان العبد ليذنب الذنب فيدخل به النار قيل كيف يدخل الذنب الجنة قال يكون نصب عينيه تائبا منه خائفا وجلا من الله عز وجل ان يعذبه عليه فيدخل به الجنة وقال الصادق عليه السلام ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف ذاك قال يكون نصب عينيه كلما ذكره بكى على ما صنع

الايمان وهو مفسدة الاعمال قريب من ان يقلع عنه شجرة ايمانه اذا
صدمتها الرياح العاصفة المحركة للاديان في عقده فتقوم ملك الموت
ويروعه فتحل ايمان لم يثبت في النفس اصله ولم يتمكن الايمان فروعه لم
تثبت على عواصف الاهوال عند يظهر من ناصية ملك الموت وحيف عليه
سوء الخاتمة الامانة بها الطامات على قوائم الابار والسانحات حتى يسخ
وتثبت فيها أمر يظهر عند الخاتمة وانما تقطعت بنا طامة العارفين نوع من
دواهي الموت وهو مقدمة ما الخاتمة التي لا تثبت عليها الا الاكملون اعلم
ان وجوب التوبة عامة الاشخاص والاحوال فلا يتغلل عنها البتة قال
الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا فعم الخطاب وتوبة العصيان راجعة اليه
اذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق البعيد عن الله تعالى المؤدي الى الشيطان ولا
يتصور ذلك الا من عاقل ولا يكمل غريزة العقل الا بعد كمال الشهوة وسائر
سائر الصفات المذمومة التي هي وسائل الشيطان الى اغواء الانسان اذ كمال
العقل انما يكون عند مقارنة الانبياء ومن اسلم انما يتزعزع عند ابتهاجه بالبلوغ و
سلامة يظهر بعد سبع سنين والشهوات جنود الشيطان والعقل جنود
الملائكة واذا اجتمعا قام القتال بينهما بالضرورة اذ لا يثبت احدهما للاخر فانما
ضدان فالتحارب بينهما كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة وهما
غلب احدهما ارتفع الاخر بالضرورة واذا كانت الشهوات كامنة في الصبي والشاب
قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان ووقع المقاتلة
امر الدين لاحالة مقتضيات الشهوات بالعادة وطب دلك عليه وتعسر عليه
النزوع عنه ثم يلوح العقل الذي هو حزب الله وجنده ومنقذ اولياءه من ايدي
اعدائه شيئا فشيئا على التدريج فان لم يقو ولده بكمال ملك صاحب القلب

الشيطان وآخر اللعين موجوده حيث قال لاحتنكن ذريته الا قليلا وان
قوى العقل وكمل كان اول اشغاله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات وممارسة
العادات وحمل الطبع على سبيل القهر والغلبة الى العبادات ولا معنى للتوبة
الا العود الى الرجوع عن طريق يدل عليه الشيوخ وخفيره الشيطان الى طريق الله فتحتاج
وليس الرجوع الى الا شهوة سابقة على عقله وغريزة التي هي عدة
للشيطان متقدمة على غريزة التي هي عدة الملائكة فكان الرجوع عما يسبق
على مساعدة الشهوات ضروريا في حق كل انسان بيان وجوبها على الدوام ان
كل ما يحول بين كل بشر وبين الخلو عن معصية جوارحه فان خلا في بعض الاحوال عن
معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب القلبية فان خلا عن الهم فلا يخلو
عن وساوس الشيطان بامر الخواطر التي تفرقه المفضلة عن ذكر الله فان خلا عن
ذلك يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وبصفاته وبآثار صنعه طالما قد وكل الله
بنفس ولد آدم اسبابا قد رتب اسبابا يبتشأ على اضدادها رجوع عن طريق الى ضده
والمراد بالتوبة الرجوع ولا يتصور الخلو في الادمي عن هذا النقص وانما يتفاوت
في المقادير فاما الاصل فلا بد منه الا لآحاد الانبياء والاوصياء عليهم السلام
فذنوبهم كذنوبنا وانما هي ترك دوام الذكر والاشتغال بالمباحات وحرمانهم من
الاجر بسبب ذلك قال الصادق عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله
كان يتوب الى الله ويستغفره في كل يوم وليلة مائة مرة من غير ذنب لان الله
يحفظ اولياءه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب يعني من غير ذنب كذنوبنا
فان ذنب كل احد امر يجب عنده وفي نزاهته عنده ثم اعلم انه لا يكفي في
تمام التوبة ترك ما في الحال والاستقبال بل لا بد من محو آثارها التي انطبعت في النفس بالطاعات قال النبي صلى الله عليه وآله اتبع السيئة الحسنة تمحها وخلق

ان تكون الحسنة المماثلة للسيئة سابقة لتلك السيئة فتكفرها كالذكر
بعد الفرار ويحبه وبمجالس الذكر فتكفر السهو في الصلاة بعد الفراغ منها
الى غير ذلك وليس ذلك شرطا وقد ورد ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه
وآله اني عالجت امرأة فاصبت منها كل شيء الا انني لم امسها فاقض علي بحكم الله فقال
اما صليت معنا فقال لى فقال ان الحسنات يذهبن السيئات ولا بد ان يكون
من قرب جهد بالخطيئة بان يندم عليها ويجاورها مثل ان يتراكم الرين على
القلب فلا يقبل المحو قال الله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة
ثم يتوبون من قريب ومن قرب جهده بقال وليست التوبة للذين
يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا للذين
يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما وقال الصادق
عليه السلام ذلك اذا عاين امر الآخرة وذلك لان التوبة مقبولة قبل ان
يعاين كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله ومن ترك العبادة الا آية
بالتسويف كان من حقه ان يحرم احدهما ان يتراكم الظلمة على قلبه من
المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو والثاني ان يعاجله الموت او النفس
فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو لذلك ورد في الخبر ان اكثر اهل النار
من المسوفين فصل اعلم انك اذا فهمت معنى القبول لم تشك في ان كل توبة
صحيحة تنفي بقبولها لما ظهر من نور البصائر المستدرون من انوار القرآن
على ان كل قلب سليم مقبول عند الله وهو نعم والاشر في جواز العفو وعلى ان
القلب خلق سليما في الاصل فكل ما يوجد فيه على الفطرة وانما يعرضه السلامة
بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها فان فارقه الندم تحرقت تلك
الغبرة وازيل الظلمة بمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وان لا فالظلام
المعاصي مع نور الحسنات كالاطاقة لظلام الليل مع نور النهار بل لا نسبة

لكدورة الوسخ مع بياض الصابون والماء الحار الا ان يتراكم الذنوب حتى
تصير طبعا ورينا وهذا مثال ان يغوص الوسخ لطول تراكمه في نجاويف الثوب
وخلله فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب وان قال بلسانه تبت وهذا الباب
كان لقبول التوبة المتضمنة لشروطها قال الله تعالى وهو الذي يقبل التوبة
عن عباده وقال غافر الذنب قابل التوب وقال النبي صلى الله عليه وآله
ان الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ وقال لمعاذ الخطايا حتى
يبلغ السماء ثم تتاب الله عليكم وقال الباقر عليه السلام لمحمد بن مسلم
ذنوب المؤمن اذا تاب منها تغفر له فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة
والمغفرة اما والله انها ليست الا لاهل الايمان قال قلت فان عاد بعد التوبة
والاستغفار من الذنوب وعاد في التوبة فقال يا محمد بن مسلم ترى العبد
المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر الله منه ويتوب ثم لا يقبل الله توبته
قلت فانه فعل ذلك مرارا ينكث توبته ثم يتوب ويستغفر فقال كلما عاد المؤمن
بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة وان الله غفور رحيم يقبل
التوبة ويعفو عن السيئات فايا لكم ان يقنط المؤمنين عن رحمة الله وقال
الصادق عليه السلام ان الرجل ليذنب الذنب فيدخله الله به الجنة
قيل كيف يدخله الله بالذنب الجنة قال يقسم انه ليذنب فلا يزال منه خائفا
ماقتا لنفسه فيرحمه الله فيدخله الجنة فصل اعلم ان الذنوب تقسم
الى ما بين العبد وبين الله تعالى وهي ما يتعلق بحقوق العباد والاول اما مغفور
واما مرجو المغفرة قال امير المؤمنين عليه السلام الذنوب ثلثة فذنب
مغفور وذنب غير مغفور وذنب مرجو لصاحبه ويخاف عليه قيل يا
المؤمنين فبينها لنا قال نعم اما الذنب المغفور فعبد عاتبه الله على ذنبه

في الدنيا والله تعالى اعلم واكرم من ان يعاقب عبده مرتين واما الذنب
الذي لا يغفره الله فظلم العباد بعضهم لبعض ان الله اذا امر الخليقة
اقسم قسما على نفسه فقال وعزتي وجلالي لا يجوز لك ظلم ظالم ولو كفا
بكف ولو مسحة بكف ولو نطحة ما بين القرناء الى الجماء فيقتص للعباد بعضهم
من بعض حتى لا يبقى لاحد على احد مظلمة ثم يبعثهم الله للحساب واما الثالث
الذنب فذنب ستره الله على خلقه وذنبه التوبة منه فاصبحنا فيما
من ذنبه راجيا لرحمته فمحل له كما هو لنفسه ورجوا له الجنة ونجاه من غضب الله
ولعله عليه السلام اراد بالتوبة التوبة المشكوك في شرطها لما عرفت ان
التوبة الجامعة للشرائط مقبولة فاذا كانت مقبولة فالذنب لاحق له فمغفور
وقسمة ثانيه منهم الذنوب الصغاير والكبايرقال الله ان تجتنبوا كبائر
ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم وقال عز وجل والذين يجتنبون كبائر الاثم
والفواحش الا اللمم وقال النبي صلى الله عليه واله الصلوات الخمس والجمعة
الى الجمعة تكفرما بينهن ان اجتنب الكبائر وقد ذكرت الامامية في تعيين الكبائر
اخبارا مختلفة الرواية سنذكرها فمن الصادق عليه السلام في تاويل قوله ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم هل الكبائر التي اوجب الله عليها النار
عن عليه السلام انه سئل عن الكبائر فقال هن في كتاب علي عليه السلام
سبع انكار ما افترض الله وقتل النفس وعقوق الوالدين واكل الربا بعد البينة واكل
مال اليتيم ظلما والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وقال الله فاكل دية من مال
ابيه ظلما اكبر ام ترك الصلوة قال ترك الصلوة وقال اذا جحدت فرض الصلوة
في الكبائر فما الذي يشتمل ما قلت قال الكفر قال فان تارك الصلوة كافر
يعني من غير علة وعن الكاظم عليه السلام انه سئل عن الكبائر كم هي وهل

هي فكتب الكبائر من اجتنب ما وعد الله عليه النار كفر عنه سياته اذا
كان مؤمنا والسبع الموجبات قتل النفس الحرام وعقوق الوالدين و
اكل الربا والتعرب بعد الهجرة وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والفرار
من الزحف وعن الجواد عليه السلام قال سمعت ابي موسى بن جعفر يقول
دخل عمرو بن عبيد على ابي عبد الله عليه السلام فلما سلم وجلس تلا هذه
الآية الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ثم امسك فقال له ابو عبد الله عليه السلام
ما امسكك قال احببت ان اعرف الكبائر من كتاب الله فقال نعم يا عمرو اكبر
الكبائر الاشراك بالله يقول الله ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة
وبعده الايأس من روح الله لان الله يقول انه لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون ومنها عقوق الوالدين لان الله جعل العاق جبارا شقيا وقتل
النفس التي حرم الله الا بالحق لان الله يقول فجزاؤه جهنم خالدا فيها الى الخر الآية
وقذف المحصنة لان الله تعالى يقول لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم
واكل مال اليتيم لان الله يقول انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا
والفرار من الزحف لان الله يقول ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا
لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير
واكل الربا لان الله يقول الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي
يتخبطه الشيطان من المس والسحر لان الله يقول ولقد علموا لمن اشتراه ما له
في الآخرة من خلاق وانا لا ندري لان الله يقول ومن يفعل ذلك يلق اثاما
يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا واما اليمين الغموس الذي
لان الله يقول الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا
خلاق لهم في الآخرة والسحر لان الله يقول ومن يفعل مايات باطل

التشبيه ومنع الزكاة المفروضة لان الله يقول متكررا بها جباههم
جنوبهم وشهادة الزور لان الله يقول ومن يكتمها فانه اثم قلبه وشرب
الخمر لان الله نهى عنها كما نهى عن عبادة الاوثان وقتل الصلاة متعمدا
او شيأ مما فرض الله لان رسول الله صلى الله عليه وآله قال من ترك
الصلاة متعمدا فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله ونقض العهد
وقطيعة الرحم لان الله يقول لهم اللعنة ولهم سوء الدار فلما
فرج عمر وله صراخ من بكائه وهو يقول هلك من قال برأيه وناظر في
الفضل والعلم ان قيل كيف وقد اشرع بما الدين جعلت فداك الكل لا
يتعلق به حكم في الدنيا جاز ان يتطرق اليه الابهام والكبيرة على الخصوص لا
حكم لها في الدنيا من حيث انها كبيرة فان موجبات الحدود معلومة بالسمع
وانما احكم الكبيرة ان اجتنابها يكفر الصغائر وان الصلوات الخمس لا يكفرها
هذا امر يتعلق بالاخرة والابهام الذي به حتى يكون الناس على حد واحد
فلا يجترؤن على الصغائر اعتمادا على الصلوات الخمس واجتناب الكبائر شرط
اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة فمن لم يكن
من امره ومن مواقعتها ما يكف نفسه عن الوقاع ويقصر على نظر او لمس فان
مجاهدة نفسه في الكف عن الوقاع اشد تاثيرا في تنوير قلبه من اقتصاره على
النظر بقية كلامه فهذا لمن تكفير فان كان استماعه لجزاء وخوف او نحو
ذلك فلا يصلح للتفكر وكذلك من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو اجتنب الخمر
فاجتنابه لا يكفر عن الصغائر التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والالتذاذ
اعلم ان الصغيرة قد تكبر باسباب منها الاصرار والمواظبة قال
الصادق عليه السلام لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار قال

ذلك تطهر من الماء تقع على الحجر على لوالي تنوير قلبه وذلك القدر من
الماء لوجب عليه وقد لم يوثر وقال الباقر عليه السلام في قوله تعالى ولم
يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون قال الاصرار ان يذنب الذنب فلا يستغفر
لا يحدث نفسه بتوبة فذلك الاصرار ومنها ان يستصغر الذنب قال العبد
كل ما استغفرت منه فهو صغير عند الله وكل ما استصغرته كبير عند الله
لان استعظامه يصدك عن تقوير القلب عنه وكراهيته له وذلك التقوير
يمنع من تنوير القلب به واستصغاره يصدك عن الاحتراز به وذلك وحشة
الاثم في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والحدود تقويه
بالسياسات عن ذلك لان ما اجتنبا يجري عليه في العقلة قال الصادق عليه السلام
قال رسول الله صلى الله عليه وآله تقوا المحقرات من الذنوب فانها لا تغفر
قيل وما المحقرات قال الرجل يذنب الذنب فيقول طوبى لي لو لم يكن غير ذلك
وقال عليه السلام ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة والجرم العظيم يصيبه
العبد فيدخل به النار ومحقرات الذنوب وقال عليه السلام لا تستكثروا
كثرة الخير ولا تستقلوا قليل الذنوب فان الذنوب يجتمع حتى تكون كثيرا و
خافوا الله في السر حتى تعطوا من انفسكم النصف ومنها السرور بالصغيرة
والغيظ منها واعتقادها التكرر من ذلك نفسه والغفلة عن كونه سبب الشقاوة
فكلما حلت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم اثرها في
تنوير قلبه فان الذنوب مهلكات واذا دنا العبد اليها لحظه الشيطان
به وفي الحمد عليها فينبغي ان يكون سيئة بعيبه وتأسف بسبب غلبة العدو
عليه وبسبب بعده من الله ومنها ان يتهاون بحسنة الله عليه وجله
عنه وامهاله اياه ولا يدري انما يمهل فيتزود بالامهال الذي يغيظ

ان تمكنه من المعاصي عناية من الله به فيكون ذلك لانه من يكرم الله و
جهله مكانه من الغرور ما قد قال تعالى ويقولون بي انفسهم لولا يعذبنا الله
بما نقول حسبهم جهنم يصلونها وبئس المصير ومنها ان يأتي بالذنب فيظهر
بان يذكره بعد اتيانه او يأتي به في مشهد غيره فان الذي جنايته منه على سرائره
التي ابداه عليه وهتك ستر ما ارخى عليه الستر غير ابعد ذنبه او اتهده فعله
فما جانا بان نفضحه الى حيث ما علمت به فان اضافت الى ما تعيب
للغير عيبه الى ما عليه وقد نبهته الاسباب لمصارعت جنايته وتقاعد
الامر وهذا الان من صفات ضعف نفوسنا ونقصها ان سطوة الجهل وشدة الهوى
لا يهتك الستر فالاظهار كفران لهذه النعمة قال الرضا عليه السلام قال
رسول الله صلى الله عليه وآله المذيع بالسيئة كفاعلها والمذيع بالحسنة كعامل سبعين حسنة
والمذيع بالسيئة مخذول والمستتر بها مغفور له وقال الصادق عليه السلام
من مروآت المتفقه والقرآن وتفسيره وذكره ومنها ما يبدي من عورة
ستر ها الله عليه فيخبره ومنها ان يكون المذنب مما يستحي منه فاما فعله
بحيث يرى ذلك فيه فكزينة كلبس الحرير والذهب واتخاذ
الشهوة والملاقة اللسان في الاعراض ونحو ذلك مما هو ذنب يتبع العالم
عليها فيموت وبقي شره مستطيرا في العالم فطوبى لمن اذا مات مات معه
ذنبه وخطيئته فان احد مآثر الذنب والاجراء عنه وكما يضاعف
لو زلت فكذلك يتضاعف ثوابه على الحسنات اذا اتبع فضل في الحديث
المروي ما من يوم يطلع فجرها وليلة غاب شفقها الا وملكان يتجاوبان
باربعة اصوات يقول احدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا او يقول الآخر ليتهم
اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فيقول الآخر وليتهم اذ علموا لماذا خلقوا عملوا

بما طلوا فيقول الآخر وليتهم اذ عملوا بما علموا انا بوا بما عملوا وقال الصادق
المؤمنين عليه السلام لا تذنبوا فترى اصحابه وعدد من الاعمال الفاضحة
لأمة الميت وقد علمت السيات وقال الباقر عليه السلام ان الله تعالى
فضا حقا ان لا يعلم العبد بعمله فيسلبها اياه حتى يحدث العبد ذنبا
يستحق به ذلك العقوبة وقال عليه السلام ما من شيء افسد للقلب من خطيئة
ان القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فتصير اعلاه اسفله
وقال عليه السلام ان العبد ليذنب الذنب فيروى عنه الرزق وقال الصادق
عليه السلام ما الله ليس من عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض
الا بذنب وقد يغفر الله عز وجل كثيرا فيما كتب به ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت
ايديكم ويعفو عن كثير قال وما يعفو الله اكثر مما يؤاخذ به وقال ان الرجل ليذنب
الذنب فيحرم صلوة الليل وان العمل السيء اسرع في صاحبه من السكين في
اللحم وقال عليه السلام يقول الله تعالى ان ادنى ما اصنع بالعبد اذا انزع
عليه ما عنى ان احوجه الذي يسأله ما اتى وقال عليه السلام من هم بسيئة فلا يعملها
فانه ربما عمل العبد السيئة فيراه الرب تبارك وتعالى فيقول وعزتي لا اغفر لك
بعدها ابدا وقال اكتموا عليه السلام حتى على الله ان لا يعصى في دار الا
اضحاها للشمس تظهرها وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ان العبد
ليحدث على ذنب من ذنوبه ما لفظ به الا سطر الله له ازواج سبعين الجنة يتبعن
امير المؤمنين عليه السلام لعمل القائل بحضرته استغفر الله بكلمتك
لمثل الذي ما الاستغفار ان الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع
على ستة معان اولها الندم على ما مضى والثاني العزم على ترك العود اليه
ابدا والثالث ان تؤدي الى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله املس ليس عليك

توبة والرابع ان تعمد الى كل فريضة عليك ضيعتها توفي حقها والثالث
ان تعمد الى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالاحزان حتى يلصق الجلد
بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد والسادس ان تذيق الجسم الم الطاعة
كما اذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول استغفر الله وقال عليه السلام
زلة الخطيئة اقبح من خطيئة وكم من شهوة ساعة اورثت حزنا طويلا
والموت فضح الدنيا وله يزل الذكر اجمل ما تحمل به في مصباح الشريعة قال
الصادق عليه السلام التوبة حبل الله ومن عنايته ولا بد للعبد من مداومة
التوبة على كل حال وكل فرقة من اصناف خلقه توبة وتوبة الانبياء من اضطراب
السر وتوبة الاولياء من لمحات الخطرات وتوبة الاصفياء من التفنن وتوبة
العامة من الاشتغال بغير الله وتوبة العارفين من الذنوب وكل واحد منهم
معترف ومقر في اصل توبته ومنتهى امره وذلك يطول شرحه ههنا فاما توبة
العامة فان يغسل الجملة من الذنوب بماء الغسل والاعتراف بجنايته دائما
واعتقاد الندم على ما مضى والحزن على ما بقي من عمره ولا يجتمع في قلبه
ذل المعاصي الكسل ويلازمه البكاء والاسف على ما فاته من طاعة الله ويحبس نفسه
عن الشهوات ويرغبها الى الله ليحفظ عليها توبتها ويعصمه الله من العود
الى ما سلف منه ومن نفسه في صيانة الجوارح والعبادة ومقتضى الفوائت
من الفرض وحمد الظالم ويتراقب نار الله وعذابه ليظل بها نهاره ويتفكر
دائما في عاقبته ويستعين بالله سبحانه في جميع امره ويحترز ايام
ويثبت عند الحق والباكي لا يسقط عن درجة التوابين نار في الدنيا
من ذنوبه وزيادة في عمله وسعة في رزقه قال الله عز وجل ويجعل الذين
صدوا ويجعل من الكاذبين النار الخامسة في المحاسبة والمراقبة قال الله

ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال
حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال عز وجل ووضع الكتاب
فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا
يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك
احدا وقال بعد بعثهم وجمعهم فيخبرهم بما عملوا احصاه الله ونسوه
واعده على كل شئ شهيد وقال يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال يود كل
نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا
بعيدا وقال واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه وعن ابي بصير
من جملة العباد ان الله عز وجل يحاسب الخلق بالرصاد وانهم سيسألون ويحاسبون
بطالبون بما قبل الله من الخطرات واللحظات وتحقق التلاحظ من هذه
الاخطار الا لزوم المحاسبة ومصادمة المراقبة ومطالبة النفس الانفاس
والحركات ومحاسبتها على الخطرات واللحظات في غاب نفسه قبل ان يحاسب
في القيمة مسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن مقابلته وصوابه ومن لم
يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت عثراته وقلت قيمته وقاته وقادته الى
الحرمان عاقبته وقال الصادق عليه السلام اذا اراد احدكم ان لا يسأل ربه شيئا
الا اعطاه فليأيس من الناس كلهم ولا يكون له رجاء الا من عند الله فاذا علم الله
ذلك من قلبه لم يسأله شيئا الا اعطاه فحاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا عليها
فان للقيامة خمسين موقفا كل موقف مقدار الف سنة ثم تلا قوله في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة فتفريغ المحاسبة على الانسان من اشد ما يرجو الناس من
امر الله عليه على الانسان انما يرجو الناس من دون الله في عامة امره وقال

عز وجل ان عامة المحاسبات انما ترجع الى ثلاث وذكر الوقوف عند كل واحدة منها بعد الامر بمحاسبة النفس يدل على ان الوقفات هنالك انما تكون للمحاسبات فمن حاسب نفسه في الدنيا يوما فوقف والمرجع الى ذلك الوقفات في ذلك اليوم قال استقصى والحظ نفسك ما انت لقد وقفت في الخير حتى ان يكون العامل ليوقف ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام لو لم يكن للحساب مهولة الا حياء العرض على الله عز وجل وفضيحة هتك الستر على المخفيات بحق الميزان لا يعده من يدين الجبال ولا يرى على عمران كل شيء لا ينام الا عن اضطرار يتعلل بالتلف ومثل ذلك يفعل من يرى العقبة امامه ومثاله مقاربة وكل نفس يحاسبها القلب الوقوف بين يدي الحساب حينئذ باخذ نفسه بالمحاسبة كما ان الزارع ما دام يرى في عمارتها مسئولية الله عز وجل وان كان مثقال حبة من خردل انيانها وكفى بنا حاسبين

فصل معنى المحاسبة ان يطالب نفسه اولا بالفرايض التي هي بمنزلة راس ماله فان ادتها على وجهها شكر الله عز وجل عليها وربحها في مثلها وان فوتها من اصلها طالبها بالقضاء فان ادتها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل فان تركت معصية اشتغل بعتابها وتعذيبها معاقبتها واستوفى منها ما يدل له ما فرط كما يفعل التاجر في شركة وكما انه يفتش في حساب الدنيا على الجملة والقيراط فكذلك اهل الزهادة والتقصان حتى لا يعزب عنه شيء منها فينبغي ان يبقى غاية النفس ويحكمها فان اخذ في طلبه مكان طلبها والا تصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكلف بعد من الحساب ما سهولة عرضي سعيد التي تهلك الناظر عن نظره عن اعمال ورد اوقاته وقيامه وتعبده وكلامه وتشريده ونومه حتى عن سكوته عن سكوته له

سكر فاذا عرف ما يجب على النفس مع ما قدمنا ذكره من الحق منه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي عليها فليبنه عليها ولبكه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه وعلى جريدته ثم النفس عزيز بكر ان يستوفي منه الديون لما بعضها فالغرامة لاعضائه وبعضها بدنه وبعضها بالعقوبة له على ذلك فلا يكون شيء من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتبيين الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعد ذلك بالمطالبة والاستيفاء قال الكاظم عليه السلام ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فان عمل حسنة استزاد الله وان عمل سيئة استغفر الله منها وتاب اليه وقال الباقر عليه السلام لا يعرف الناس من نفسك الا ما يصلح الملك دونهم ولا تقطع بما له بكذا وكذا فان معك من يحفظ عليك فاحسن وانه لعلى شيئا احسن وكما ولا اسرع طلبا من حسنة محدثة لذنب قديم وقال الصادق عليه السلام ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه واله فقال له يا رسول الله اوصني فقال له رسول الله صلى الله عليه واله فهل انت موص ان انا اوصيتك حتى قال له ذلك ثلثا وفي كلها يقول له الرجل نعم يا رسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه واله فاني اوصيتك اذا انت هممت بامر فتدبر عاقبته فان يك رشدا فامضه ان يك غيا فانته عنه ومن حق النفس عند الخوض في الاعمال ويلاحظها بالعين الكالية فانها ان تركت طمعت وخدمت ثم ترات الله في كل حركة وسكون وذلك بان يعلم بان الله مطلع على الضمير عالم بالسر ابرد رقيب على اعمال العباد قادر على كل نفس بما كسبت فان سر القلب في غاية من الكتوم فكما ان ظاهر البشرة للتعلق بكشوف بل اشد من ذلك قال الله تعالى الم يعلم بان الله يرى وقال ان الله كان عليكم رقيبا وقال النبي صلى الله

عليه وآله الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
وحكى ان زليخا لما خلت بيوسف فغلقت غلقت وجه صنمها فقال لها يوسف
مالك ايستحيين من مراقبة جماد ولا استحي من مراقبة الملك الجبار وفي
الحديث القدسي انما ابكي حياء ممن يبكون اذا هموا بالمعاصي فكيف
غطيت عراقيبي والذين اتخذ سلاسلهم من خشية وقرني وجلدتي الى الارض
بعذاب اهل الارض فاذا نظرت الى اهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت
عنهم العذاب فهذه المرتبة اذا صارت يقينا يعني انها اذا خلت عن
الشك ثم استولت بعدئذ على القلب استحرت القلب وقهرته على ما هو
جانب الرقيب وصرفت الهمة اليه والمؤمنون بهذه المرتبة مراقبتهم على
درجتين احدهما مراقبة المقربين وهي مراقبة التعظيم والاجلال وهو ان
يصير القلب مستغرقا بما يلاحظ ذلك الجلال وسكرات الهيبة فلا يجد
فيه متسعا للالتفات الى الغير وهذا هو الذي صار محمد صلى الله عليه وآله
وسلم في الدنيا وهو الثانية مراقبة الابرار وهي مراقبة اصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين
الطلاع الله على ظواهرهم وبواطنهم ولكن لم يدهشهم ما لاحظوا من الجلال
والجمال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتفات الى الاحوال
والاعمال والمراقبة فيها واجبة عليهم الحياء من الله فانهم يعلمون
ولا يجسرون الا بعد التثبت ويستغفرون من كل ما ينسى من ربح الغفلة فانهم
يرون الله مطلعا عليهم فلا يتجاوزون الى انظار البصيرة فان العمل الا يخلو
اما ان يكون في طاعة او معصية او مباح فمراقبته في الطاعة بالاخلاص في الاكمال
ومراعاة الادب وحراستها عن الآفات ومراقبته في المعصية بالتوبة والندم
والاقلاع والحياء والاشتغال بالتكفير ومراقبته في المباح مراعاة الادب في

بعد مستقبل القبلة ويناجي على الميد اليمنى مستقبلا الى غير ذلك فكل
ذلك داخل في المراقبة وشهود المنعم في النعمة والشكر عليها والصبر
على البلاء فان لكل ذلك حدودا لا بد من مراعاتها بدوام المراقبة ومن بعد
حدود الله فقد ظلم نفسه الباب الثالث في التفكر والتدبر قال الله تعالى
ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال
الا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها وقال النبي صلى الله عليه وآله
تفكر ساعة خير من عبادة سنة وقال امير المؤمنين عليه السلام التفكر
يدعو الى البر والعمل به وقال عليه السلام به التفكر قلبك وجاف عن الليل جنبك
واتق الله ربك وقال الصادق عليه السلام افضل العبادة ادمان التفكر في
الله وفي قدرته ليس المراد بالتفكر في الله التفكر في ذات الله سبحانه فانه
ممنوع منه لانه يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل بل المراد منه
النظر الى افعاله وعجايب صنعه وبدايع امره في خلقه فانها تدل على جلاله وكبريائه
وتعلقه سبحانه اليه وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيته وقدرته
واحاطته بالاشياء ومعنى انها هو هذا تفكر اولي الالباب قال الله عز وجل
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب
الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات و
الارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار وقال عز وجل وكاين
اية من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وقال
لاولي العلم لان الآيات هي مجاري التفكر كما ان في قدرة
الله تعالى انه سبحانه نهى في الحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وآله
انه قال تفكروا في الآلاء ولا تفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره وقال
الباقر عليه السلام اياكم والتفكر في الله ولكن اذا اردتم ان تنظروا الى عظمته

فانظروا الى عظيم خلقه وقال الصادق عليه السلام من نظر الى الله كيف هو ملك ولما التفكر الذي يدعو الى البر والعمل فهو ما سمعت من حديث فاطمة حيث تفكرت في الحسنات من السيات فان العبد اذا تفكر في حسناته هاج قلبه او ناقصه مواظبته للسنة او مخالفته لها احدث الصدع الشديد والميل الى شهوة بما يدعوه لانها الى هذا التفكر الى اصلاحها وقد ارشد ها من الخلل وكذا اذا تفكر في سيآته وما يترتب عليها من العقوبات والبعد عن الله يدعوه والى الانابة منها وقد ارشدها الى توبة والندم واذا تفكر في نعم الله واصنافه من لطفه بعباده واسباغه النعم وسوابغ النعماء بسط الالاء والتكليف دون الطاقة والوعد لعمل قليل بثواب جزيل ويسخيره له ما في السموات والارض وما بينهما الى غير ذلك يدعوه ذلك لانها الى البر والعمل به والرغبة في الطاعات والانتهاء عن المعاصي وهذا التفكر المطلوب واليه الاشارة بقول الرضا عليه السلام نفس العبادة وكذا الصادق عليه السلام واما العبادة التفكرية في امر الله وعن الصادق عليه السلام عجبا لمن تفكر ساعة خير من قيام ليلة كيف تفكر فان تفكر بالخير اوجد الخير فعمله وان تفكر بالشر اتى الشر حتى يتركه فهذا التفكر المشار به الحديث النبوي نعم عنه واضافه الى الصادق عليه السلام على قدر رتبة المخاطب فان تفكر كل احد بما يكون بحسب فهمه ورتبته وقد اوردنا مجاري التفكر بتفاصيلها في كتابنا الوسوم بعلم اليقين اراده هاربع اليها

فصل في معجلات الشهوة قال الصادق عليه السلام اعتبروا بما مضى من الدنيا هل يبقى على احد وهل فيها باق من الشرف والوضيع والغني والفقير والولي والعدو وكذلك ما الحربات منها بما مضى اشبه من

الماء بالله قال رسول الله صلى الله عليه واله كفى بالموت واعظا و بالعقل دليلا وبالتقوى زادا وبالعبادة شغلا وبالله مونسا وبالقرآن بيانا قال صلى الله عليه واله لم يبق من الدنيا الا بلاء وفتنة وما انجا من نجا الا بصدق الالتجاء وقال نوح عليه السلام وجدت الدنيا كبيت له بابان دخلت من احدهما وخرجت من الاخر هذا حال صفوة الله فكيف حال من الحمان فيها ولكن اليها واضاع عمره في عمارتها وفرق دينه في طلبها و التفكر امراة الحسنات وكفارة السيات وضياء للقلوب وفسحة للخناق و سياسة في صلاح المعاد ولطلاع على العواقب واستزادة في العلم وبحسبك لابعد الله بمثلها قال رسول الله صلى الله عليه واله فكرة ساعة خير من عبادة سنة ولا تنال منزلة التفكر الا من قد حضه الله بنور التوحيد والتخلي

فصل قال الصادق عليه السلام ان آدم لو اكل قليلا طار ريح شعيره بصر الو وضع عليه خرق ابرة لغطاه فزيدان تعرف بها ملكوت السموات والارض ان كنت صادقا فانهذه الشمس خلق من خلق الله فان قدرت ان تملا عينيك منها فهو كما قال ارادعليه السلام بالقلب اللحم الصنوبري المعروف ولهذا جعله ساكولا وظاهر انه لا يصح ان يعرف به ملكوت السموات والارض كما لا يصح ان يعرف بالبصر لانهما مع عالم الملك فكيف يعرف بهما الملكوت الخطا خاص بل لا يجاوز درجة الحس والمحسوس من اقر اولي الهم المشار اليهم بقوله سبحانه لهم قلوب لا يفقهون بها فاما من علوها منهم وبلغ الى درجة العقل و المعقول وهم اصحاب القلوب الملكوتية المشار اليهم بقوله عز وجل ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب فلهم ان يعرفوا بقلوبهم ملكوت السموات و الارض لان قلوبهم من الملكوت وانها احدث الله تعالى على النمط الملكوت

في غير موضع من كتابه قال سبحانه ولم ينظروا في ملكوت السموات والارض
وما خلق الله من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فبأي حديث
بعده يؤمنون وقال تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض
ليكون من الموقنين الى غير ذلك من الايات فعلى الناظر ان يتفكر
بقلبه لا بعينه بل بعينه اذ لا يجوز ان
شيء من عظمته فصل الباب الرابع في ذكر الموت وقصر الامل قال الله تعالى
كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار
وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وقال النبي صلى
الله عليه وآله اكثروا ذكر هادم اللذات قيل وما هو يا رسول الله قال
الموت واذكره عند على الخصوص في سعة الاحوال عليه الدنيا ولا يذكره
الا اضعت عليه وقال الموت كفارة لكل مسلم وقال تحفة المؤمن الموت
قال صلى الله عليه وآله الموت الموت الا ولا بد من الموت جاء الموت بما فيها
بالروح والراحة والكرامة الى جنة عالية لاهل الايمان والخلود الذين كان
لها سعيهم وهي بها رغبتهم وقال اذا استحقت ولا بد منها فالموت والسعادة
جاء الاجل بين العينين وذهب الامل وراء الظهور واذا استحقت ولا بد
الشيطان والشقاوة جاء الامل بين العينين وذهب الاجل وراء الظهر
سئل امير المؤمنين اكيس فقال اكثرهم ذكرا للموت واشدهم له استعدادا وقال
المؤمنين عليه السلام ما انزل الموت حق منزلته من عد غدا من اجله وقال
ما طال عبد الامل الا ساء العمل وكان يقول اوائل العبر اجله وسر عاجله
لا بغض العمل من طالب الدنيا وقيل للباقر عليه السلام حدثني بما انتفع به قال
اكثر ذكر الموت فانه لم يكثر ذكره انسان الا زهد في الدنيا وقال الصادق عليه السلام

ان اتاك خبر فكر كم باتت الجنود وكانت سالت بك الرجوع الى الله
فعمل بقدر ما اذا فتاف ثم قال عجبا لقوم حبسوا وهم عن اخرهم ثم تروى
جيرانهم الرحيل وهم يلعبون وقال ما خلق الله يقينا لا شك فيه اشبه بشك
بيقين فيه من الموت وشيء مصلح الشريعة قال الصادق عليه السلام ذكر
الموت يميت الشهوات في النفس ويقلع منابت الغفلة ويقوي القلب بالله
الله ويرقق الطبع ويكسر اعلام الهوى ويطفئ نار الحرص ويحقر الدنيا وهو معنى
ما قال النبي صلى الله عليه وآله فكر ساعة خير من عبادة سنة وذلك عند
ما جعل اطناب خيام الدنيا وشيد هاوى الاخرة ولا شك ان رفل الرجل
على ذكر الموت بهذه الصفة ومن لا يتعزى بالموت وقلة حيلته وكثرة عجزه
وطول مقامه في القبر وتحيره في القيمة فلا خير فيه قال النبي صلى الله عليه
وآله اكثروا ذكر هادم اللذات ثم ذكر باقي الحديث كما مر قال الموت اول
منزل من منازل الاخرة واخر منزل من منازل الدنيا فطوبى لمن اكرم عند النزول
بها وطوبى لمن احسن مشايعته في اخرها والموت اقرب الاشياء من بني
ادم وهو بعده ابعد ما يجري الانسان على نفسه وما اضعفه من حمل نفسه في
الموت نجاة المخلصين معدات المجربين الذلة اشتاق ومن اشتاق ذكر ومن
ذكر قال النبي صلى الله عليه وآله من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره
لقاء الله كره الله لقاءه فصل اعلم ان السامع اما ان يعلم ان الدنيا مملة
على غرورها محبة لشهواتها واما ان يعلم ذلك ويعرف منه اما ان لا يعلم
ذلك ولا يذكر الموت وان ذكره فيذكره ليتأسف على دنياه ويشتغل بلذته ويغفر منه
اولئك الذين قال الله تعالى فيهم قل ان الموت الذي تفرون منه فانه
ملاقيكم ثم ترد ون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون

وهذا يريد ذكر الموت من الله سبحانه الا ان استعداد بذكر الموت الغافل
عن الدنيا وبقبض عليه نصيحة ويتكدر عليه صفو لذته واما التائب
فانه يكثر ذكر الموت ليبعث به من غلبة الخوف والخشية فيفي حتما الرجوع
وربما يكثر الموت حيث لا من لا يحظى فيقبل تمام التوبة وقبل بعد ارادة
وهو معنى قوله في كراهة الموت ولا بد على هذا صحة قوله عليه السلام من كره
لقاء الله كره الله لقاءه لان هذا ليس بكره الموت حقيقة انما هو انما يخاف فوت
لقاء الله بفصوص وتقصير وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب شغلا
بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقاء وعلامة هذا
ان يكون دايم الاستعداد لئلا يشتغل بسوء والا فالمحق بالنهمك في الدنيا
واما العارف فانه يذكر الموت دائما لانه موعد لقاء حبيبه والمحب لا ينسى
قط موعد لقاء الحبيب وهذا وان غلب لا بد يشغل بحب الموت ويحب بحبه
ليتخلص من دار المعاصين وينتقل الى جوار رب العالمين وما اولى بنته
من يضجر امره الى الله فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حياة بل يكون راضيا
الاشياء اليها احبها الى مولاه فهذا لقاء منتهى بعز ظل الحب والولاء الى درجة التسليم
والرضاء. فصل اعلم ان الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لعدم
تذكرهم فيه وذكر الله ومن يذكره ليس يذكره قلبه فارغ بل يغلب مشغول بشهوات
الدنيا فلا ينفع ذكر الموت في قلبه فالطريق فيه ان يقرع العبد قلبه عند كل
الاحن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد ان يسافر الى مدائن فوطن
مركب البحر فانه لا يفكر الا فيه فاذا باشر فكر الموت قلبه فيوشك ان يموت في
وصف ذلك يعتاد قرعه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه وله قطع طريق فيه
ان يكثر ذكر الموت الذين معنوا قبله فيتذكر موتهم ومصرعهم تحت التراب

يتذكر صورهم في مناصبهم وما جمعوه وكيف تبددت اجزاؤهم في قبورهم و
كيف ارملوا نساءهم ويتموا اولادهم وضيعوا اموالهم وخلفوها لمن يسعد بها بعدهم
وعما قليل انتظمت امثالهم وارتحت ديارهم فهما تذكر بعلاه بحاله و
فصل في طلبه ما الموت كيفيته صباحا ومساء وتوهم صورته وتذكر نشاطه و
تزيده واملا في العيش والبقاء ونسيانه الموت فتخاصر بوانات الاسباب
تكون الى الفوت والشباب وميله الى الفحشاء والمنكر وغفلته عما بين يديه
من الموت الذريع والهلاك السريع وانه كيف كان يتردد الان قد شدت
رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه كيف كان يضحك
وقد اكل التراب اسنانه وانه كيف كان يدبر نفسه ما الاحتياج اليه الى عشر
سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت الا شهر وهو غافل عما يراد به حتى
جاءه الموت في وقت لا يحتسبه فانكشف له صورة حاله الموت وقرع بين
الثناء اما بالجنة واما بالنار فعند ذلك ينظر في نفسه انه مثلهم وغفلته
كغفلتهم والسعيد من وعظ بغيره فلا ينبغي هذا الاختيار واما الهائم وجل
المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه
بحيث يصير الموت نصب عينيه فعند ذلك يوشك ان يسعد ويتجافى
عن دار الغرور والا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في
التغيير والتنبيه وما طاب قلبه بشيء من الدنيا فينبغي ان يتذكر به الحال
انه لا بد من مفارقته. فصل واما قصر الامل فقد قال النبي صلى الله عليه
وآله اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالصباح واذا امسيت فلا تحدث نفسك
بالصباح وخذ من دنياك لآخرتك ومن حياتك لموتك فمن صحت له نفسه فالمهلة
تنبيه ما اسهل حداء الى الناس ما الناس عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول

الامل فاما اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق واما طول الامل فانه يحب الدنيا
فيحمل انه يعطى التسويف لعمل يحبه ويحضر واذا احب اقبل عليه واعطاه الايام
الا ان الذين ابناء تكونوا من ابناء الدنيا ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا ان
الدنيا قد ارتحلت مولية والاخرة قد ذات مقبلة الا وانكم في يوم عمل
ليس فيه حساب والا انكم يوشك ان تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل
وقف ان صلى الله عليه وآله قد املله وقد عشيه الى الناس فقال ايها
الناس اما تستحيون من الله عز وجل مما تأتون وما تذرون وساق الحديث فقال
تجمعون ما لا تأكلون وتأملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون وذكر
ان اسامة بن زيد اشترى من فدك بن ثابت وليدة بمائة دينار والى شهر جاء
النبي صلى الله عليه وآله لا تجمعون من اسامة اشتراها الى شهر ان امل
طويل والامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي الا ظننت ان شفري لا تلتقيان
حتى يخترم دوني ولا رفعت طرفي فظننت اني واضعه حتى اقبض ولا
لفظت لقمة الا ظننت اني لا اسيغها حتى اغص بها من الموت ثم قال يا ابن
ادم ان كنت تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى والذي نفسي بيده ان ما توعدون
لات وما انتم بمعجزين **فصل** اعلم ان طول الامل له سببان احدهما الجهل
الاخر حب الدنيا اما حب الدنيا فهو انه اذا الف بها وبشواتها والذاتها وتمكنت
ثقلت على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه عن الفكرة في الموت الذي هو سبب
مفارقتها وكل من كره شيئا ذهل عنه نفسه والانسان مشغول بالامور التي
الباطل يضيق صدره بها ما لم يتوهم مراده منها ما لم يتوهم مراده البقاء في الدنيا فلا يزال
يتوهم بقاءه في نفسه ويتمنى طول البقاء وما يحمله على الجد من العمل والعمل
وداره واصدقاءه وعقاره وسائر اسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر

موتى فاطيه فيلهو عن ذكر الموت ولا يتفرغ له فان خطر له في بعض الاحوال
امر الموت والحاجة الى الاستعداد له سوف وعد نفسه وقال الايام بين
يدي طالت ان تكبر ثم تتوب واذا كبر فيقول الى ان تصير شيخا واذا صار شيخا امل
الى ان يتفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة او يرجع من هذا السفر
او يفرغ من تزويج هذا الولد وجهازه وتدبيره وسكونه او تفرغ عن قهر هذا
العدو الذي تشتهيه فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض في شغل الا ويعلق
اتمامه بذلك الشغل عدة اشغال اخر فهكذا على التدريج يؤخر يوما بعد يوم
ويقضي به شغلا الى شغل بل الى اشغال الى ان يخطفه المنية في وقت لا يحتسبها
فيطول عند ذلك حسرته ولهذا كان اهل النار صياحهم من سوف يقولون واخرنا
من سوف والسوف مسكين لا يدري ان الذي يدعوه الى التسويف اليوم هو
بعينه غدا وانما يزداد بطول المدة قوة وسوطا ويظن انه يتصور ان يكون الامر
في الدنيا والحافظ لها اذا فرغ قطعه عن جميع ما فرغ منها الا ان طرحها فانقضى
اجله عنها لبابه وما اتى اريب الا الى اريب واصل هذه الامانى كلها الحب للدنيا
والانس بها والغفلة عن قوله عليه السلام احبب ما احببت فانك مفارقه
واما الجهل فمنه ان الانسان قد يطول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع
الشاب وليس يتفكر السكين في ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا اقل من عشر
اهل البلد واذا قال الان الموت في الشبان اكثر وان يموت شيخ مات الف
صبي وشاب وقد يستبعد الموت اصحة وقد يستبعد الموت فجاءة ولا يدري ان
ذلك غير بعيد وان كان بعيدا فالمرض فجاءة غير بعيد وكل مرض فانما يقع فجاءة
واذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل في علامات الموت ليس انصرف
منها من شاب وشيب وكهولة من صيف وشتاء وخريف وليل ونهار

لعظم اشتغاله بالاستعداد له واستشعاره ولكن الجهل هذه الامور
وحب الدنيا دعواه الطول الامل والى الغفلة عن تقدير الموت القريب
اما بنظر ان الموت يكون بين يديه ولا يعتد بزواله وتوهم فيه ويشيع
الجنازة ولا يعتقد ان شيعة جنازته لان هذا قد تكرر عليه والفه وهو سالم
موت غيره فاما سرت نفسه فلم يألفه ولا يتصور ان يألفه فانه لم يقع
فاذا وقع لا يتعقد دفعة اخرى بعد فهو الاول وهو الاخر واذا عرفت سبب
طول الامل الجهل وحب الدنيا فاعلم ان دفع سببه اما الجهل فمدفوع بالعلم
الصافي من القلب الحاضر وشواهد الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة واما
حب الدنيا فالعلاج في اخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال الذي
اعيى الاولين والاخرين مداواته ولا علاج له الا الايمان باليوم الاخر وما فيه
من عظيم العقاب وجزيل الثواب وبهما تحصل اليقين بدار الدنيا بخلاف
حب الدنيا فان حب الخطير هو الذي يحوز من القلب حب الحقير فاذا رأى
حقارة الدنيا ونفاسة الاخرة استكبر ان يلتفت الى الدنيا كما يأنف
وليس لكل عبد من الدنيا الا قدر قوته هكذا قدر ينغص فكيف يفرح بها
ترجح في القلب حبها مع الايمان بالاخرة فسبحان الله تعالى ان ترجح الدنيا كما
اراها الصالحين من عباده الباب الخامس في الالف والالفة قال الله تعالى
في معرض الامتنان لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن
الله الف بينهم وقال عز وجل فاصبحتم بنعمته اخوانا يعني بالالفة ثم ذكر الشر
وحذر عنها فقال واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا قال ولا تكونوا كالذين
تفرقوا واختلفوا وقال النبي صلى الله عليه وآله اوكد عرى الايمان البغضة
لاهل الخلاف الموطئون اكنافا الذين يألفون ويألف الموصوف بالالف مألوف

ولا خير في لا يألف ولا يؤلف وقال في الثناء على الاخوة في الدين من اراد
الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وقال من اخ اخا في
الله رفع الله له درجة في الجنة لانه لما فيه من عمله وقال ان الله تعالى
يقول حقت محبتي للذين يتزاورون من اجلي وحقت محبتي للذين يتناصرون
من اجلي وحقت محبتي للذين يتبادلون من اجلي وقال لانا افضل واتحاب
ولا ذا مروة في اصحابه لغرا لا يحل السلام ان يهجر اخاه فوق ثلاثة وقال
الزموا حسنين لينين كالجمل الالفين فانه وان ابرك على صخرة استناخ
وقال امير المؤمنين عليه السلام اعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان واعجز
من ضيع من ظفر به وقال النبي صلى الله عليه وآله اوثق عرى الايمان الحب
في الله والبغض في الله والتولي لاولياء الله والتبري من اعداء الله وقال
السجاد عليه السلام اذا جمع الله الاولين والاخرين قام منادي فنادى سمع
الناس فيقال اين المتحابون في الله فيقوم عنق من الناس فيقال لهم
انطلقوا الى الجنة بغير حساب قال فتلقاهم الملائكة فيقولون الى اين فيقولون
الى الجنة بغير حساب قال فيقولون اخاي عرب انتم من الناس فيقولون نحن المتحابون
في الله قال فيقولون واي شيء كانت اعمالكم قالوا كنا نحب في الله ونبغض في
الله قال فيقولون نعم اجر العاملين وقال الباقر عليه السلام اذا اردت ان
تعلم ان فيك خيرا فانظر الى قلبك فان كان يحب اهل طاعة الله ويبغض
اهل معصيته ففيك خير والله يحبك واذا كان يبغض اهل طاعة الله ويحب
اهل معصيته فليس فيك خير والله يبغضك والمرء مع من احب وقال
الصادق عليه السلام ما التقى مؤمنان قط الا كان افضلهما اشدهما
حبا لاخيه وقال من لم يحب في الله ولم يبغض على الدين فلا دين له

فصل اعلم ان الحب ضد البغض فاذا عرض واذا تكشف
الغطاء عنه بان يعلم ان الصحبة تشعر العالم بالاتفاق كالصحبة
بحسب التجارة او يجب الاستفادة في مدة قصيرة او طويلة او سفر يوصل الى المطلوب
او غير ذلك والمحبة اختيارا ويقصد وهو الذي يبعث على الاخرى في الملك
اذ الانواع الاعلى الافعال الاختيارية والاخرى تجب لاجلها والصحبة عبارة
عن المجالسة والمخالطة والمجاورة وهذه الامور لا يقصد بها الاتحاد
غير الا اذا احبه فان غير المحبوب يجتنب ويباعد ولا يقصد بمخالطته
والذي يجب فاما ان يجب لذاته لا ليتوصل به الى محبوب به مقصود
وذلك هو اما ان يجب ليتوصل به الى مقصود وذلك المقصود اما ان يكون
مقصودا على الدنيا وحظوظها واما ان يكون متعلقا بالاخرة واما ان يكون
متعلقا بالله تعالى فهذه اقسام اما القسم الاول وهو جلب
الانسان لذاته وذلك كمحبة الصبي بكونه حسن الذات محبوبا عند الناس حتى
انه تحب رؤيته وصحبته وصاحبة اخلاقه لاستحسانه لها فان كل
جميل الذي يشعر من ادنى تأمل وكل الذي يحب لذاته يتبع الاستحسان
والاستحسان يتبع المناسبة والملاءمة والموافقة بين الطباع ثم ذلك
المستحسن اما ان يكون الصورة الظاهرة اعني الخلقة واما ان يكون الصورة
الباطنة اعني كمال العقل وحسن الخلق وتبع حسن الاخلاق حسن الافعال
لانها الدوني كمال العقل فان غرائز العلم فكل ذلك مستحسن عند العاقل العليم
والعقل المستقيم وكل مستحسن مستلذ به ومحبوب بل شاهد الاخلاق
القلوب اسرع فمن هذا فانه قد يستحكم المودة بين شخصين من غير ان يريا
في صورة وحسن خلق وخلق ولكل المناسبة باطنة توجب الالفة والمودة

فان شبه الشيء يجذب اليه بالطبع والاشياء الباطنة خفية وطلبها
دقيقة ليس في قوة البشر الاطلاع عليها وعنه صلى الله
عليه وآله وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر
منها اختلف فالشاكلة نتيجة التباين والائتلاف نتيجة التناسب الذي يعبر عنه
بالتعارف ويدخل في هذا القسم المحبة للجمال اذا لم يكن المقصود قضاء
الشهوة فان الصورة الجميلة مستلذة في عينها وان لم يقصد بها اتصال الشهوة
حتى يستلذ بالنظر الى الفواكه والانوار والازهار والتفاح المشوب بالحمرة
والى الماء الخضرة من غير نظر سوى عينها وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله
ولرسوله بالطبع وشهوة النفس ويتصور ذلك من لا يؤمن بالله الا انه
ان اتصل به غرض منه وصار منه موصلا والا فهو مباح لا يوصف بحب ولا بغض
القسم الثاني ان يحب ليتوصل به الى نيل من ذاته غرض ذاته فيكون وسيلة الى محبوب
والوسيلة الى المحبوب محبوب وعلى ذلك يحب الناس الذهب والفضة من حيث
انهما وسيلة الى المقاصد ويحب خواصه لتحببهم حالا عنده وتمهيدهم
امره في قلبه فالمتوسل اليه ان كان مقصود الغايات دنيوية ليكن من جملة
الحب لله ثم ينقسم ذلك الى محمود ومباح القسم الثالث ان يحب لا
لذاته بل لغيره وذلك الغير غرض يرجع الى حظ من الدنيا بل يرجع الى حظه
في الاخرة وهذا ايضا ظاهر لا يحتوي فيه وذلك كمن يحب استاذه وشيخه لأنه
يتوصل به الى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل
القربة الى الله فهذا من جملة المحبين لله وكذلك من يحب تلميذه لانه يتقدم
من العلم ويتوسل به واسطة بتبليغ العلم ويترقى به الى درجة التعظيم في ملكوت
السماء قال عليه السلام من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت

السماء ولا يتم التعليم الا بتعلم وهو ان الله في مقابل هذا الكمال فان احب
لانه الله لان حصل صدوره من بعض الوجوه فهو محب لله بل نزيد ونقول من علم الصناع
وقسى لهم الاطعمة اللذيذة تقربا اليه فاحبها احب صنعته الطبخ فهو من
جملة المحبين لله وكذا الواصب من يتوصل به الى ايصال الصدقة الى المستحقين
فهذا واصب في الله بل نزيد على هذا فنقول من احب من يحبه بنفسه في عمل
ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه وتقريبه بين يديه للمعلم والعالم ومقصوده
من استخدامه في هذه الاعمال التفرغ للعبادة فهو محب لله اما القسم الرابع
ان يحب الله وفي الله لانه اسدى اليه علما او عملا او توسل به الى امر ديني او دنيوي
وهذا اعلى الدرجات وهو اوثقها واعمها وهذا القسم ايضا امكن فان من
اثاره على الحبان بتعدي من المحبوب الى كل من يتعلق بالمحبوب وبالمحبوب
لو من بعد فمن احب انسانا حبا شديدا احب محبه ذلك الانسان واحب محبوه
واحب من يحسن اليه ومحبوبه واحب من يتابع الى رضا محبوبه
قال المجنون امر على الديار ديار ليلى اقبل ذا الجدار وذا الجدارا وما حب الديار
شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا فان المشاهدة والتجربة تدلان على ان
الحب يتعدى من ذات المحبوب الى ما يتعلق به وما من بعده لكن ذلك على مراتب
المحبة فاصل المحبة لا يكفي فيه وقد مضى تمام الكلام فيه في باب المحبة ثم اعلم ان
من يحب الله لا بد ان يبغض عدو الله فانك ان احببت انسانا لانه مطيع لله
محسن عند الله فان عصا الله بان تبغضه لانه عاص فيه وتمقته عند الله
بترجم بظهور اضداد المحبين والمبغضين في النفارية والمباعدة وفي الواقعة الخاتمة
فاذا ظهر لك الفعل يسمى مودة ومعاداة ورد وجدان الله او وجدان الشيء من الاشياء
بعد الموت في الدنيا فقد تجلت الواحد واما انقطاعك الرفيق فتعرفت به ولكن

ما يادرت شيء عدوا او ما ينتفي وليا وقال عيسى عليه السلام تجيبوا الى الفقر تجيبوا
اهل الصلاح وتقربوا الى الله بالتباعد عنهم والتسوار رضا الله بسخطهم قالوا
يا روح الله من نجالس اذا نسوا من ذكرك اقصد في بيته ومن يزيد في علمك كلاما
ومن يرغبك في الاخرة عمله قال الباقر عليه السلام قام رجل من البصرة
الى امير المؤمنين عليه السلام فقال يا امير المؤمنين اخبرنا عن الاخوان فقال الاخوان
صنفان اخوان الثقة واخوان المكاشرة فاما اخوان الثقة فهم الكف واليد
والاهل والمال فاذا كنت من اخيك على حد الثقة فابذل له مالك ونفسك وصاف
صافاه وعاد من عاداه واكتم سره وعيبه واظهر منه الحسن واعلم انها السالم
اكرم من الكريب الاخر واما اخوان المكاشرة فانك تصيب لذتك منهم فلا تقطعن
ذلك منهم ولا تطلبن ما وراء ذلك من ضميرهم وابذل لهم ما بذلوا لك من
طلاقة الوجه وحلاوة اللسان والكف التهم كاشر وكشف له عن انيابه وقال
الصادق عليه السلام قال امير المؤمنين عليه السلام لاعليك ان تصحب الفاجر
وان لم يحملك مؤنته ولكن انفع بعقلك واجتهد من بني اخلاقه ولا تعرض نفسك
الكريم فان لم تنتفع بعقله ولكن انتفع بكرمه بعقلك واعتزل كل الغرارين من
اللئيم الاحمق وقال الصادق عليه السلام ملياك بالتلاد واياك وكل محدث لا
عهد له ولا امان ولا ذمة ولا ميثاق وكن على احد من اولئك الناشئ فانه
فان الناس اعداء النعم وقال عليه السلام لا تكون الصداقة الا بحدودها
فمن كانت فيه هذه الحدود او شيء منها فانسبه الى الصداقة ومن لم يكن
فيه شيء منها فلا تنسبه الى شيء من الصداقة فاولها ان يكون سريرته و
علانيته لك واحدة والثانية ان يرى زينك زينه وشينك شينه والثالث
ان لا تغيره عليك ولا يتولاك الرابع ان لا يمنعك شيئا اله مقدرة

والخامسة وهي تجمع هذه الخصال ان لا يسأل عند الكتابات وفي صباح
الشريعة مال الصادق عليه السلام قال اياك وما شيء في كل زمان الاعاذ في
وازوجة الصالحة الاليفة في دين الله والولد الرشيد من صالح ما يملك
فقد اصاب خير الدارين والحظ الاوفر للدنيا واحذر ان تؤاخي من ان اطعمه
اطعم ومن ان سقاك لم يشرب والطف هو اخاة الاتقياء ولو في ظل
الاخص ولو افنيت عمرك في طلبه فان احقر سبيل لم يخلق على وجه الارض
افضل منهم بعد النبيين وما انعم الله على العبد بمثل ما انعم به من
التوفيق بصحبتهم قال الله عز وجل الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
واعلم ان من طلب الحق فما تاهذ اسدقا الا من يقربك الصدق الا ترى ان
اولى الكرامات لمدعيها الانبياء عند اظهارهم ترتيم بصديق امين او ولي
وكذلك من اجل ما اكرم الله به اصدقاء واولياءه واعداءه وحجبه ما بينه
هو دليل على ان ما دى الذين هم اجل اعلى الجنة كما ان الجنة هو الله والوسيلة
لوجهه خاتمة الكتاب اعلم ان ما اوردناه في هذا الكتاب وصفناه في هذه
المقالات والابواب من الاسرار الدينية والمعارف اليقينية وما اشرنا اليه
من رموز العقايد وما بسطنا الكلام فيه من بيان الاخلاق المحمودة والملكات
ومن اسرار الاعمال الحسنة والسنن فلها موجد في غيرها من الكتب في هذا
التفنيم والتهذيب وهذا التوضيح والترتيب مع اجتماع ما شذ منها على الاصل
الاصلية التي لا اعتماد الا عليها ولا وثوق الا بها من الكتاب والسنة واقوال
اهل بيت النبوة دون ان الناس من اصحاب الوسواس الخناس الذي يوسوس في
صدور الناس من الجنة والناس ولقد وفقني الله تعالى لجمعها وتاليفها في هذه
اشهر قليلة من سنة تسعين والف الهجرة حين كنت اشرف على الاربعين وكان

اللهم قد رحم خلفائي قيل يا رسول الله ومن خلفاؤك قال الذين يأتون بعدي
ويروون حديثي وسنتي وسنة الحديث اعلموا اني ان كمال الدين طلب العلم و
العمل به وان طلب العلم اوجب عليكم من طلب المال وان المال مقسوم
مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وقد ضمنه وسيفي لكم والعلم مخزون عند
اهله فاطلبوه من اهله السلام لو يعلم الناس ما في طلب العلم الطلب
ولو بسفك المهج وخوض اللجج وعن الباقر عليه السلام عالم ينتفع بعلمه افضل
من سبعين الف عابد وعن الصادق عليه السلام من علم خيرا فله مثل اجر
من عمل به وعن الصادق عليه السلام انه من النبي صلى الله عليه وعليهم انه قال طلب العلم
فريضة على كل مسلم فاطلبوا العلم من مظانه واقتبسوه من اهله فان تعلم العلم
لله عبادة والمذاكرة به تسبيح والعمل به جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة
بذله لاهله قربة الى الله تعالى لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبل الجنة
والمونس في الوحشة والصاحب في الغربة والوحدة والمحدث في الخلوة والدليل
على السراء والضراء والسلاح على الاعداء والزين عند الاخلاء يرفع الله تعالى به
اقواما فيجعلهم في الخير قادة تقتبس آثارهم وتقتدى بفعالهم وينتهي الى ارائهم
ترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم وفي صلواتها تباركهم ويستغفر
لهم كل رطب ويابس حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه ان العلم
حياة القلوب من الجهل وضياء الابصار من الظلمة وقوة الابدان من الضعف
يبلغ بالعبد منازل الاخيار ومجالس الابرار والدرجات العلى في الاخرة والاولى
الذكر به يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الرب ويعبد وبه يوصل
الارحام ويعرف الحلال والحرام العلم امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء
فطوبى لمن لم يحرمه الله تعالى من حظه والاخبار في فضيلة العلم وشرفه اكثر من ان تحصى

فصل اعلم ان الشيء المغبوب فيه ينقسم الى ما يطلب لذاته و
الى ما يطلب لغيره والى ما يطلب لذاته ولغيره وما يطلب لذاته اشرف من ما يطلب
ما يطلب لغيره وما يطلب لذاته ولغيره اشرف من ما يطلب لذاته فالمطلوب
لغيره كالدنانير والدراهم فانها تجران لا منفعة فيها ولولا ان الله عز وجل
يسر قضاء الحاجات بها لكانا والحصى من الجواهر والذي يطلب لذاته كالذات
والذي يطلب لذاته ولغيره كسلامة البدن فان سلامة الرجل مطلوبة
من حيث انها سلامة عن الالم ومطلوبة لكونها وسيلة الى المشي الى المواضع الحاجات
وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رأيته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته
وبحدته وسيلة الى سعادة الدنيا والاخرة وذريعا الى القرب من الله فانه لا
يتوصل اليها الا به واعظم الاشياء رتبة وحق الاعلى السعادة الابدية و
القرب من الله وافضل الاشياء ما هو وسيلة اليها ولا يتوصل اليها الا
بالعلم ولا يتوصل الى العمل ايضا الا بالعلم فكيفية العلم تحصل السعادة في
الدنيا والاخرة هو العلم فهو اذن افضل الاشياء وكيف لا وقد عرفت فضيلة
الشيء بشرف ثمرته وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب العالمين والاتصاف
باوصاف الملائكة المقربين والملك الاعلى هذا في الاخرة واما في الدنيا فالعز والوقار
ونفوذ الحكم على الملوك فضلا عن الاحرار في الطباع حتى ان اعناق الترك و
الخلف العرب منقادة من طبائعهم مجبولة على التوقير لاشياخهم لانقيادهم
بمزيد علم وشفاعة من التجربة بل البهيمة بطبعها تنقاد الانسان لشعورها بتسخير
الانسان بكمال مجاوزة لدرجتها فهذه فضيلة العلم طلما اختلف العلماء واتفقت
مراتبها فتفاوتت بالاضافة فضائلها بقدر تفاوتها الى ان ينتهي الى معرفة الله تعالى
بحقيقة اليقين التي هي اصل كل معرفة واصحة قال الصادق عليه السلام

لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله تعالى لمادوا اصنعهم الى ما متع الاجداد
من نعمة الدنيا وصيرها كانت في ايديهم اقل عندهم مما يتطوفونه ولعلموا
ولتنعموا بمعرفة الله تعالى وتلذذوا بها تلذذهم بما نيل في دنياهم من لين العيش
مع اوليائه ان الله ان معرفة الله تعالى انس من كل وحشة وصاحب من كل
وحدة ونور من كل ظلمة وقوة من كل ضعف وشفاء من كل سقم ثم قال لقد
كان قبلكم قوم يمشون على وجه الارض ويتحدثون ويبيعون ويشترون ويضيق عليهم
الارض بما رحبت فما يرى شيء مما هو فيه من غير قوة وقدروا
من جنان الدنيا على ما اشتهوا فما انفعوا بها شيئا الا ان يقينوا بالله العزيز الحميد
فسألوا بكدر دنياهم صفو الاخرة وبالعلم تنال الدرجات العلى والنعيم
فصل
العلم علمان علم الدنيا وعلم الاخرة وعلم الدنيا ما يرغب به مصالح الدنيا
كالطب والحساب وعلم الاخرة علمان علم يقصد لذاته وعلم يقصد للعمل
ليتوسل به الى العلم المقصود لذاته فان اردت بعلم الدنيا الذي يعلم الدنيا وعلم
الاخرة معا فكله وان اردت علم الدنيا فقد محمود وبعضه مذموم واما العلم المقصود
لذاته فهو نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة وكشف
من ذلك النور ما كان جميع من قبل ابصاره ما يتوجه ما معان بجملة غير متميزة
تتضح له ذلك حتى يحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته
التامات بقدر الامكان وما اظنه وبحكمته في خلق الدنيا والاخرة وبصحة ترتيب
الاخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي وبمعنى الامامة والامام وبمعرفة
معنى الوحي والالهام وبمعنى الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشياطين للانبياء
وكيفية ظهور المعجزات للانبياء وكيفية وصول الوحي الى النبي وبعد ذلك
مع الامام والمعرفة بملكوت السموات والارض وبمعرفة القلب وكيفيته

نعمة انعم الله بها علينا فاستقللناها او معصيته ومن كل تصريح وتعريض نقصات
ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به ومن كل خطرة دعتنا الى تصنع وتكلف
تزينا للناس في كتاب سطرناه او كلام نظمناه او علم افدناه او استفدناه ثم نرجع
اليه بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لما ولم نطالع كتابا هذا او كتبته او سمعته
ان تفضل علينا بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيات فان الكريم عميم
الرحمة واسعة الجود على اصناف الخلائق فايض ونحن خلق من خلق الله لا وسيلة لنا
اليه الا فضله وكرمه فقد قال رسول الله صلى الله عليه واله ان الله تعالى
مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والطير والبهايم والهوام فبها
يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم الله بها عباده يوم القيمة
الهي دست الايام وتغيرت الاحوال وكثرت الاسن واختلفت العدات الا عادتك
فانك وعدت مغفرة وفضلا اللهم صل على محمد وال محمد واعطني من فضلك
واعذني من الشيطان الرجيم سبحانك فبحمدك اعظمك واحمدك واكرمك واسبح
حمدك تمردا المستكبرين واستغرقت نعمتك شكر الشاكرين وعظم حمدك من احصاه
المحصين وجل طولك عن وصف الواصفين كيف لا وفضلك حملت عن خلقه
من نطفة ولم يك شيا فرتبته بطيب رزقك وانشاته في تواتر نعمك ومكنت
له في نهاد ارضك ودعوته الى طاعتك فاستخدم على عصيانك باحسانك و
عبد غيرك في سلطانك كيف لا واحمدك ايها الذي وقد شملتني بستر لك ولا كرمتني
بمعرفتك واطلقت لساني بشكرك وهديتني السبيل الى طاعتك وسهلتني
المسالك الى كرامتك واحضرتني سبيل قربتك فكان حزائد مني ان كافاك عن
الاحسان بالاساءة حريصا على ما استطلك مستقلا فيما استحق به المزيد من
نعمتك سريعا الى ما ابعدني من رضاك مغتبطا بغرة الامل معرضا عن مذاهب الاجل

لم يثنني حلمك عني وقد انا اني توعدك باخذ القوة مني حتى دعوتك على عظيم
الجناية استزيدك في بغيك غير متاهب لما قد اشرفت عليه من نقمتك مستبطئا
لمزيدك ومتحفظا لميسور رزقك مقتضيا جزائك بعمل الفجار اكالمراصد
بعمل الابرار مجتهدا اتمنى عليك العظائم كالمدل الامن من قصاص الجرايم فانا لله
وانا اليه راجعون مصيبته عظمت رزئها وجل عقابها بابي كيف لولا ما سبق من
الصفح عن تلي وجرا قالتك وقد جاهرتك بالكبايرمستخفيا عن اصاغر
خلقك فلا انا راقبتك وانت معي ولا انا راعيت حرمة ستر دي على باي وجه
القاك وباي لسان اناجيك وقد نقضت العهود والايمان بعد توكيدها و
قد جعلت علي كفيلا ثم دعوتك مقتحما في الخطيئة فاجبتني ودعوتني واليك
فقري فلم اجب فواسواتاه وقبح صنيعاه اية جراة تجرات واي تغرير غررت
نفسي سبحانك فبك انقرب اليك وبحقك اقسم عليك ومنك اهرب اليك
بنفسي استخففت عند معصيتك لا بنفسك وبجهلي اغتررت لا بحلمك و
حقي لضعت لا عظيم حقك ونفسي ظلمت ورحمتك رجوت وبك امنت اليك
انبت وتضرعت فارحم اليك فقري وفاقتي وكبوتي لحر وجهي وحيرتي في سوء
ذنوبي انك ارحم الراحمين ولنختم الكلام حامدين لله ومصلين على نبيه واهل
بيت نبيه عليه وعليهم الصلوة والسلام والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا
كتبه المقصر الفقير في الاخرة والاولى محمد الدعوتي بكل الهدى كان مصنفه المتبحر المتبالي
العالم الشهير فع الله درجته واعلى مقامه وفرغ من كتابته الشهير جمادي الاولى سنة ثلث
سنة ثلث وتسعين والف الهجرة وانا املها الوزير محمد رضا والحمد لله رب العالمين
الصلوة على محمد واله الطاهرين

کتابخانه
مهدی بریانی

۳۳۷

کتاب الحقایق

از سید محسن فصیح کاشانی

رب دل کمپانی طهماسبی کلیبی اردبیلی زاده

امرداد ۱۳۳۷

قدری بادی

۳۳۷

کتابخانه مجلس شورای ملی

۲
ب
۲۸/۲۲۱